أحاديث مع جورج لوكاتش

• هانس هاينز هولتز
• ليو كوفلر
• فولفغانغ آبندروت

تعريب: أنطون شاهين

ليس هذا الكتاب حديثا أو مجموعة أحاديث صحفية القصد منها تعريف الجمهور بافكار لوكاتش ، بل هو مناقشة ونقد وتعميق لافكاره . فالثلاثة الذين قاموا بالحوار مفكرون درسوا فلسفة لوكاتش بدقة ، كل منهم في جانب من جوانبها الاساسية ، وكشفوا عن فقراتها أو بالاحرى عن النقاط التي ماتزال بحاجة الى مزيد من البحث . وطلبوا منه ان يتولى بنفسه ايضاحها . فكانت مناسبة مكنت الفيلسوف من اضافة اراء تكمل ما جاء في كتبه .

ولهذا صار هذا المؤلف الصغير بحجمه ، الغني بافكاره ، جزءا لا يتجزأ ، من مؤلفات لوكاتش ، يزيد في قيمته انه من أواخر ما صدر عنه .

وربما كان الفصل الاول هو الاهم فلسفيا ، لانه تحت اسم (الوجود والوعي) يطرح مشكلة كانت تعتبر خارجة عن افق الماركسية ، هي المشكلة الانطولوجية أم المشكلات الفلسفية . تلي المشكلة الاجتماعية التي كان يعتقد قبل لوكاتش ان المشكلات الاخرى ترتد في الماركسية اليها . وفي الفصل الثالث المشكلة السياسية التي هي على الصعيد العملي الاكثر الحاحا . ومن المعلوم ان فيلسوفنا كان ايضا سياسيا ، شارك حتى أواخر حياته في العمل السياسي المباشر وغير المباشر . وهناك مشكلات اخرى كثيرة سوف تستوقف كل منها القارىء طويلا لانها من صميم عصرنا ، منها الايديولوجيا والمعتقد الديني والادب والفن ، الخ ..

ولوكاتش ، شانه شان كل فيلسوف اصيل اخر ، يطرح عليك اسئلة ، ويدفعك الى طرح اسئلة اكثر مما يجيب أو يطلب منك الجواب . ولهذا ينتهي الحوار بـ « نتائج مؤقتة » لان الفلسفة كالحياة ، مترابطة الحلقات وفي الوقت ذاته دوما جديدة متجددة .

سعر النسخة
٩ ل.س.ل

مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق ـ ١٩٨٣

• هانس هاينز هولتز
• ليو كوفلر
• فولفغانغ آبندروت

أحاديث مع جورج لوكاتش

تعريب : أنطون شاهين

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق — ١٩٨٣

العنوان الاصلي للكتاب

Rowohlt - vol . Hamburg 1967 133 S .

qesprache wit qeorg Lukacs

Hous Heinz Holz - Leo kotler - woltgeng Abeudroth

المقدمـــة

صعد نجم جورج لوكاتش بين مفكري العصر الحالي مشعا بالغ الاثر . ويشمل أثره مراحل نشاطه المتنوعة : يوم صدر مؤلفه البكر « النفس وأشكالها » الذي انبثق مـن روح فلسفة الحياة ، تاركا أثر بصماته عليه ، في تلك المرحلة من القلق الاجتماعي الغامض، حيث التعبيرية بسطت اجنحتها في ألمانيا . ويوم صدر أول وثيقة كبرى لفلسفة التاريخ الماركسي « التاريخ ووعي الطبقات » ، هـذا العمل الذي طبع جيلا بكامله مـن المفكرين الشباب في انحاء اوروبا بطابعه . واخيرا يوم صدرت تحليلاته الحامية الوطيس ، بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، تحت عنوان « تحطيم العقل » ، وكتابات مماثلة تمت الى تاريخ الادب بصلة . وجميعها عارضت بمبادىء العقلانية والتنوير اللامعقولية وظلامية البرجوازية المتخلفة . ان خصب الاثر الذي يتركه لوكاتش لا يتجلى في انه يشير الى الطرق وينادي باتجاه معين فحسب ، بل ربما اكثر من هذا ، في انه يحرض على بروز التناقض ، مرغما منافسه على توضيح موقفه ، حيث لابد أن ينعكس حتى في غمار النفي ، وحيث يعلن المستوى الموضوعي لتثفنيد الآراء ، شيء من نصاعة التفكير اللوكاتشي .

يعد لوكاتش مفكرا ملتزما . ومـن خصائص اسلوبه أن آلية فكره تنطلق مـن حالة ملموسة ، من سانحة معطاة . على هذا فان معظم اعماله تشكل دراسات تدور حول مركز مشترك ، ولم يستطع لوكاتش جعل هذا المركز ، هذه النواة الفلسفية في مؤلفاته موضوع بحث ، الا عندما تقدم في السن ، انـه لم ينجز بعد مجموع مافي جعبته مـن فلسفة . فالجزآن الاولان في « علم الجمال » يشكلان القسم الاول ويتبعهما كتابه « الانطولوجيا » .

وقد جال في خلد ناشر هذا الكتاب ، انه من المفيد لقراء المؤلفات اللوكاتشية ، أن يسبر أغوار فكره بشكل عابر لاول مرة ، حيث تضرب اتجاهاته بجذورها . كان ينبغي ،

ان صح القول ، خ وض غمار انتاج هذا العلامة كي نمهد السبيل لجماعة القراء لتستوعب عمله المتشعب . ونجد في هذا الكتاب ، أن الافكار قد اتخذت صلة الحوار ، حيث اوجزت الموضوعات الشائكة وهون امر صياغتها . ولا ريب أن هذه الاحاديث ، التي تمكنا من التقاطها على شريط تسجيلي ، لم تثقل الوطأة على لوكاتش البالغ الثمانين من العمر ، ولم تعوقه في متابعة عمله ، ككتابة مقدمة يذكر فيها مواقفه الاساسية ، وهكذا ولدت فكرة اجراء نقاش مع ثلاثة رفقاء حول مسائـل انطولوجية ونقدية وسياسية ، تمثـل العلاقة الداخلية الماثلة في اتجاهات عمله الاساسية .

ان شكل الحديث يضيف مزية اخرى ، ألا وهي المحافظة على حيوية التعبير ، التي ، ولا ريب ، تضمحل حين يستحيل الحوار الى كلمة مكتوبة . ينحدر لوكاتش من اصل هنغاري ،ولا يخلو حديثه السريع المندفع الحمس باللغة الالمانية من هفوات في القواعد ، أما عندما يكتب فيصقل اسلوبه وتنهض عباراته بانشاء كلاسيكي معقد ، مطبوع بطابع البرهنة العقلية ، وفي اثناء ذلك يضمحل جزء من عفوية التعبير الطليقة . كل منا خاض غمار التجربة ذاتها في اللغة الام حين يحاضر وحين يكتب . وما سعينا الى التوصل اليه ، لا إحكام الدراسة ، بقدر القيمة الثقافية للشرح الاصلي . بالتالي لم نسع خلف نقاش يحمل طابع جدال حامي الوطيس ، انما خلف بحث مشترك في غمار القضايا .

ان لوكاتش محدّث متحمس مندفع ، فتكفي اثارة بسيطة او خاطرة عابرة كي تطلق تفكيره من عقاله وتزدهي عندها مسيرة تداعي خواطره مستقية من معين علمه الوافر ، متدفقة لا تقف عند حد . ان من يتحدث معه عليه أن يكون اذنا صاغية . كنا قد جلسنا في بيته الانيق الواقع على ضفاف نهر الدانوب حول طاولة وجد عليها الشراب والماكولات . امامنا عبر النافذة كنا نشاهد المياه والحصن ،وخلفنا تعالت رفوف الكتب بمحاذاة جدران الغرف العالية . كل شيء يوحي باننا في بيت رجل حكيم يتناسب في اسلوبه وجواء الملكية الهنغارية ـ النمساوية ، التي تضفي على وجه بودابست حتى الآن طابعها ، خلاف هذا نجد المضامين ، التي تملأ هذه الاشكال الظاهرة . ان الناس في هذه المدينة يعرفون كيف يتمتعون بالحياة (Savoir - vivre) (١) وكيف يرتعون بأدب ولطف في رحاب حرية كريمة وليس من قبيل المصادفة ، أن يخطر في البال عبارات فرنسية لوصف ميزاتهم . فثمة قرابة

---

(١) باللغة الفرنسية في النص الاصلي .

حميمة بين بودابست وباريس تتجلى في تفكير لوكاتش وحديثه : هناك التهكم والنباهة ، وهناك الابتعاد عن كل صيد فكري في الماء العكر ، والالتزام بوصية ديكارت المتعلقة بالجلاء والوضوح ، حيث أن أي جملة تافهة ولكن حقيقية تفضل عن التدفق الصوفي الذي لا ينهض على أساس .

هكذا فان لوكاتش لا يدع للظلمات مجال ، وليس من قبيل المصادفة ألا يقيم وزنـا وشانا ، بين جميع مفكري الوضعية المستحدثة ، التي جابهها بعنف وشدة ، الا للفيلسوف فيتكنشتاين الذي يقول : « ان الطريقة الصائبة في الفلسفة تمثل في الواقع بالا نقول ، الا ما يخول قوله ، بالتالي تمثل بقضايا العلوم الطبيعية ـ بالتالي بامور لا تمت الى الفلسفة بصلة ـ ومن ثم كلما أراد أحدهم ان يقول اشياء ميتافزيائية ، نبرهن له ، أن ثمة امارات معينة في صلب قضاياه عقيمة لا جدوى فيها . » . ان الاطاحة بكل ضرب من ضروب الميتافيزياء يتمشى مع ما ينهجه لوكاتش . وما يميز ما يدعوه انطولوجيا (وقد عاود التكلم عنها مرارا في احاديثنا) بانها من الممكن ان تقال في قضايا غير ميتافيزيائية . في كنف هذا الشرط فقط يعاد تصويب مفهوم الانطولوجيا ومجالها فيسلّم بهما ويسبغ عليهما معنى .

وهكذا نلاحظ في تفكير لوكاتش تجريبية اساسية تظهر واضحة في حديثه على نحو اكثر مباشرة من علو تجريده في غمار الدراسة النظرية . وتظهر احاديثه بجلاء كبير اساس التجريد في مضمار خبرات الحياة اليومية . وكما نجد في مؤلفه « علم الجمال » نجد أيضا في مؤلفه « الانطولوجيا » ، أن معطيات الحياة العامة تقوم مع الواقع بدور مشخص ومنهجي حاسم. هذه الواقعة تسبغ على الاحاديث مع لوكاتش قيمة اكثر من أن تكون مجرد قيمة دعابية . ذلك أن الطابع المباشر الذي يرافق ولادة الافكار في حديثه ينسجم تماما مع مستوى الخبرة الماثل في معطيات الواقع اليومي ، حيث ينبري لوكاتش لتبيان قيمتها النظرية .

لقد اقتفت هذه الاحاديث هدفا ثقافيا تمهيديا . وفي ودها تقديم شهادة عن الفكر النابض بالحياة لعظيم من عظماء عصرنا ، واتاحة الفرصة لان نقترب من هذا التفكير باسهل السبل قدر الامكان . وندين بالشكر للوكاتش الذي بذل الجهد ساعات طوال منغمسا في الحديث بعزيمة لا تقل مدة أربعة أيام متوالية ، والذي دقق المخطوطة قبل النشر . لقد كان لوكاتش في نظرنا محدثا لبيبا ثاقب الرأي ومضيفا ودودا وصديقا حميما . ان شرف الاصغاء اليه « لشرف عميم مترع بالفائدة » .

فولفغانغ آبندروت
هانس هاينز هولتز
ليو كوفلر
ثيو بنكوس

زوريخ نيسان ١٩٦٧

الحديث الأول

جورج لوكاتش ـ هانس هاينز هولتز

وجـــود ووعـــي

هولتز :

سيد لوكاتش ، يتضمن مؤلفك « علم الجمال » بعض فرضيات انطولوجية ، لم تعالج دوما ، وفي جميع المواضيع معالجة وافية عميقة . ونحن على علم بأنك تعد انطولوجيا(١) جديدة قائمة على أساس ماركسي ، وليس في ودنا استباق ما يأتي في هذا الكتاب ، الذي ننتظر قراءته بعد ، بيد اننا نود مع ذلك تلمس المسألة بعض الشيء ، ومعرفة مدى ما تتحدد به نقاط معينة في مؤلفك « علم الجمال » من قبل فرضيات انطولوجية ، والى أي مدى تخضع لشروطها ، ولعل حديثنا هذا يلقي بعض أضواء على ذلك . هنا يطرح سؤال أولي ذاته ، وأود أن أستهل الحديث بطرحه ، وهو سؤال تبدى لي طرحه في سياق حلقة نقاش ، كنت أترأسها في ماربورغ مع طلاب السيد **آبندروت (Abendroth)** ، الذي يجلس الآن الى جانبنا ، طرحا يتسم بطابع عصري مميز .

أيوجد على وجه العموم ما يمكن أن ندعوه أنطولوجيا ماركسية ؟ أي معنى يمكن أن يسبغ على كلمة انطولوجيا في الفلسفة الماركسية ؟ وقد

---

(١) **Ontologie**

جوبهت بقول بعض أفراد ينتمون الى الحلقة الطلابية للسيد **آبندروت** ، ان الانطولوجيا الناهضة على قاعدة ماركسية ستتحلل وتذوب في علم الاجتماع ، زاعمين ان المقولات الانطولوجية لا يمكن فهمها الا على انها مقولات اجتماعية ، الا على أنها مقولات تاريخية . ومما لاشك فيه انها دائما وأبدا مقولات اجتماعية وتاريخية ، لكن ان كان ينبغي أن يلقى التحدث عن الانطولوجيا بعامة معنى من المعاني ، فيتحتم استيعاب شيء ما كامن في هذه المقولات الانطولوجية ، شيء لا يمكن تحديده اجتماعيا أو تاريخيا فقط . ان ما يثير اهتمامي هو معرفة موقفك من هذا السؤال ؟

لوكاتش :

أقول ان المرء ،سواء أكان عالما أو أي شيء آخر، ينطلق دوما من مسائل الحياة اليومية ، حيث تتبدى المسائل الانطولوجية في معناها المكثف للغاية . بودي أن أسرد الان أشياء جد بسيطة : أحدهم يسير في الشارع، وليكن على صعيد نظرية المعرفة أكبر متحيز للوضعية الجديدة ، ينكر الواقع أي واقع كان ، على الرغم من هذا سنجده يقتنع لدى وصوله الى تقاطع طرق ، بأن هذه السيارة الحقيقية ، ستصدمه بالفعل ، ما لم يتوقف عن السير ، لا بأن صيغة رياضية من صيغ وجوده ستصدم بدالة رياضية للسيارة ، أو أن تصوره سيصطدم بتصور السيارة . اني أدليت عمدا بمثال يتصف ببساطة متناهية ، لاظهر ، أن ثمة ، في خضم الحياة ، صورا من وجودنا تأتي متلاحقة الواحدة تلو الاخرى ، وما له طابع الاولوية يتمثل في علاقة صور الوجود هذه ببعضها . لهذا لا أستطيع ان أقر أن السؤال ، عن كون مقولة من المقولات اجتماعية أو انطولوجية ، الا على انه سؤال لا يحمل طابع الرصانة حقا . لقد جرت العادة بين ظهرانينا حاليا ، أن نعرض أي فرع من فروع المعرفة ، يحمل مع مر الزمن سمة الجنسية الاكاديمية ، كفرع يتمتع بكيان خاص قائم بذاته ، حتى اننا نجد فيلسوفا لامعا ، له منزلة رفيعة مثل نيقولاي هارتمان (**Hartmaun**) ، فند رأيه ذات مرة على هذا النحو : يتحتم أن تعتبر النفس شيئا مستقلا ، بما أن علم النفس يدرس في الجامعات

كعلم مستقل منذ مئتين او ثلاثمائة سنة ، غير اني ارى ، أن هذه الامور برمتها خاضعة للتغيير من الوجهة التاريخية ، فالوجود وتحولات الوجود هما امران اساسيان . على المرء ان ينطلق ، بحسب اعتقادي ، من هذا المنطلق ، ومنه انطلقت ايضا في كتابي « علم الجمال » ، الذي يحمل عنوانا ــ ربما هو ليس بصائب تماما ــ « ميزة عنصر الجمال » ، ينبغي أن يقال على نحو ادق : مكانة المبدأ الجمالي في اطار فعاليات الانسان العقلية . لكن هذه الفعاليات العقلية ليست هي ، كما تتخيلها الفلسفة الجامعية ، عبارة عن كيانات نفسية ، بل صور مختلفة ينظم الانسان بموجبها ، بطريقة من الطرق ، أفعال العالم الخارجي وردود افعاله ، التي يتعرض لها دوما ، للدفاع عن ذاته ولانشاء كيانه الخاص به . وعلى سبيل المثال ، نحن نعلم اليوم ، علما يقينا ، أن تلك الصور الرائعة ، التي تعود الى العصر الحجري ، والتي اكتشفت في كهوف واقعة في جنوب فرنسا واسبانيا ، تمثل في الواقع استعدادات سحرية للقيام بالصيد ؟ فلا يرد رسم هذه الحيوانات اذا الى اسباب فنية ، انما الى أن انسان ذلك العصر قد ذهب به الاعتقاد الى أن احداث صورة جيدة لحيوان من الحيوانات يعني امكان اصطياد ذلك الحيوان بطريقة أسهل . هنا يطالعنا فن الرسم كرد فعل أولي نفعي على الحياة ، وسيستمر الامر كذلك مع تطور المجتمع وازدياد العلاقات الاجتماعية فيه ، بحيث أن تجديد الحياة تجديدا مباشرا ، يعد أصلا مشروطا دوما . أود أن أسرد الان أمورا بسيطة محددا : أنت تقصد مثلا محلا تجاريا وتبتاع ربطة عنق أو نصف دزينة محارم ، والآن اذا تخيلت العملية التي كانت لازمة كي تتلاقيا أنت والمحارم في سوق البيع ، لطافت في ذهنك صورة جد حية وجد معقدة ، وأجد انه لا ينبغي اهمال هذه العمليات في مجال استيعاب الواقع . هذه هي النقطة الاولى التي أردت ذكرها في هذا المضمار .

النقطة الثانية تتسم بطابع منهجي ، وتأخذنا الى أفق أوسع مما تقدم من زاوية معينة . فالعلم المتطور يحمل في جوانبه النزعة نحو استيعاب كل صورة من الصور وكل مظهر من مظاهر الحياة في شكله

الارفع لتموضعه (Objktivation) ، مرتئيا ، انه بهذا يضع بين أيدينا التحليل الافضل . الا تأمل في نظرية المعرفة عند **كانط** ، الذي انطلق من رياضيات ذلك العصر ومن فيزياء **نيوتن** ، **ليضع أسس المعرفة** من جهة ، والقرار الخلقي النامي نموا عاليا أساسا للمجال العملي من جهة ثانية ، الا اني أعتقد أن الهبوط من ذلك الشكل الاعلى الى الشكل الادنى أمر غير ممكن . وليس بالامكان مطلقا ، انطلاقا من صيغة التحليل النيوتينية ، ان نتوصل الى التصورات التي بموجبها استطاع صياد العصر الحجري أن يتأكد من جراء سماعه جلبة معينة ، أن أيلا أو غزالا على مقربة منه . بالمقابل اذا انطلقت من الامر المطلق الكانطي ، فلن يكون في وسعي ، كذلك الامر ، فهم التصرفات العملية البسيطة التي يقوم بها الانسان في حياته الاعتيادية . اني أعتقد اذاً ، أن السبيل الذي علينا أن نطرقه (وبهذا نغدو في خضم المشكلات الانطولوجية) هو المشكلة النشوئية . هذا يعني ، من المفروض أن نحاول دراسة العلاقات في الصور الاولية لظهورها ، وتحديد الشروط التي بموجبها أصبحت تلك الصور أكثر اتضاحا واكثر تعقيدا . ان العاملين في حقل العلم يستمعون على مضض الى مثل هذا نوعا ما ، ذلك اني عندما آخذ واقعة العلم أتساءل : من أين نشأت واقعة العلم ؟ وثمة لدى حدوث أي اختيار غائي ، كما هي الحال لدى القيام بعمل ما ، لحظة عابرة ، يفكر فيها الانسان الصانع ـ وليكن انسان العصر الحجري ـ متسائلا عن تلاؤم الاداة التي يهم بصنعها مع القصد ، الذي يجول في فكره . واذ عدت بفكري الى ذلك العصر السحيق ، حيث افتقر الانسان الى أدوات عمل ، وتأملت في الزمن ، حيث وقع اختيار الانسان البدائي على حجارة لا على شيء آخر ، لينجز بها أعمالا معينة ، بامكاني أن أتصور ، كيف أنه نظر حينذاك الى حجرين وقال ـ سيان ان صاغ عبارته كما أصوغها الان أم لا ـ هذا الحجر مناسب لقطع غصن من الاغصان وهذا غير مناسب . وانما العلم قد بدأ من لحظة اختيار هذا الحجر القديم . وما تغير مع مر الزمن هو ان العلم قد تطور تدريجيا ليشكل جهازا وسيطا مستقلا ، فالسبل التي تقود به الى القرارات العملية الحاسمة ، والتي مر العلم

بها خلال تطوره هي سبل طويلة للغاية ، ونستطيع اليوم أن نلاحظ ذلك في المعامل كلها . وأعتقد أنه من الاسلم لنا ، أن نرى ولادة العلم تبدأ انطلاقا من انتقاء الحجرالمناسب كأول عمل وتنتهي بالعلم ، من أن نبدأ بالرياضيات العليا ونحاول أن نعود القهقرى الى انتقاء الاحجار . بكلمات أخرى ، نجد أن السبيل الانطولوجي لا مفر منه ، اذا أردنا فهم الظاهرات وفق رؤية نشوئية . وينحصر الامر في تبيان اللحظات (العوامل) النموذجية اللازمة لتلك العملية بالذات ، في خضم المصادفات العديدة ، التي ترافق نشوء أي ظاهرة كانت . هنا يكمن بالتالي والى حد ما ، السبب الذي يدعوني الى اعتبار الطريقة الانطولوجية لطرح الاسئلة أمرا أساسيا ، وبصدد ذلك فالتخوم الدقيقة الفاصلة بين علم وعلم لا تقوم الا بدور ثانوي انطولوجيا .

أعود ثانية الى مثالي السابق وأقول : عندما تندفع سيارة نحوي في تقاطع طرق ، أستطيع أن أنظر الى هذه السيارة كظاهرة تقنية أو كظاهرة اجتماعية أو تظاهرة فلسفية حضارية ... بيد أن السيارة الواقعية هي عبارة عن وحدة تصدمني أو ستصدمني . ان الموضوع الاجتماعي أو الحضاري « سيارة » لا ينشأ الا عن تأمل يتعلق بالخصائص الواقعية للسيارة وتصور تلك الخصائص . ان السيارة الحقيقية تتمتع الى حد ما بأولوية على الرؤية الاجتماعية ، فهي ستسير ، وان لم أكوّن سوسيولوجية بشأنها . بيد أن سوسيولوجية السيارة لن تسيّر أي سارة كانت . وان جاز لي القول ، أعلن أن ثمة أولوية واقعية للواقع . وعلينا أن نحاول الرجوع الى هذه الوقائع البسيطة في الحياة لنستوعب الوقائع المعقدة انطلاقا منهـا .

هولتز :

أجل ان نقطة الانطلاق من حياتنا اليومية هي بالتالي القاعدة ، هي ضرب من ضروب فهم العالم فهما طبيعيا . قد استعمل ديلتي (**Dilthey**) و هوسرل (**Husserl**) هذه اللفظة أيضا ، لكن طبعا في معنى يختلف عما أتيت به أنت الان .

لوكاتش :

ان الغائية أيضا قد استخدمته . .

هولتز :

أجل ، والان يطالعنا السؤال ، الا تملك الانطولوجيا ، ان كان لا بد لها من أن تنطلق من الحياة اليومية انطلاقا نشوئيا ، شكلا منهجيا محددا للدنو من معطيات المعاناة اليومية وسكبها في قالب نظام فكري مفهوم ، ان صح القول . فالسؤال اذا هو : ما هو ، حصرا ، موضوع الانطولوجيا ؟ ففي الانطولوجيا الكلاسيكية يمكن القول فعلا : انها نظرية المقولات .

لوكاتش :

أما أنا فأقول ان موضوع الانطولوجيا يتمثل في ما هو موجود حقا ، ومهمتنا تنحصر في دراسة ما هو موجود من حيث وجوده ، وايجاد المراحل المختلفة والكشف عن الارتباطات الماثلة داخل ما هو موجود . يضاف الى ما تقدم طبعا نقطة ، يبدو أنها تقودنا أبعد من ذلك ، بيد أني أعتقد ، أنه ينبغي التحدث عنها حالا . أعني بذلك مشكلة طرحها نيقولاي هارتمان على بساط البحث للمرة الاولى في عصرنا ، الا وهي الواقعة ، التي اكتشفها في الطبيعة اللاعضوية ، ومفادها ان المركب هو العنصر الاولي الحقيقي ، وعلى هذا ينبغي أولا دراسة المركب بما هو مركب ، لنصل بعدئذ الى العناصر التي يتألف منها المركب والى عملياته الاولية . . ولا يجب (كما يقول العلم عامة) ايجاد عناصر معينة لنكون من تفاعل العناصر هذه عقدا معينة . لعلك تذكر أن **هارتمان** قد أدرج في تلك **العقد (Komplexe)** النظام الشمسي من جهة ، والذرة من جهة ثانية، وأعتقد أنها لفكرة جد خصبة . ومن الواضح ، أننا لن نتمكن من الوصول الى علم يبحث في البيولوجيا ، ما لم ننظر الى الحياة على أنها مركب أولي ، حيث يمثل في نهاية المطاف الجهاز العضوي ، الطاقة المحددة لمختلف العمليات ، وانه لا يمكن قطعا ، من جراء تركيب حركات العضلات

والاعصاب وغيرها تركيبا كاملاً ــ حتى ولو علمنا بدقة وبطريقة علمية كل حركة من تلك الحركات ــ تكوين جهاز عضوي ما من مجموع تلك الاجزاء ، بل ان العمليات الجزئية لا تفهم الا على انها عمليات جزئية للجهاز العضوي المعقد بأكمله .

والآن نعود الى سؤالنا ، أي الى المجتمع ، فنشاهد أن هذا التعقيد معطى على نحو مفروغ منه ،لا للمجتمع فحسب ، بل الى حد ما لذرة المجتمع ؟ الانسان نفسه هو عبارة عن مركب ، مركب بالمعنى البيولوجي، لكن بصفته كذلك ، من المحال تجزئته الى عناصر ، اذا اردت فهم الظاهرات الاجتماعية ، على نحو انه ينبغي علي أن أنظر سلفا الى المجتمع كمركب مكون من مجموعة مركبات . هنا يكمن السؤال الحاسم عن بنية تلك المركبات ، وكيف يتسنى لنا الوصول الى الجوهر الحقيقي لوجودها ودالتها . في هذا الصدد ، كما قلت آنفا ، لن يجري الحديث عن تحديداتها الاجتماعية اللاحقة وغيرها أبدا ، انما عن التأويل النشوئي لظهورها وعن تطورها . اذا نظرت الان الى المجتمع من هذا المنطلق ، تر أن الواقعة التي ليس لها أي مثيل في الوجود العضوي ، هي العمل ، الذي يعتبر (وأقول هذا ضمن قوسين) ذرة المجتمع الى حد ما ، ومركبا معقدا للغاية ، بحيث نجد أن سلسلة من الاسباب والنتائج تسير لتأخذ مجراها بفضل الاختيار الغائي للعامل . فالعمل لا يكون فعالا ، الا اذا سيّرت سلسلة سببية واقعية ، لتأخذ مجراها في الاتجاه الذي يتطلبه الاختيار الغائي . من جهة ثانية ، اذا درست هذا المركب ، أتوصل الى واقعة تفيد ، أن هذا الانسان الذي ينجز عملا من الاعمال ، لن يكون في وسعه أبدا مراقبة أحوال تلك السلاسل السببية برمتها ، التي وضعها في حالة الحركة ابان اختياره ، ذلك أنه ينجم في أثناء العمل ، مبدئيا ، شيء قد يختلف عما افترضه العامل هدفا له ، وان كان الانعطاف طفيفا للغاية في بعض أطوار أولية ، لكن من المؤكد ، أن الانسانية بأكملها مرتبطة بمثل هذه الانعطافات الطفيفة . واذا افترضنا أن البشر قد تمكنوا من الوصول الى أفضل صقل للاحجار بطريق الصدفة ، الا انهم قد أدركوا شيئا فشيئا أن هذا الصقل الافضل يمثل الطريقة الفضلى ، ومع مر

ومن غدت هذه الطريقة ممارسة عامة ، ولا يسعنا أن نتخيل التقدم أبدا بدون مثل هذا التطور ، ويضاف الى ذلك أن شيئا مغايرا يظهر دوما نظرا لجهل الظروف المحيطة بالعمل ، ولنقل على نحو أدق : يظهر أيضا أشياء مغايرة عما قد افترض أصلا . والاعتقاد ، أن رقعة المجهول تتقلص كلما ازدادت التجارب وجمع بين أطرافها ، لهو مبنى على حكم مسبق ، متأصل في العلموية . خلاف ذلك ، أعتقد أن هذه الرقعة ، رقعة المجهول تتسع فكلما سبرنا غور الطبيعة ، التي يقوم بينها وبين العلم ، اي العمل ، اثر متبادل ، سيرا افضل ، كلما تجلى ، على نحو أوضح ، ميدان المجهول ، الذي يتضمن نتائج لها أكبر الاهمية بالنسبة الى تطور البشرية اللاحق . ان هذا المجال المجهول وغير المسيطر عليه ، تجديد المجتمع ، لا ينحصر وجوده في أطوار بدائية فحسب ، بل في أطوار بدائية ايضا . انت تدرك ، كيف يرتبط هذا كله بالمسائل الانطولوجية المتعلقة ببنية المركبات . ان صاحب معمل مستقل قد أحاط بانتاجه احاطة افضل من الحرفي الصغير في العصر القديم او العصور الوسطى ، على الرغم من ذلك ، فقد انطلقت ، من عقدة الانتاج والاستهلاك ، قوى مجهولة اعتقت من اسارها ابان وقوع الازمات . وأرى اليوم ، أن الاعتقاد بأننا قد توصلنا الى سيطرة تامة على الاقتصاد بفضل كينز (keynes) وغيره ، هو حكم مسبق في علم الاقتصاد . ان السؤالات الراهنة بالذات، التي تطرح اليوم مشكلة نهاية معجزة الاقتصاد ، تشير كم أن فترة هذه السيطرة على المجرى الاقتصادي هي قصيرة .

أعود الان الى مسألة أنطولوجية مجددا : كلما ازداد كون الظاهرة عقدة ، كلما جابه الوعي الانساني موضوعا لا نهائيا من حيث الامتداد كما من حيث العمق . وأفضل دراية بهذا الموضوع لا يسعها أن تكون سوى دراية تقريبية . ولافرض أني علمت أن (س) و (ع) صفتان من صفات موضوع من الموضوعات ، بيد أني لا اضمن على الاطلاق ، أن ثمة مثلا ج وغيرها من الصفات لاتزال من صلب الموضوع ، وأن بامكان هذه الصفات أن تقوم بدور فعال في بعض الظروف . لكن أرى أننا لا نستطيع دراسة هذه الواقعات الا في الشكل الذي يمت الى

الانطولوجيا بصلة ، حيث نرى أن علاقات الوجود لا غير تثير اهتمامنا ، وأرى انه علينا أن نطرح الامر جانبا ولا نتساءل عن أية علاقة تعالجهـا العلوم الحديثة وتتعلق بعلم النفس أو علم الاجتماع أو نظرية المعرفة أو المنطق مثلا . اننا نعالج هذه العلاقة كعلاقة كائنة ، أما أمر دراستها من قبل أي علم من العلوم الاخرى فيعد بالنسبة اليها أمرا ثانويا . هنا تكمن حسب رأيي ، وجهة النظر الاساسية في الماركسية ، حيث بصددها ، لا يسعني الا أن أستشهد بتعريف ماركس الشهير ومفاده : ان المقولات هي أشكال الوجود العيني ، انها شروط الوجود . وهذا التعريف يعاكس تماما المفهوم الكانطي والمفهوم الهيغلي حول المقولات ، ويمكن أن نلاحظ على الفور ، أن الطريقة النشوئية تترتب على هذا التعريف ، اذا طالعت مطلع كتاب **ماركس** « الرأسمال » ، حيث لا ينطلق من العمل ، بل من تبادل السلع في صوره الاكثر بدائية . وانطلاقا من انطولوجية تبادل السلع نصل في آخر المطاف الى النتيجة النشوئية للمال من حيث اعتبـاره سلعة عامة . ومن ثم يوضح **ماركس** ، كيف أن الذهب والفضة قـد أصبحا مع مر الزمن نقدا ، وكيف أن هذه الواقعة ترتبط أنطولوجيا بدورها ، بالصفات الطبيعية التي يتحلى بها كل من الذهب والفضة ، اذ قد اكتملت الشروط الموضوعة لتبادل عام ، في هذين المعدنين ، فانطلاقا من هذه الميزة الفريدة التي يتمتعان بها عم في الانحاء نفوذ الذهب والفضة كوسيلة من وسائل التبادل ، أي كنقد . وكي نرى الى أي مدى يؤدي بنا السبيل الواقعي الى المعرفة ، يستنتج من الواقعة ، التي شددعليها **ماركس** مرارا ، ألا وهي أن المال في العصر القديم المتحضر صار الـى قوة سرية . هكذا نجد أن النقد قد نشأ ، أنطولوجيا ، من خلال القيام بأعمال المقايضة ، لكن بما أنه لم يكن في وسع القدامى الوصول الى هذا التفسير الانطولوجي ، تطالعنا منذ أيام **هوميروس وسوفوكلس** ألوان من الرثاء والانين تشكو من قوى خفية تنفذ الى المجتمع ، زاعمة أن لها حق الهيمنة على البشر ، على الرغم من أن الامر يتعلق بمعدن لا حياة فيه . هكذا ترى ، أن مشكلة، لبثت غير قابلة للفهم خلال حقبات كاملة ، قد اتضحت تماما من خلال التفسير الانطولوجي ، الذي قدمه ماركس في

مطلع « الرأسمال » . ولا يختلف الامر ، اذا اخذت مشكلة ثانية ، مستعصية على اقتصادي مرموق من طراز **ريكاردو (Ricardo)**، وهي أن تبادل السلع يجري على أساس قيمة العمل من جهة ، ووجود معدل ربح وسطي في المجتمع الرأسمالي من جهة ثانية . وأعتقد ، أن ريكاردو قد لمس هذا التضاد المستعصي الماثل بين الربح الوسطي وقيمة العمل . والان نجد ماركس يقرر حقيقة بسيطة انطولوجية على الصعيد الاجتماعي ، واغلب الظن أن **ريكاردو** قد أحاط بها علما أيضا ، الا وهي أن الرأسمال في الرأسمالية الحديثة ، ينتقل من منطقة الى أخرى . ان ظاهرة الانتقال هذه ، التي قل ما تصادف في مجتمعات الرأسمالية الاولى مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، هي حقيقة جوهرية انطولوجية . والان أفكر مجددا في حقيقة جوهرية انطولوجية أخرى ، ماثلة في الرأسمالية المستحدثة : انك ستجد ، اذا أعدت قراءة شروح ماركس في المجلد الثالث من كتاب « الرأسمال » ، ان الربح والربح الوسطي يأتيان من قيمة العمل وان هذه الواقعة هي نتيجة بسيطة تنشأ عن انتقال الرأسمال . فاللغز الفامض يعد محلولا في اللحظة ، التي نجد فيها المخرج الانطولوجي الصحيح .

اننا نستعمل اللفظة الجميلة « انطولوجيا » ، واعتدت على استعمالها أيضا ، على الرغم من أنه علينا أن نقول فعلا ، أننا قد اكتشفنا شكل الوجود ، الذي يحدث الحركة الجديدة **للعقد** . والحقيقة التي تقول انه يمكن تفسير الظاهرات الجديدة تفسيرا نشوئيا انطلاقا من وجودها اليومي ليست سوى لحظة من لحظات علاقة عامة ، هي أن الوجود هو عملية ذات طابع تاريخي . ان وجودا بالمعنى الحصري ، لا يوجد على الاطلاق ، فالوجود الذي اعتدنا أن نطلق عليه اسم الوجود اليومي ، هو عبارة عن استقرار جد نسبي **للعقد** ، ضمن اطار عملية تاريخية . قال **ماركس في** كتابه « الايديولوجيا الالمانية » ، لا يوجد سوى علم واحد ، هو علم التاريخ ، وعساك تذكر ، بأي حماس رحب **ماركس** بالنظرية الداروينية رغم التحفظات المنهجية العديدة . ذلك أن **داروين** قد اكتشف في الطبيعة العضوية الطابع التاريخي الاساسي الذي يتميز به وجودها . أما بالنسبة

لمجال الطبيعة اللاعضوية ، فثمة بالطبع صعوبة كبيرة تقف عثرة امام تحديد طابع هذه الطبيعة التاريخي . لكن ، على الرغم من انني أعد من الهواة في ميدان الاسئلة المتعلقة بالعلوم الطبيعية ، أظن اننا نقف على ابواب ثورة فلسفية عارمة ، ستندلع من صميم العلوم الطبيعية ، على قدر ما يشرع علم الفلك باستعمال الفيزياء الذرية في نطاق الرصد الجوي . في هذا المضمار توجد دلائل أولية تشير الى أن قوانين تركيب المادة ، التي بموجبها تنشأ تلك **العقد** كالشمس مثلا ، ليست واحدة في الكون بأسره . لقد كشف الانسان ، في أنظمة نجمية متعددة ، عن أشكال متباينة لتركيب المادة . وأرى أن العلم سيتمكن يوما من حسر النقاب عن تاريخ تركيب المادة ، وسيتجلى شكل المادة الخالد ، ــ ذلك الشكل الذي عد مبدأ ثوريا عظيما في عهد **نيوتن وغاليله** ــ كحقبة أو كمرحلة في سياق التطور التاريخي لبنية المادة . أقول هذا بصورة عابرة ليس الا ، ومن باب التعبير عن أمل فلسفي ، ذلك أنني لست سوى هاو متحمس على هذا الصعيد العلمي . على أي حال ، لقد قام كل من **غوته** (goethe) **و لامارك** (Lamarck) بمحاولات في هذا الاتجاه ، في حين نجد أن تصور تطور الطبيعة اللاعضوية تصورا تاريخيا ، قد بدا في القرن الثامن عشر أي حتى في نظر كوفيه (Cuvier) ، شيئا مستحيلا . هكذا فالسؤال المطروح ينحصر في المثابرة على تمسكنا بالمفهوم البالي الى حد ما في علم الفيزياء ، مفهوم المادية المبتذلة ومفهوم الوضعية المستحدثة المصطنع ، أو الوصول الى مفهوم نشوئي تاريخي للحياة اللاعضوية . في الحالة الاخيرة ستتحقق أطروحة **ماركس** ، التي تقول بوجود علم **واحد هو التاريخ ، ينطلق** من علم الفلك الى علم الاجتماع ، كواقعة اساسية للوجود . وهذا لاينفي مطلقا ، أن يكون لبنية الوجود ثلاثة أشكال أساسية كبرى : الشكل اللاعضوي والعضوي والاجتماعي .

تختلف هذه الاشكال بعضها عن بعض اختلافا اساسيا يحمل طابعا **قفزياً** . ففي المملكة اللاعضوية لا يتم إحداث عقد عضوية محددة زمنياً ، على الاطلاق ؛ كذلك الامر لا يوجد في العالم العضوي شيء ما يماثل ما في المجتمع ؛ اما بما ندعوه بمجتمع الحيوان فهو ، حسب رأيي ، مشكلة

معقدة . على أي حال نستطيع القول إنه بنشوء المجتمع ينشأ وجود يحمل طابعاً جديداً خاصاً ، لكن ينبغي علينا الا نتخيل قفزة التغيير هذه تخيلاً إنساني الشكل كما لو اني أقفز من وراء الطاولة واهرع لأمسك بالهاتف مثلاً ، إن قفزة كهذه قد تدوم ملايين السنين ، بين كر وفر ، بين ارتقاء وانتكاس وهكذا دواليك ... واعتقد أنه من البديهي ، أن هذا السير على درب التطور نحو الاعلى قد سلك اتجاهاً في عالم الحيوان الراقي ، لم يكن ليؤدي الى وضع حقيقي للمجتمع إلا عند ذلك النوع من القردة ، التي ارتقى منها تدريجيا الانسان الحكيم ، بالطبع يضاف الى ما تقدم أنه ينبغي استيعاب العلاقة القائمة بين مختلف المجالات أيضاً في معناها النشوئي ؛ وينبغي استيعاب واقعة انطولوجية اخرى ، تهملها العلوم الحديثة أيما اهمال ، حسب رأيي ، الا وهي أنه كلما تطور العلم وتقدم ، كلما استطاعت العلوم ــ كل علم في مجال اختصاصه ــ تحديد العلاقات بصورة أدق وعلى نحو رياضي . لهذا يميل التفكير الانساني الى اعتبار المصادفة ميداناً لم يزل غائصاً في الظلمة ، ميداناً يحتاجه نور علم أفضل بالتدريج لتنقشع ظلمته . فاذا طرحت المسألة الانطولوجية المتعلقة بتكوين الجهاز العضوي (ولا أستطيع طرحها إلا علمياً) ، نجد أن البحوث الراهنة التي قام بها كل من **اباران** (Oparin) **وبرنال** (Bernal) وغيرهما ، نشير الى أن حادثة ــ وأفضل القول واقعة عرضية ، في معنى علم الكونيات ــ قد جرت وأثرت في مجرى التطور ، الا وهي أن علاقات الضغط الجوي والتركيب الكيميائي للارض والماء وغيرها قد سببت صدفة ، في مرحلة معينة من مراحل برود الكرة الارضية ، تحويل المواد اللاعضوية الى مواد عضوية ، فظهور الحياة لا يمكن استنتاجه إلا بفضل مصادفة غريبة ، لا يمكن ردها الى العناصر التي تتكون منها الحياة : أي من لقاء سلاسل تطور متنافرة غير منسجمة في ذاتها . إنها لحظة ، على المرء أن يضعها نصب عينيه ، ذلك أن العقل الانساني قد فهم العقلانية القانونية على أنها سيطرة انطولوجية للعقلانية ،

بينما في الحقيقة لا يوجد ، إن صح التعبير إلا حتميات مشروطة (١) على نحو (**إن ــ ف**) ماثلة في الواقع . إن وجود حتمية مطلقة لا حد لها ، ليست سوى وهم نضحت به عقول الاساتذة ، اعني أن مثل هذه الحتمية لا وجود لها على الاطلاق . والتاريخ مليء بمثل هذه الحتميات المشروطة على نحو (ان ــ ف) ، بحيث انه ليس من المؤكد بتاتا ، كم هو عدد الكواكب في الكون ، التي نشأت عليها هذه المصادفة التي ندعوها الحياة . ومن الضروري بالطبع أيضا وقوع مصادفات خاصة أخرى ، لتولد ، كما هي الحال على الكوكب الارضي ، ذلك النوع من القردة ، التي تملك القدرة على الانتقال الى مرحلة العمل . فالصدفة قد لعبت هنا دوراً بالغ الاهمية . وهذا الدور الذي قامت به الصدفة ، مع ما يحمله من نتائج تاريخية ، ينتمي الى تاريخية التطور المستوعب على نحو انطولوجي ، حيث نجد الوجود يتحول الى عملية . ولنعد مجدداً الى ماركس لأدلي بملحوظة : لعلك تذكر أن ماركس قد كتب ذات مرة الى كوغلمان (**Kugelmann**) بخصوص الكومونة الفرنسية يعلمه أن التاريخ لهو جد بسيط ، ان لم تكن ثمة مصادفات تتخلل مسيرته . وقد اعتبر على سبيل المثال ، نوعية أولئك الرجال ، الذين يتعاقبون على تزعم الحركة العمالية واحدة من تلك المصادفات . فليس من الممكن أبداً ، استنادا الى تطور الحركة العمالية استنتاج نوعية قوادها ، بل ثمة جانب للصدفة لا يمكن تخطيه كامن في تلك اللحظة . أود هنا أن أجزم في القضية ، كي تلاحظ أن الطرح الانطولوجي للمسألة لا يؤدي الى تبسيط المشكلات أبداً ، إنما خلاف ذلك ، يقدم لنا قاعدة فلسفية ــ علمية لاستيعاب العمليات في تعقيدها كما في عقلانيتها ــ ويفهم تحت كلمة عقلانية دائما وابداً عقلانية مشروطة على نحو (إن ــ ف) . بهذا تستطيع الأنطولوجيا أن تجتاز هذه المشكلات ، التي لم يكن من الممكن حلها من جراء توزيع العمل على مختلف الفروع العلمية **الم كلزن** (**kelsen**) خلال العشرينات

---

(١) الحتميات المشروطة على نحو (ان ــ ف) أي الامور والعلاقات التي تحدث وفق مقياس معقول وتخضع لشرط معين كقولنا في اللغة العربية : (ان تدرس تنجح) . أي أن النجاح معلق بشرط لابد منه وهو الدراسة .

ان نشوء الحقوق يعد لغزا من الالغاز بالنسبة الى علم الحقوق . إلا إن مما لا شك فيه أن أمر النشوء هذا لا ينطوي على لغز مطلقاً ، مع انه تدور بشأنه أعقد المشادات والصراعات الطبقية . فالتاجر العادي ، في ألمانيا الاتحادية ، لا ينظر الى الامر أبداً على انه لغز ، بل يساءل نفسه ، هل استطاعت جماعته أن تمارس ضغطاً قوياً وافياً ، أي في الواقع ضغطاً أنطولوجيا على الحكومة ؛ لتصاغ فقرة قانونية صياغة تلائمه . بيد أن **كلزن** ليس غبياً ، إذ راى أن خلف أمر النشوء ذلك سراً من الاسرار ، ذلك أن مشكلات الحياة الحقة لا يمكن حلها لا بالاعتماد على نظرية المعرفة ولا على المنطق . تستطيع نظرية المعرفة ويستطيع المنطق أن يكونا أداة جيدة في ظروف معينة ، الا انهما اذا تجمدا وصبا في قالب منهجي رئيسي ، كما هي الحال في الكانطيانية والوضعية والوضعية المستحدثة ، تغدو المسائل المعرفية (المنهجية) عثرة أمام معرفة حقة. وانها لنقطة ضعف في الفلسفة الهيغلية تمكن في اقامتها هوة تفصل بين الفلسفة والعلم . بينما نجد أن العلم ، وفق النظرة الماركسية ، يقتحم مجالات عدة سعياً وراء حل المسائل الانطولوجية باستمرار ، كما هي الحال لدى تحدثنا مثلاً عن المشكلة الفلكية سابقا . وتستطيع الفلسفة ، من جهة ثانية ، أن تنقد الفرضيات والنظريات العلمية نقداً انطولوجياً ، مبينة ، أنها تتعارض مثلاً مع بنية الواقع الحقيقية .

هولتز :

لقد أجبت عن السؤال ، هل الانطولوجيا الماركسية ممكنة بمخطط موجز عن أنطولوجيا قد أعددته سابقا . بعبارة أخرى ، لقد أجبت عن السؤال باظهارك ، كيف يجب أن تبدو هذه الانطولوجيا ، كي تكون ممكنة . وقد قاد عرضك هذا ، كما يبدو لي ، الى التحدث عن عدة نقاط أساسية ، ينبغي أن نضعها نصب اعيننا في سياق مناقشتنا .

لقد قلت أن كل ما هو أولي في العالم يحمل طبيعة معقدة ، وأسندت قولك هذا الى نيقولاي **هارتمان** ، الا أن مضمون السؤال الانطولوجي الاساسي ، كيف هي مكونة تلك **العقد** . هذا يعني أنه ينبغي على

الانطولوجيا ، باعتبارها علماً اساسياً ، أن تتقدم العلوم الباقية ، ولهذا بامكانها بالتالي أن تنفذ الى الثغرات القائمة بين مختلف الفروع العلمية لتقوم بدور وسيط بينها ...

لوكاتش :

اجـــل .

هولتـــز :

حسب المفهوم الماركسي ــ ويبدو لي الامر جد جوهري ــ يعد العلم الاساسي دائما علما تاريخيا . وقد استشهدت بالجملة الماركسية التي تقول ، إن التاريخ والتاريخ فحسب ، يقوم بعمله كعلم موحد بالمعنى الماركسي ...

لوكاتش :

اجـــل .

هولتـــز :

... وقد عمدت الى الداروينية ثم الى **غوتـه ولامارك** لشرح هذه المشكلة اعتماداً على العلوم الطبيعية بضربك الامثلة .

أود فقط أن أضيف علاوة على ما تقدم ، ولو بصورة عابرة فقط ، أن النظرة التاريخية الى الطبيعة تعود بالطبع الى مواقف معينة في فلسفة عصر التنويـر ...

لوكاتش :

لا شـك ...

هولتـــز :

...وأننـا نجـد بالتالي عنـد **لايبنتز (Leibnitz)** في كتابـه **(Protogea)** محاولة للنظر الى الطبيعة نظرة تاريخية ...

لوكاتش :

لا شـك ...

هولتـز :

... لعـل في وسـع المرء ان ينظـر بعامـة الى نظريـة الاصوات (**Monaden**) على أنها محاولة تأمليـة لفهم الذريـة (**Atomismus**) وتفسيرها على نحو تاريخي .

لوكاتش :

اجل ، وإن جاز لي أن اقاطعك لادلي بملاحظة ، أعتقد أن عدم دراسة **لايبنتز** اهمال ما بعده اهمال ، يقع على عاتق الماركسيين . وبعد **لايبنتز** شخصية معقدة وشيقة للغاية ، لم نبذل جهداً كافياً بعد لسبر غورها ـ واعد نفسي في صفوف الخطأة المهملين ـ إنني أوافقك على ما تقول تماماً . انها لمهمة جسيمة ، ليس بوسعنا بعد أن نتوقع ابعاد نتائجها .

هولتـز :

لقد سرت نفسي بقولك هذا ، ذلك أن **لايبنتز** هو الموضوع الخاص المباشر في دراستي وبحثي .

لوكاتش :

هذا يثير اهتمامي حقاً .

هولتـز :

واجيـز لنفسي ان اذكـرك ، ان **ماركس** قـد اكبر صنـع **لايبنتز** أيما اكبـار ...

لوكاتش :

لا شـك في ذلـك .

هولتـز :

... واكد على ذلك مرارا . ونجد أن التعليقات اللينينية حول كتاب **فويربـاخ** (**Feuerbach**) عن **لايبنتز** ـ الذي يعد فضلا عن ذلك ، مـن افضل ما كتب في الفلسفة الالمانية عن **لايبنتز** ...

لوكاتش :

كتاب **فويربـاخ** ...

هولتـز :

... كتاب **فويرباخ** والتعليقات اللينينية ...

لوكاتش :

إنها لحصافة باهرة .

هولتـز :

... يحتويان على أوجه جوهرية في تفسير الجدلية قبـل **هيغـل** . وليكن هذا على هامش الحديث . كنا اذاً قد انطلقنا من ان الانطولوجيا ، باعتبارها علماً اساسياً ، تفصل نماذج ذهنية محددة ؛ ومفهوم النموذج لاأستعمله هنا بالمعنى الوضعي الحديث ، بل بصورة عامة ـ أقول اذاً : نماذج ذهنية محددة ، بموجبها تشاد العلاقة بين المعارف المستقاة مـن مختلف العلوم عن طبيعة الوجود .

لوكاتش :

أجـل ...

هولتـز :

بهذا نتعرض الى المشكلة الجمالية ، ذلك ان العمـل الفنـي يعد ايضا ، ولنقل على صعيد اضيق ، مشروع نموذج ، وبالتالي يشاد في كل عمل فني عالم صغير مـا .

لوكاتش :

أجـل ، بدون ريب .

هولتـز :

هذا يعني إذاً ، أن كل عمل فني يتضمن في الواقع قصدا انطولوجياً إن شئت ...

لوكاتش :

أجـل ...

هولتـــز :

... أي خلق عالم ، ولأستعمل اللفظة اللايبنتيزية ، خلق عالـم ممكـن .

لوكاتش :

اجـــل .

هولتـــز :

... وينطلق العمل الفني من المقدمة الانطولوجية التي تقول ، إن الكون منظم ولا تسوده الفوضى . وهي مقدمة منطقية لا يدعهـا علـم الفيزياء على حالها تماماً . بيد أن العمل الفني ، باعتباره عالماً لا يستطيع أن يستوعب إلا العلاقات المنطقية المنسجمة في ذاتها ، يفترض بالتالي أن ما يشيده ، إنما هو عالم منظـم (Cosmos) ، وأن داخل هذا العالـم المنظم المغلق ترتبط جميع الاجزاء ببعضها بعلاقات لازبة بقليل أو كثير . قد يعني هذا ان أي علاقة صورية تتجلى في إطار مجموعة مـن صلات مغلقة ، يمكن اعتبارها ، في نظرنا كذلك ، عملاً فنياً . من المؤكد أننـا لا نعمد الى مثل هذا الرأي ، فلا في اللغة العادية إبان تحدثنا عن العمـل الفني ، ولا في المعنى الحصري الجمالي ، نعد أي علاقة صورية ، كيفما اتفق ، عملا فنيا . عندما نتكلم عن عمل فني ، نعني بالاحرى ، أن العالم الصغير الذي يشاد في العمل الفني ، إنما يمثل ، بصورة من الصور ، العالم الاوسع الرحب ، الذي ينفذ الى صميم العمل الفني ، وينعكس فيـه ويصوره . ينبغي اذاً استعمال هذه اللفظات بحذر شديد . ونأمل بالتالي أن يكون العمل الفني إسقاط واقع اكبر على واقع أصغر في إطار علاقـة (أي كون أو عالم) منسجمة مغلقة ، وبالتالي واضحة الرؤية . هـذا يعني ، أن ما يمور به العالم من أشياء تتجلى لنا متشابكة متضافرة الى ما لا نهاية ، بحيث يعسر علينا فهمها ، يحوله العمل الفني الى لوحـة مكثفة ، الى مزيج من علاقات بسيطة ، يمكن رؤية معالمها وسبر معانيها . فاذا تأملنا مثلاً في رواية الجبل السحري (١) واعتبرناها مـرآة تعكس

---

(١) هي رواية توماس مان الرائعة .

مرحلة تاريخية من العالم ، نجد انها تخلق لوحة عالم صغير منظم يعكس العالم الكبير . ويطالعنا ، من الناحية الانطولوجية ، السؤال ، عن سمات هذه العلاقة ، التي تمثل العالم الكبير . وبكلمات اخرى : ما معنى ، أن يتسنى للمرء رسم صورة عالم منسجم مغلق عن عالم لا نهائي يقوم على عدد لا يحصى من مصادفات غامضة ؟

لوكاتش :

الا انظر ، لا بد لي من المضي مجدداً ابعد مما تقدم ، ليتسنى لي ، أن اجيبك عن هذا السؤال . ثمة ميزة يتجلى بها العالم اجتماعي ـ الانساني، ألا وهي أنه يجب على من يعمل أن يكون صورة معينة عما يعمل وعن طريقة العمل . ومن البديهي ، أن الحيوانات المتطورة أكثر من غيرها تملك مثل تلك الصور ايضاً ، ويجدر بي أن أقول ، بأن في استطاعة هذا الحيوانات أن تكون مثل هذه الصور . وينبغي الاشارة الى أن الصورة تعني هنا مراقبة ظاهرة معينة مراقبة دقيقة وحادة ، على أن تكون هذه الظاهرة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بحياة الحيوان ، وعلى علم بها تماماً . كالدجاجة ، التي تقوم بحركات معينة لفراخها لتجد ملاذا ، كلما لمحت طيرا كاسرا يمر فوق الخم . بيد أن السؤال المطروح هو التالي : هل تستوعب الدجاجة بالفكر وجود الطير الكاسر ؟ باعتقادي لا . وقد سقت كتابي « علم الجمال » مثال العنكبوت ، والذبابة التي تقع في نسيج خيوطه . فالعنكبوت لا يدري ،أن هذه الذبابة هي ذاتها ، التي اعتاد أن يفترسها كلما وقعت في شباكه ،ذلك أن الذبابة هي في نظر العنكبوت شيء ما يقع في الشباك ، وعلى هذا يكون ضحية الافتراس . أما العنكبوت فلا يتوصل مطلقاً الى تكوين مفهوم عن الذبابة ، وكذلك الحيوانات الراقية لا تتوصل الى تكوين مثل هذه المفاهيم . إن فهم الاشياء لا يتكون إلا بدءاً من العمل ، حيث أن هذا الفهم يعني هنا ادراكاً مباشراً مستقلاً ينجم عن حادثة ذات أهمية بالغة ، شأن ذلك تماماً شأن ادراك ، أن الطائر الكاسر حبيس القفص هو ذاته الطائر الكاسر الهائم في الفضاء . أما بالنسبة الى الصورة ، فتعتبر تماثلاً يمكن أن تتم هويته بعد ، ومنها ينشأ فينا العالم الواسع الافق : التفكير . ففي مجرى نشوء المجتمع

الانساني تطور عامل الاستيعاب ، المرتبط بالعمل ارتباطاً وثيقاً ، شيئاً فشيئاً ، ذلك انه من البديهي ، أن نجد اليوم علوماً متطورة تطوراً عالياً كالرياضيات والهندسة نشأت أصلاً انطلاقاً من العمل . واعتقد أن لا مندوحة من إضاعة الوقت في التحدث عن ذلك . في مضمار العمل وبدءا من تلك اللحظة ، التي لم تكن في البدء سوى لحظة بسيطة ، فيها تم التساؤل عن تلاؤم او عدم تلاؤم حجر من الاحجار لانجاز عمل من الاعمال ، نشأ **مجالاً كاملاً** للحياة اعني به : العلم . لقد اتخذ هذا التطور مجراه تدريجياً . ولا أود التكلم باسهاب وتفصيل عن نشوء هذا العلم ، بل يكفي أن الخص قولي ، بأننا نحن البشر قد اكتسبنا تدريجياً ومع مر الزمن ،وعياً ببنية العالم الموضوعي ، وعياً ، خاضعاً حالياً بالطبع لرقابة انطولوجية ، يعطينا صورة عن الواقع . ومن المفروغ منه ، ان هذه الرقابة الانطولوجية بالذات تتسم بطابع تاريخي ، بمعنى أن ثمة صلات ما ، في اطار بعض الظروف ، هي ليست بصلات بعد موضوعياً ، بل تظهر فقط بمظهر الصلات ، تبدي لنا جملة من انفصالات لا مفر منها انطولوجياً . واذكر على سبيل المثال ، أن الفكرة التي تكونت في السابق عن العالم الواقع فوق القمر والعالم الواقع تحت القمر ، حيث زعم ان النظام الرائع المبني على أسس رياضية واضحة يسود في عالم ما فوق القمر وأن الفوضى تسود في عالم ما تحت القمر ، شكلت عثرة انطولوجية لا يمكن تجاوزها أمام انسان عصر التاريخ القديم ، الذي وجد نفسه مرغماً على وضع الثنائية (ونستطيع أن نلاحظ هذا حتى عند أرسطو) . وما أن طور الانسان علم كونيات (**Cosmologie**) فيه العمق والحركة ، كما هي الحال في قانون سقوط الاجسام **لغاليله** ، حتى توارث تلك الثنائية من الاذهان كلياً ، ولم تعد تقوم بأي دور في التصورات الانطولوجية للانسان المعاصر على الاطلاق . أود أن أشير استناداً الى ما تقدم ، أن نقد العلوم الانطولوجي لا يعد ممارسة نقدية هينة ، تقع في متناول اي استاذ جامعي ، بل هو عملية تاريخية ضخمة ، عليها أن تتخطى بعض انماط التصورات الخاطئة من الوجهة الانطولوجية عبر جسر من العمل والنشاط الاجتماعي ، وعلى هذا النحو ينشأ في خضم

العلم وعي بالواقع ، وعي ينزع أبداً نحو الانفكاك عن الاسس الانطولوجية ـ التاريخية ، التي حددت ولادته ونشوءه . إن عملية الانفكاك هذه قد تلقى نجاحاً في جزئها الاكبر ، لاننا لسنا في حاجة أبداً ، لنستوعب نظرية **فيثاغوراس** ، الى معرفة الظروف الانتاجية ، التي نشأت هذه النظرية في مناخها ، مع أن مثل هذا الاساس الانطولوجي لظهور مثل هذه النظرية كان موجوداً موضوعياً بالتأكيد .

والآن أنتقل للتحدث عن الفن . واريد أن أتعمق في الطرائق المتعددة لولادة الفنون ، ذلك اني أعتقد ، كما يمكنك أن تلمس هذا في كتابي « علم الجمال » ، أن ليس للفن من منشأ موحد ، انما قد صار شيئا فشيئا الى تأليف نسبي ـ ان صح التعبير ـ ، بحيث أننا نقع على مبادىء عامة سائدة في أشد الفنون اختلافا . وقد عرضت كذلك في مؤلفي « علم الجمال » ، أن الاستيعاب العلمي للفن يفترض التخلي عن التصورات الانسانية الشكل ، واعني بهذا التخلي ، انه ينبغي علينا أن نتحرر من الحواجز التي نصبتها ادراكاتنا الحسية وفرضها نمط تفكيرنا العادي . ففي سياق تعرفنا ، مثلا ، بالاشعاعات تحت الحمراء وبالاشعاعات فوق البنفسجية وسماعنا اهتزازات الصوت الفوقية ... قد تخطينا الحدود الانسانية الشكل لوجودنا . لكن في مجرى المجتمع ، حيث نقوم بكل هذه الاعمال ، نحيا حياة بشرية . وإبان قيامنا بذلك نقرر أمرا لا نلقاه في الطبيعة بتاتا ،الا وهو ايجاد التضاد بين ما يتحلى بقيمة وبين ما لا يتحلى. أرى أن الامر يدور هنا مجددا حول أمور بسيطة . ان الرجل البدائي ، الذي تحدثت عنه سابقا ، كان ينتقي أحجارا في مكان ما ، جازما ، أن هذا الحجر يناسبه لقطع فروع الشجر وذاك لا يناسبه . فهذه الواقعة ـ مناسب أو غير مناسب ـ ان هي سوى عبارة عن طرح جديد لسؤال لا يمكن أن نلقاه في الطبيعة اللاعضوية ، ذلك أن تدحرج حجر من قمة الجبل الى الاسفل ، لا يعني مسألة اخفاق أو نجاح ، ولا تساؤلا عن وصول الحجر الى السفح قطعة واحدة أو قطعتين أو مئة قطعة . ان الطبيعة اللاعضوية لا تكترث بمثل هذا التساؤل على الاطلاق ، بينما في ميدان القيام بأبسط الاعمال . في غمار التساؤل عن المفيد وغير المفيد ،

عن الملائم وغير الملائم يولد مفهوم القيمة . فكلما تطور العمل ، كلما اتسعت دائرة امتثالات القيم ، التي يتضمنها العمل ، وكلما أعيد طرح السؤال على نحو اكثر فطنة وبمستوى ارفع من السابق ، عن وجود شيء ما يتلاءم أو لا يتلاءم والاحوال السائدة في خضم عملية تزداد تعقيدا واجتماعية يوما عن يوم ، وذلك من أجل تكوين جديد ذاتي للانسان . هنا يكمن ، بتقديري ، المنشأ الانطولوجي ، لما ندعوه قيمة . فانطلاقا من التضاد القائم بين ما يتحلى بقيمة وبين مالا يتحلى تولد مقولة جديدة ، تتعلق بما قد أمسى في الحياة الاجتماعية حياة زاخرة بالمعاني أو حياة عبث ومحال . على هذا نجدنا إزاء عملية تاريخية ضخمة كانت خلالها الحياة المفيدة ، أصلا وبعد مضي فترة طويلة ، متماثلة مع حياة توافق المجتمع . لنأخذ مثلا ما نقش على النصب التذكاري تخليدا لذكرى رجال سبارطة الذين سقطوا في ساحة القتال في ترموبولة : « ان حياتهم كانت زاخرة بالمعنى ، لانهم قاتلوا واستشهدوا في سبيل سبارطة ، لا شيء سوى ذلك ! » قد سبق أن ظهرت تناقضات معينة في الحضارة القديمة . ومن واجب الانسان أن يعمل بصورة موحدة في غمار أشد التعقيدات اختلافا ، التي تمور بها الحياة الاجتماعية ، لأن عليه يقع أمر تكوين حياته الذاتية وتجديدها ، وعلى هذا النحو ينشأ ما ندعوه شخصية ، ما نسميه فردية الانسان . وتستطيع أن تشاهد مقياسا أنطولوجيا فيما يلي : قد أشار **لايبنتيز** ذات مرة محدثا أميرات هانوفر ، الى أنه لا توجد ورقتان من شجرة واحدة تتماثلان . ان فكرة **لايبنتيز** هذه طالعتنا في القرن التاسع عشر من جديد ، حين علمنا أنه لا يوجد شخصان يحملان بصمات الاصابع ذاتها . لا غرو ان هذه الفكرة تعبر عن مقولة الواحدية . وحقيقة أن الواحدية تولد الشخصية لمشكلة تعود الى التطور الانطولوجي ـ الاجتماعي .

والآن أرى أن الفن ، في شكله المتطور ، ليس سوى عود على الانسان. فليس انطلاقا من الانسان ، أنزع نحو عرض الواقع الموضوعي كما يبدو مستقلا عن الانسان ؛ ذلك أنه ينبغي أن أحاول النظر اليه كشيء مستقل ، والا لن أستطيع الى العمل سبيلا . وما لم تنعكس امنياتي وميولي وغيرها

في العمل ، لا في الاختيار الغائي ، بل في تحقيق الاختيار الغائي اعتمادا على السلاسل السببية ، سيخفق مسعاي لا محال . لكن ثمة وجهة نظر أخرى وهي أن جملة هذه الاصطفاءات تعود الى الانسان ، ومن هذه الرابطة المنعكسة على الانسان يتبلور الطابع الموحد لمختلف نقاط الانطلاق نحو الفن ، كما هي الحال في رسوم البدائيين في الكهوف ، والرقصات البدائية ، والانتقال من فن البناء الى الهندسة المعمارية . ويجب ألا يغفل عنا ، أن فن البناء أقدم من الهندسة المعمارية بكثير . ويكمن ثمة ميل موحد يعيد الواقع كله الى تطور الانسان ، أو كما قلت في « علم الجمال » الى الوعي الذاتي للانسان . لذا أود القول ، ان الفن ، في معناه الانطولوجي ، هو عبارة عن اعادة تكوين عملية ، يستوعب الانسان في خضمها ، حياته الذاتية في اطار المجتمع والطبيعة ، مع المشكلات بأجمعها والمبادىء المشجعة والعائقة برمتها ، التي تحدد هذه الحياة والعائدة اليه وحده . لذا فالفن ــ وهذا يعد شديد الاهمية بالنسبة الى الانطولوجيا ــ ليس بمنفصل ، عن أصل نشوئه ، بطريقة تنزع نحو التخلي عن قياس الامور بمقياس بشري (**desanthropomorphisierend**) . اننا لا نستطيع أن نفهم **هوميروس** كما يقول **ماركس** ، الا على أنه يمثل طفولة الانسانية ، أما اذا حاولنا فهم **هوميروس** وكأنه يمثل انسان العصر الحالي ، فلن نخرج الا بسخافات عقيمة ، بيد أننا نرى في شخص **هوميروس** وباقي الشعراء القدامى ماضينا ذاته ، فليس في وسعنا ، في الواقع ، سبر ماضي الانسان الا بفضل الفن ، أما حقائق التاريخ الكبرى فلن تقدم لنا على وجه العموم الا تبدلات تطرأ على مختلف البنى . وتبيان أن ثمة **استمرار متصل** لموقف الانسان من المجتمع ومن الطبيعة ، في خضم تلك التبدلات ، تلكم هي رسالة الفن بالذات .

هولتز ــ هلا يجوز لي أن أقاطعك هنا ؟ أعتقد أنه لا يسعنا الاكتفاء بمفهوم ماض يخصنا ، نبعثه حيا في وعينا أو نعيد تجديده من خلال الاعمال الفنية القديمة ، ذلك أننا نعاني من خلال العمل الفني القديم ، لا من خلال الاعمال الفنية كلها ، بل طاقة منها ، شيئا من «الزمن الحالي» كما قال ذات مرة فالتر **بنيامين** (**Benjamin**) ، هذا يعني : نفخ حياة

جديدة في مضمون الاعمال الفنية تلك ، لتبدو في نظرنا كمشكلة راهنة . نستطيع بالتالي مثلا طرح مشكلة « انتيغونا » عند **سوفوكلس** باستمرار في ظروف اجتماعية معينة ، كمشكلة راهنة ، وليست فقط كمشكلة تنتمي الى طفولة الانسانية .

لوكاتش ــ الا انظر ، أود العودة من جديد الى الحياة اليومية الساذجة . ان كل انسان يملك شعورا ما أو ذكرى ما عن عهد طفولته . واذا أخذنا مثلا الحوادث التي وقعت إبان طفولتك ، تجد دون أدنى شك درجات متفاوتة من الحوادث ، من ضمنها بعض ذكريات ، تشعر اليوم أنها ثانوية هزيلة ، لا تمت الى وجودك الخلقي ــ النفسي الحالي بأي صلة . ومن ناحية ثانية ستجد أنك في عهد الطفولة قد قمت بأمور وتحدثت عن أشياء تضمنها ، كنواة ، أناك الحالية كلها . يجب أن نأخذ الماضي في معناه الانطولوجي ، لا في المعنى المعرفي (من وجهة نظر نظرية المعرفة) ؛ فاذا نظرت الى الماضي ، من زاوية نظرية المعرفة ، يصبح ما مضى قد انقضى . أما انطولوجيا ، فان الماضي لا يحمل صفة الماضي ؛ انما يقوم بدوره في صميم الحاضر ، وليس الماضي كله ، بل أجزاء منه فقط ، وليست الاجزاء ذاتها هي التي تقوم دوما بدور ما . أود أن أذكرك بتطورك الشخصي : مما لا شك فيه أن عوامل عديدة قد قامت بأدوار مختلفة في أزمنة مختلفة من طفولتك . على هذا النحو فان عملية الحفاظ على الفن ، والتي أعتبرها ذكرى ماضي الانسانية وتراثها ، لهي عملية جد معقدة . وبصدد هذا أذكرك بواقعة واحدة لا غير ، ألا وهي أن اسم **هوميروس** قد غاب في طي النسيان في نهاية العصر القديم ، وزاحمه **فرجيل** حتى مطلع العصر الحديث كل المزاحمة ؛ ذلك أن انسان العصر الوسيط قد اكتشف في **فرجيل** طفولته ، فكان لا بد من قدوم الحضارة البرجوازية وظهور النقاد الانكليز الذين اعتادوا أن يقرنوا **هوميروس** **بفرجيل** ، أو ظهور **فيكو** (Vico) في القرن السابع عشر ، ليتاح للانسانية أن تربط ماضيها **بهوميروس** الشاعر . وقد لحق **شكسبير** المصير ذاته . هكذا نشاهد مدا وجزرا في خضم ما يعد أدبا أو فنا عالميا حيا . يكفي أن نذكر مثلا ، كيف أن مؤرخا في الفن مرموقا كالمؤرخ

بوركهارد (**Burckhardt**) قد رفض فن الباروك (**Barock**) والزخرفة اليدوية المتكلفة ويالها من نهضة يلقاها اليوم هذا الفن ! ومن الجلي ، ان هذه الذكرى ذاتها هي عبارة عن عملية تاريخية ، لذا لدى تحدثي عن الذكرى والماضي ، أضطر للنظر اليهما كبرهات أنطولوجية في سياق تطور الانسانية الحي ، لا كتقسيم منهجي للزمان الى ماضٍ وحاضر ومستقبل ، اذ أن هذا التقسيم قد يعود بالفائدة في ظروف خاصة بالعلم . الا أن رأي **بنيامين** ، أن الماضي ، عندما يغدو حاضرا ، لا يعدو عن كونه منبعثا عن الماضي ، ليس هو بالراي الصائب . وشهدت واحدة من الحادثات الهامة في طفولتي ، عندما طالعت الالياذة نثرا بلغة هنغارية وكنت في التاسعة من العمر ، وبهذه المطالعة غدا مصير هكتور ــ وهو أن الانسان الذي يقاسي مر الهزيمة هو على حق وهو البطل المفضل ــ عاملا حاسما في تطور حياتي اللاحق بأكمله . ان هذا الاثر يرجع بلا ريب الى هوميروس ، ولو لم يعد اليه ، لما استطاع أن يؤثر في على هذا النحو . لكن من الواضح ، أن ليس كل انسان طالع الالياذة كما طالعتها أنا . فكر فقط في الفرق الكامن في تحليل شخصية بروتوس عند **دانته** وعند كتاب عصر النهضة ، لتر كم أن أوجه الاختلاف في التحليل هذا شديدة . ان ثمة عملية ضخمة ، عملية مستمرة تأخذ منها كل حقبة ما يتفق ومصالحها الخاصة . وان شئت سأعمد هنا الى قلب تام للعلم المتوارث . يرى تاريخ الادب المقارن مثلا أن الامر يدور حول تأثير ما : ان قصة حياة « غوتس فون برليشنغن » قد اثرت في روايات فالتر **سكوت** (**Scott**) وهكذا ... بيد أني أعتقد ، أن الامر حصل في الواقع خلاف ذلك تماما ، كما حاولت تبيان هذا في كتابي « الرواية التاريخية » . إثر اندلاع الثورة الفرنسية ونشوب حروب نابليون وغيرها ظهرت مشكلة التاريخية بالنسبة الى الادب ، وهذه المشكلة ، كما تعلم ، لم تكن موجودة بعد في القرن الثامن عشر . وعلى قدر تأثر فالتر **سكوت** شخصيا بتلك الحوادث التاريخية ، وجد نقطة ارتكاز في سيرة « غوتس فون برليشنغن » تمشيا مع عبارة موليير « آخذ نصيبي أينما وجد » ، مع أن أسباب ظهور هذه السيرة يعود الى أمور أخرى . وهذا يؤدي الى نتيجة بالغة الاهمية بالنسبة الى انطولوجيا

الفن ، وهي أنه من المحال أن تخلد سوى تلك الاعمال الفنية ، التي ترتبط بتطور الانسانية بما هي انسانية ، ارتباطا وثيقا عميقا ، وبالتالي تستطيع أن تبث أثرها مهما تضاربت أشكال تفسيرها . اذا اردت دراسة قصة التأثيرات التي تركها **هوميروس** أو **شكسبير** أو **غوته** ، تجد أنها تنعكس في تطور وعي العصور اللاحقة بأكملها سلبا أو ايجابا .

والآن نقدم على مشكلة بالغة الاهمية ؛ ألا وهي ، أن الاعمال الفنية أو التي تعد كذلك ، ــ والتي تعكس بعض مشكلات يومية بفائض من الحيوية ، لكنها تعجز عن تطوير هذه المشكلات حتى ذروتها ، فتقوم ، بطريقة أو باخرى بدور ايجابي أو سلبي في مضمار تطور البشرية ــ لا يلبث الزمن أن يغمرها بعد انقضاء مدة وجيزة نسبياً . واستطيع أن أقول كرجل مسن ، أن ثمة كتاباً طبقت شهرتهم الآفاق في عهد شبابي ، وتبنيت أعمالهم بحماس ، أمثال ميترلينك (Maeterlisck) ود انونزيو (d'Annunzio) وغيرهما ، قد أمست مؤلفاتهم في الوقت الحاضر نسيا منسيا لا يطالعها أحد . كذلك هي الحال طبعا بالنسبة الى تاريخ الفن والادب ، فهو عملية حية من جهة ، وقبر جماعي من جهة ثانية . إن اعتمادنا على العلوم بفروعها المتعددة يؤدي بنا الى الاخذ بفكرة خاطئة : بما أن هذه العلوم بفروعها المتعددة قادرة على استخلاص كل شيء من بئر الماضي ، يستحوذ علينا وهم يجعلنا نتصور أن هذه الامور مرتبطة بحبل ذكرى تطور الانسانية حقاً . المسألة ليست ببساطة مسألة تساؤل عن الصالح والطالح . خذ مثلاً عدداً من كتاب المأساة في عصر اليزابيث ، تجد أنهم كانوا شعراء مرموقين ، مع ذلك ، اذا غضضت الطرف عن أثر أو أثرين ثانويين ، لا نرى في ذلك العصر سوى **شكسبير** يتربع على سدة الخلود ويحوز على زخم ينبض بالحياة . ومن الشيق الآن أن نتساءل ، عن سبب أثر **شكسبير** دون غيره . مما لا شك فيه أن **مارلو** (Marlowe) و **فورد** (Ford) **ووبستر** (Webster) ينبضون حياة ، فيما يتعلق بتعلم فقه اللغة الانكليزية بخاصة ، لكنهم ليسوا كذلك بالنسبة الى تطور الانسانية . هنا نرى أن تطبيق العلم قد أدى الى إظلام علاقة ملموسة ، بدلاً من أن يزيد في توضيحها . وكي

أعود الى قضية **بنيامين** اقول ، إن عامل الاثر المباشر في الحاضر هو ميزة كل فن ، إلا أن هذا الاثر يمكن أن يحصل بصورة سطحية أو عميقة ، فان لم يؤثر العمل الفني إلا اثراً سطحيا ، يكون يدور في فلك بدعة عابرة ؛ أما اذا اثر تأثيراً بالغا ، **فسيلقى** دائماً وابداً ، وإن مرت فترات اهمل فيها ذكر المؤلف مئات السنين ، انبعاثاً جديداً . إن القسم الاساسي الخالد في مضمار الادب والفن يتمتع في الواقع باستمرار أرسخ بكثير مما اعتدنا أن نتصور . وقد تجلى طابع الرسوخ هذا في العهد القديم ، فيما قد حفظ من مخطوطات التراث القديم وما لم يحفظ . ولا يجري في عصرنا مثل هذا الاصطفاء ، الذي يقصي بلا رحمة ولا تردد كل الاشياء التي لا تعالج سوى مجرد مشكلات سطحية في العالم . إني لا ازال أذكر ، أنني عندما قرات المؤلفات الاولى للطبيعيين الالمان ، وكنت آنذاك فتى في الخامسة أو السادسة عشر من العمر ، اجتاحتني موجة حماس بطولي جارف لقدرة هؤلاء الكتاب على إبداء الفروق الدقيقة الكامنة في اللغة الالمانية ، واعتبرت ذلك آنذاك تقدما فنيا بارعا . والآن يرى الجميع ، أن هذه النزعة لا تنم الا عن اشياء سخيفة . وان وجدنا أن بعض مؤلفات **هاوبتمان** (**Hauptmann**) الشاب لا زالت تنبض بالحياة ، فهذا لا يعود الى اللغة الطبيعية التي استخدمها ، بل الى أسباب أخرى . وكذلك اليوم ، وإثر استخدام وسائل التوجيه العقلي المناور ، تسود فكرة ، ترمي الى أن ابداع أسلوب جديد من أساليب التعبير الفني ، يعتبر ، بدون أخذ ورد ، عملا يتمتع بقيمة ما ، لأنه أبدع واستخدم لا غير . واذا أخذنا على سبيل المثال موضوع النقد الالماني الحديث ، نجد أن هؤلاء النقاد ينظرون الى المونولوج الداخلي ، بشكل عام ، نظرة مفعمة بالرقق والحسنى ؛ بينما اذا أتى أحدهم وطلع عليهم بعمل يهمل المونولوج الداخلي ، يعتبر في نظرهم صاحب أسلوب بالٍ سلفا ، مع أن السؤال عن تضمين العمل الفني حوارا مع الذات أو عدم تضمينه ، هو عبارة عن سؤال ثانوي يتعلق بالمبنى بالنسبة الى المعنى . واذا أخذت على سبيل المثال رواية **سمبرون** (**Semprun**) « الرحلة الكبيرة » ، لوجدت انها عبارة عن مونولوج داخلي ، وأرى أنها واحدة من أهم نتاج الواقعية

الاشتراكية ـ لعلك تعذرني لاني محافظ واستعمل هذا التعبير ـ وهذا يدل على أن الحوار الباطني والواقعية الاشتراكية لا يتنافيان .

هولتز ـ قد قربنا من نقطة ، يبـدو لي أنها ستبدو سوء فهم نلمسه غالبا ، كلما دار النقاش حول مفهوم الواقعية . وجرت العادة عندك ، أنك تفهم الفرق بين الفن الواقعي والفن غير الواقعي ، على نحو أن العمل الفني الواقعي يتضمن واقعية أعمق من العمل الفني اللاواقعي . والآن ، استنادا الى القول ، الذي أدليت به قبل حين ، ومفاده ، أن الاعمال التي لا تطويها يد النسيان هي فقط الاعمال الفنية المرتبطة بتطور الانسانية ارتباطا وثيقا عميقا ، أجد أن هذا لا يتعارض والقول ، ان الاعمال الفنية الاخـرى تتضمن أيضا واقعا مكثفا ، الا أنه واقع لا يستشرف آفاقـا مستقبلية ، لا يحمل تطلعات بعيدة من أجل تطوير الانسانية . هذا يعني بالتالي ، أن الواقعية واللاواقعية في العمل الفني لا تتعلقان بالواقـع الراهن ، الذي تحاول أن تعكسه ، انما بالمنظور التاريخي ، أي بالتطلعات المستقبلية ذاتها ، التي يتاح لها أن تتجلى عبره .

لوكاتش ـ أجل ، الا أنظر . ان في الامر مشكلة ، أقف بشأنها من البداية وقفة المعارض مع مؤرخي الفن والادب . وتبدو القضية هينة للغاية . سآخذ مثالا كاريكاتوريا نوعا ما . أحدهم يقول مثلا ، ان سيرة « غوتس فون برليشنغن » هي واقعية بينما مسرحية « ايفيغيني » غـير واقعية ، لأنها كتبت شعرا . مثل هذه المقاييس موجودة بالطبع . وفي غمار هـذه المقارنات ، ثمة بالتأكيـد حالات تتصادم فيها الواقعيـة واللاواقعية ، كما يمكن أن نشاهد ذلك مثلا عند شخصيات مرموقة من مصاف **شيلر** (Schiller) وريشارد **فاغنر** (Wagner) ؛ فهما قـد تجـاوزا ، بسبب بعض تصورات مثالية وتقاليـد فضفاضة مفهومهما الخاص عن الواقعية . واذكر مثلا ، كيف أن **شيلر** قد شوه تماما شخصية الملكة اليزابيث في مسرحيته « ماريا سيتوارت » ، ليرضي مبادئه الخلقية. وأذهب ، من وجهة ثانية ، الى أن التضاد ـ وهو ذا الآن التضاد الفعلي ، الذي أتحدث عنه ـ الماثل بين الواقعية والطبيعية هو أضخم تضاد ماثل

في علم الجمال . سيعترضك في مؤلفاتي الجمالية باستمرار هذا التضاد ، في حين تجد أن مؤرخي فنون مرموقين ، كالمؤرخين التابعين لمدرسة ريكل (**Riegel - Schule**) يدرسون الواقعية والطبيعيـة وكأنهما مترادفان . وهذا ليس بأمر صائب على الاطلاق . ولا يسعنا أن نقول الا أننا نلقى مع ظهور التعبيرية الالمانية وعند روادها ألوانا لا تحصى من العناصر التعبيرية، الا أننا لا نلمس أبدا أي ميل نحو الطبيعية عند اتباع المذهب التعبيري الحق ، ومن حـذا حذوهم ، ـ أي لا نلمس هذا الميـل لا عنـد **مانه** (**Manet**) **ولا مونه** (**Monet**)الابن ، أو **سيسلي** (**Sisley**)أو **بيسارو** (**Pissaro**) ، ولا نلمسه بالأخص عند **سيزان** (**Cézanne**)ـ فاذا نظر تاريخ الفن الى الواقعية والطبيعية وكأنهما اتجاهان متماثلان ، يكون بهذا قد أهمل مشكلة بالغة الاهمية من مشكلاته. لا أود الغوص خلف الجزئيات لكن بما أنك اطلعت على مؤلفاتي ، تعلم تماما ، أن هذه المسألة شغلتني كثيرا . واذا عمدت ، مثلا ، الى نقد الواقعية الاشتراكية في عهد ستالين ، في ذلك الكتيب حول الفن الحديث ، فان نقدي ينصب عليه من ناحية معينة ، وهي أني ادعو واقعية ذلك العصر طبيعية ريفية . فما يشق دربه تحت لواء « الواقعية الاشتراكية » ، وما بات يستعمل اليوم لتلويث سمعة « الواقعيـة الاشتراكية » ، لا يمـت الـى الواقعية الاشتراكية بصلة، ولا يمت الى الواقعية بصلة على الاطـلاق ، بل يتسم بمسحة طبيعية ريفية . فاذا تحدثنا اذا عن مفهوم الواقعية ، فأعني بذلك نوعا من أنواع الادب ، أسميته في مؤلفاتي الجدلية التي تناولت العصر السوفيتي ، الواقعيـة من هوميروس حتى غوركي . وأنجزت ذلك بالمعنى الحرفي للكلمة ، لا لكي أقارن غوركي بهوميروس ، بل بالاحرى كي أبين ، أن ثمة اتجاها مشتركا ، لا يعنى بنزعة نحو فنون التعبير والاسلوب وغيرها ... بل يطمح نحو الكائن الحق الجوهري في الانسانية ، الباقي في مجرى التطور . وترتبط مشكلات الواقعية بمثل هذا الطموح . فالواقعية التي نحن بصددها ، والتي ليست مسألة أسلوب بقدر ما هي الفن المائل في كل العصور ـ وهنا يكمن الشيء الجوهري ـ ترد المشكلات الراهنة المباشرة الى تطور الانسانية العام وتربطها به ، وهذه الرابطة ذاتها قد تظل محتجبة عن الكاتب نفسه . بكلمات أخرى ، ان **هوميروس** لم يكن ليملك تصورا

عن الانسانية ، ومع هذا نجد في المشهد ، حيث يرحل بريامـوس قاصدا آشيل ليعيد جثمان هكتور مشكلة مهمة مطروحة ترتبط بالانسانية ، لا يمكن أن يمر بها انسان اليوم مر الكرام ، اذا أراد أن يجري حسابا مع الماضي ومع نفسه . تلكم هي المشكلة ، التي أفكر بها ، عندما أتحدث عن ذكرى الانسانية . وهنا تبرز علاقة ـ وهذا أقوله على هامش الحديث ـ ترتبط بالفلسفة الهيغلية ، فلا شك أنك تذكر أن الجزء الاخير من كتاب **هيغل** « فنومنولوجيا الروح » ، حيث يعالج العقل المطلق ، يتحدث عن «التبطين» **(Er - innuunf)** قبالة«التجلي والاظهار» **(Ent - auberunf)** بتبيانه هذا الفرق يغدو عامل الماضي عند **هيغل** عاملا مفرطا في سيطرته وجبروته ، بينما هو عندي ماضٍ وخبرة ، خبرة ذاتية من جهة ، وحافز لاتخاذ موقف من الحاضر ، من جهة ثانية . وهذا الموقف من الحاضر قد اتخذه حتى الآن كل مجتمع ، من حيث انه قد تطلع الى لحظات معينة يتجلى بهـا ماضيه ويتبناها . الا أذكر هوس الثورة الفرنسية بالعصور القديمة ، في الواقع لا يدور الامر حول التساؤل عن صواب الصورة التي كونها **روبسبير** أو **سان جوست** عن العصور القديمة . على أي حال ، لن يكون في وسع **روبسبير** أو **سان جوست** القيام بالاعمال ، على نحو ما قاما به ، ما لم يقع اختيارهما على العصور القديمة وربطها بتفكيرهما ، وبالتالي ربطها بحوافز تخيرهما الغائي . على هذا فان الذكرى التي تحفظهـا الانسانية عن ماضيها تنطوي على الفن . ولعلي أقول ، يسبغ على الحياة الانسانية طابع الاهمية هذه ، في بعض اللحظات ، لكونها تغدو شبيهة بالاعمال الفنية . تراودني ، على سبيل المثال ، حياة سقراط ، وانطلاقا من وجهة النظر هذه ، سيان إن عاش المسيح أم لم يعش ، وإن كانت صورته قد عرضت في الاناجيل على نحو صائب من الوجهة التاريخية أم لا . فالجدير بالذكر هو أن ثمة رمزاً **عن المسيح** ، رمزاً يجسـد منذ أزمات مجتمع الرقيق **البائد** وحتى اليوم الحاضر ـ اذكر فقط « المحقق الكبير » في رواية **دستويفسكي** ـ قوة حيـة ، من واجبنـا أن نبت في أمرها بشكل من الاشكال ولم يعمد الى هذا المثال **دستويفسكي** فقط ، بل إنه يعكس أثره في العلم أيضاً (علم الاجتماع) . اذكر محاضـرة

« السياسة كمهنة » للاجتماعي ماكس **فيبر** (Weber) ، الذي يحاول فيها تبيان التضاد الكامن بين السياسة الواقعية وموعظة الجبل (للمسيح) ، كي يتوصل إنطلاقاً من ذلك الى إرساء قاعدة ملموسة للعمل السياسي . وهذا يدل الى أن شخصية المسيح ، بغض النظر عن الصحة التاريخية كلياً ، قد اكتسبت بالنسبة الى الانسانية الاهمية ذاتها التي تكتسبها شخصية أنتيفونا أو هاملت أو دون كيشوت ... وأضيف على هامش الحديث ، إنه من الممكن ، أن تؤثر مثل هذه الشخصيات في الجزء الاكبر من امكانات العمل . خذ على سبيل المثال ، من القرن التاسع عشر ، شخصية **نابليون** ، التي اثرت من **راستيناك** (Rastignac)(١) وحتى **راسكولنيكوف** (٢) (Raskolnikov) على الرغم من عدم وجود أي شعر ما يمثل شخصية **نابليون** في صورة كاملة وافية . هذا يعني اذاً ، أن ثمة حاجة انطولوجية متصاعدة ، لعمد الفن الى اشباعها في خطوطها الاساسية العريضة . وما قلته عن **المسيح** قبل برهة ، لا يتعارض مع هذه الحاجة ابداً ، بل هو يشير فقط الى أن هذه الاتجاهات ، التي قادت من تطور الفن الى وضع الاساطير ، تخلق هنا على نحو مماثل ، حاجة للفن ذات طابع خاص تماماً . وبصدد هذا نشاهد عند **هوميروس** ، مدى الدور الذي لعبه الطابع المثالي الرمزي لانصاف الآلهة القدامى ، واثر هذا الطابع في الاعمال التي قام بها أبطال **هوميروس** . ان الفن يلامس بمعانيه وبمحتواه ما هو جوهري وأساسي في خضم تطور الانسانية ، (في صيغ تكنيك كل عصر من العصور ، بل في الاثر الاخير لتلك الصيغ بصورة مستقلة عن التكنيك) ، من هنا ينشأ أثر الفن الدائم الخالد .

هولتز :

عندما تتحدث عن العناصر الواقعية الماثلة في العمل الفني ، أتعني دوماً المحتوى ، أتعني لحيظات المضمون المسكوب في قالب الشكل ...

---

(١) من أبطال روايات بلاك .

(٢) بطل رواية الجريمة والعقاب ـ لدوستويفسكي .

لوكاتش :

اجـــل ...

هولتز :

اليس ثمة ضرب من ضروب الواقعية ، يعبر عن ذاته في توضيح بعض عناصر شكلية للانسانية ، يراودني مثلا الادب المهتم بمشكلات اللغة ، الا يعد اقتحام ميادين لغوية جديدة والكشف عن وسائل جديدة للتعبير ووضعها في خدمة الانسان ، امرا ، علينا أن نستوعبه تحت مفهوم الواقعية ؟ لعلي أقول : ان **سرفانتس** هو بالتأكيد واقعي ، لكن ألا يعد **غونغورا** (**Gongora**) اديبا واقعيا أيضا ، حين يعمد الى اعداد صور وامكانات لغوية محددة ، يمكن أن تتناقلها الاجيال القادمة ، صيغا تعبيرية للفكر اللغوي ؟

لوكاتش :

لا يمكن طرح السؤال طرحا صوريا ؟ أعتقد أن النظرة الى الفن ككل من منطلق صوري محض ، يعتبر بلية من بلايا عصرنا : فكما يجري نقاش حول اللباس القصير (ميني جوب) في عالم الازياء ، نجدنا كذلك الامر ازاء مناقشات تدور حول الوان الفنون المعاصرة كفن الاوب والبوب (**Pop Art** (١) **Op Art**)(٢) وغيرهما ، تكاد تجري في مستوى مناقشات عرض الازياء . وهذه البلية ناجمة عن الاتجاه الذي يلقى شكله النظري في المدرسة المسماة بالتفسيرية ، حيث نجد أن مشكلات التجديد اللغوي الصورية صرفا ، تأخذ شكل مشكلات هامة مستقلة . أعود الان من جديد الى عناصر انطولوجية بسيطة : ان اللغة هي عبارة عن وسيلة تفاهم بين الناس انها ليست اعلاما ، فعندما أقول لامرأة : اني احبك . فقولي هذا ليس اعلاما ، بل شيء اخر تماما . وان تسنى للسيد **بنـزه** (**Bensee**) وضع نظرية حول مقياس البوح الغرامي ، وان كانت معامل التصريحات الغرامية ٤٤٨ أو ٤٨٧ ، فهذا لا يمت الى مسألة بوح الحب

---

(١) الفن الشعبي .

(٢) الفن الشعبي .

بصلة . لا شك تفهم ماعنيه ، والان ينجم مجددا التساؤل التالي : اما ان هذا التجديد اللغوي سيساهم في تقديم شيء جوهري لنظرة شاملة الى الكون صائبة وعميقة ، عندها ينتقل الى ميدان اللغة العامة ، وتكون القضية بالتالي قد أضاعت عناصر تجديدها ـ ان صح التعبير ـ ، واما يبقى التجديد ظاهريا . على هذا نجد أن استعمال مختلف اللهجات الشليزية والشغابية والبرلينية في حوار الكتاب الطبيعيين الالمان في نهاية القرن التاسع عشر كان بلا منازع تجديدا في اللغة ، وادى دوره كوسيلة لتخطي رتابة المأساة ، على طراز لغة فيلدنبروخ (**Wildenbruch**) بيد انها اختفت في الميدان الادبي بعد مضي فترة معينة ، اختفاء يكاد يكون تاما . وبرزت ، بدلا من اللهجة العامية ، امكانات اخرى ترمي الى تفريد اللغة (**Individualisatisation**) بدون اتباع الاتجاه الطبيعي ، كما يمكنك أن تجد ذلك ، مثلا ، في حوار توماس مان (**Mann**) وكتاب اخرين. ان من رأيي اذاً ، أن طابع الاولوية يتسم به المضمون لا الشكل . ولسنا ملزمين بالانطلاق من الامور التكنيكية ، بل يجب ان نتساءل ، اي مضمون رائع يحدد ويولد في عصر من العصور تكنيكا معينا للغة ولفن الرسم وهكذا . . . وما ينتقى من ذلك المضمون ليدخل في صلب التطور اللاحق . على هذا فاني أعتبر بلا مواربة ، أن التساؤل عما قد يصنعه المرء في ايامنا الحاضرة بلغة كلغة **غونغورا** ، يعد مشكلة تكنيكية هامة ، لان ما يثير الاهتمام ، حسب رأي ، هو أن ثمة بعض امور تكنيكية يحسر عنها النقاب ثم تستحيل ، بين يدي اولئك الذين أثاروها ، الى امور تختلف عن المقصد الاصلي المراد تماما . ولنأخذ على سبيل المثال اكتشاف اللغة السريالية : مما لا شك فيه ان هذه اللغة قد اثرت في شعر **اليوار** (**Eluard**) الغنائي كل الاثر ، ومما لا شك فيه ايضا ، أن أشعار **اليوار** الرائعة تختلف عن اللغة السريالية . لقد غدت اللغة السريالية في أشعاره عنصرا من عناصر مركب ، يعبّر للذاتية المعاصرة أشياء جوهرية واشياء .

الحديث الثاني

جورج لوكاتش ـ ليو كوفلر

مجتمع وفـرد

كوفلر :

سيد **لوكاتش** ، لقد تأثرت البارحة بالغ الاثر من الطريقة التي اتبعتها في حديثك ، اذ انطلقت من أمور بسيطة واستخلصت منها بعـد ذلك مشكلات معقدة للغاية . أود هنا أن أنهج نهجا مماثلا ، مبتدئا بمشكلات بسيطة الى حد ما ...

لوكاتش :

حسنا .

كوفلر :

... كي انطلق بعدها لمعالجة مشكلات اكثر تعقيدا . لقد اثـارت اهتمامي منذ أمد بعيد مسألة محددة ، وشغلتني . اصبح من الشائع ، ووفق نظرة ضيقة ، توحيد هوية الايديولوجية مع الوعي الخاطىء ، وتوحيد هوية الوعي المنطلق الحر ـ المسمى بالحر ـ مع الوعي اللاملتزم وذلك للوصول الى نتائـج ايديولوجية محـددة تخـدم الايديولوجية البرجوازية . ونجم عما تقدم المشكلة التالية ، وهي أنه يلصق بالطبقة العاملة ، التي لا تزال تمثل نصف السكان تهمة انصهارها في بوتقـة

برجوازية ، ويرمي من وراء ذلك الى ان العامل قد امتلك سابقا وعيا طبقيا مزيفا ، وفي برجزته هذه ، قد امتلك وعيا سليما صائبا ، بما انه قد تبنى ، حصرا،وعيا برجوازيا . وهذا ينطوي على تناقض ، ويتجلى هذا التناقض بقدر ما يعزى الى الطبقة العاملة وعي طبقي سليم ملتزم ، وحيث بصدده يماثل ، اصطلاحا وفي الوقت ذاته ، بين الوعي السليم الصائب والوعي اللاملتزم ليس الا . هل ترى ان هذه التناقضات لا بد منها للايديولوجية البرجوازية ، أم انها مجرد مصادفة ؟

لوكاتش :

اسمح لي أن أعود الان لابسط الامر مجددا . أعتقد ان **غرامشي** كان محقا تماما ، عندما لاحظ اننا نستعمل كلمة ايديولوجية بمعنيين جد متباينين بصورة عامة . فمن ناحية اولى يدور الامر حول الحقيقة الماركسية الاولية التي تقول ، ان كل انسان موجود في المجتمع يلقى نفسه في وضع طبقي معين ، ويتعلق بهذا الوضع بالطبع ثقافة العصر بأكملها ، وانه بالتالي ، ليس من الممكن ان نلقي اي مضمون شعوري لم يتحدد من خلال الحالة الراهنة لذلك الوضع . ومن ناحية ثانية ، فانه ينشأ من طريقة طرح التساؤل بعض تحريفات وملابسات ، وقد جرت العادة على فهم الايديولوجية كرد فعل مشوه على الواقع . لذا اعتقد انه علينا ، لدى استعمال مفهوم الايديولوجية ، أن نفرق بين هاتين الناحيتين . وعلاوة على ذلك ـ وأعود ثانية لابحث في المسالة الانطولوجية ينبغي على المرء أن ينطلق من ان الانسان ، قبل كل شيء ، هو كائن متجاوب مع محيطه ككل جسم عضوي اخر ، وهذا يعني انه يحول المشكلات الصاعدة من واقعه الى سؤالات محاولا الاجابة عنها . أما ما يدعى بوعي حر طليق يعمل من ذاته ، بصورة صميمية محض ، فلا وجود له على الاطلاق ، وليس من أحد استطاع أن يبرهن على وجوده . وأعتقد أن ما يسمى بالطبقة المثقفة الحرة شأنها شأن الشعار الشائع المنادي بالبعد عن الايديولوجية ونزعها(١) ما هي الا تسميات مختلفة ليس لها مع الوضع الواقعي للانسان الواقعي في المجتمع الواقعي من شأن على الاطلاق .

---

(١) (Eutideologisierung) بمعنى نزع الصبغة الايديولوجية عن المجتمع ، أو تفريغ الوعي الاجتماعي من المحتوى الايديولوجي .

كوفلر :

بالمناسبة ، يتساءل المرء احيانا ، عن وجود ظاهرات ايديولوجية غير متسمة بطابع طبقي ، اي ظاهرات ماثلة في البنية الفوقية ، ولم يحددها الوضع الطبقي . انت بالذات أيها الاستاذ **لوكاتش** قد اكدت في مؤلفاتك كل التأكيد ، على ان مشكلة الايديولوجية لا تعد مشكلة تتعلق مباشرة بطبقة من الطبقات ، وانما تنتمي الى المجتمع الطبقي بكليته . غير أنه في وسعنا مع ذلك اماطة اللثام عن بعض ظاهرات ايديولوجية غير متسمة بطابع طبقي فعلا ، بمعنى أن عدم اتسامها هذا ينسحب على البرجوازية كما ينسحب على الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، كما نشاهد ذلك مثلاً في مجال اللغة وفي مجال تلك الاصطلاحات المتعلقة بميدان التشييء بخاصة . مثال ذلك قولنا « يسيطر الفن الصناعي علينا » و « القنبلة الذرية تهدد كياننا » و « الافلاس يرفع ثمن السلع » أو كذلك « ينشأ في المجتمع الجماهيري التكتل » ــ وسيعلق ماركس على هذا متهكما « ينجم عن الفقر الفاقة »(١) على أي حال ، لا يمكن تصنيف هذه الصور التشييئية اللغوية على أنها تتعلق بطبقة محددة فحسب ، انما على أنها غير متسمة بأي طابع طبقي ، هذا اذا لم نقل ، انها لا تتعلق أبدا بمجتمع طبقي ، ذلك أن هذه الصور ليست سوى انعكاس موقف من المواقف في وضع اجتماعي متشيء غارق في الفتشية .

لوكاتش :

سأوغل في الحديث نوعا ما ثانية ، بما أن الحياة البشرية قائمة على أساس عملية تمثيل(٢) مع الطبيعة ، فلا جدال في أن بعض الحقائق ،

---

(١) ذكر في النص لفظتان مترادفتان الواحدة المانية والاخرى افرنسية لمعنى واحد وهما (Armut , Pauvredé) وذلك لتبيان سوء أستعمال المفاهيم وبخاصة تحصيل حاصل . (المترجم) .

(٢) تمثيل (Stottwechsel) اللفظة العلمية لها « ايض » اي استقلاب الغذاء والدثور والتجدد في خلايا الجسم . وعلى الصعيد الاجتماعي تعني تكيف سلوك الفرد وفق العادات والتقاليد والآراء السائدة في المجتمع ، حيث يترعرع ذلك الفرد . (المترجم) .

التي نكتسبها من جراء تنفيذ عملية التمثيل تلك ، تحظى بصحة شاملة ، كحقائق الرياضيات والهندسة والفيزياء وغيرها . بيد أن هذه الحقائق وسمت ، في المعنى البرجوازي ، بطابع فتشي ، ذلك انه في امكان هذه الحقائق أن ترتبط في بعض الاحوال بالصراع الطبقي ارتباطا وثيقا . واذا جزمنا الان ، بأن حقائق علم الفلك ليس لها طابع التعلق بالطبقات، فجزمنا صائب . غير أن المناقشات التي دارت رحاها حول **كوبرنيكوس وغاليله** ، كانت تمثل لحظة من أهم اللحظات الحاسمة ، فيما يتعلق بالمفهوم الطبقي ، لمعرفة من سيتخذ موقفا ايجابيا من غاليله أو معاديا . بما أن التبادل العضوي للمجتمع مع الطبيعة يعد عملية اجتماعية ، فيبقى امكان رد فعل المفاهيم الناجمة عن تلك العملية ، على الصراع الطبقي في ذلك المجتمع ، ماثلا أمام الاعين . انني استخدم في سياق حديثي كلمات ليست سديدة تماما كمفهوم التطور والتقدم وما شابه ، فالتطور بحد ذاته واقعة ، **نستطيع انطلاقا منها التحدث** عن لا تعلق طبقي ، ولنقل مثلا كالتحدث عن نشوء **الانواع عند داروين** ، من جانب اخر ، نجد أن المسألة الداروينية قد لبثت موضوع نقاش اجتماعي طوال عشرات السنين . والسؤال عما اذا تطورت البشرية تطورا وحيد النسق ، أو عما **اذا تطورت** بيئات حضارية مختلفة وخضع تطورها كل مرة لبداية ونهاية ، وارتبطت تلك البيئات بمرحلة تاريخية ، لا يمكن الاجابة عنه بصورة مستقلة عن بنية الطبقات المكونة لمجتمع من المجتمعات . وهكذا فاني أعتقد أن ثمة حدودا متحركة ، بمعنى ان في مقدور العقل البشري ، من جهة ، تقرير أشياء ، بصورة غير متعلقة بكيفية تقييم الطبقات المختلفة لها ، تصلح للمجتمع بأكمله ، كما من المحتمل أن تصلح لنظرتنا الشاملة في الطبيعة . ونجد من جهة ثانية ان الانسان مدعو بكامل شخصيته الى خوض النضالات الاجتماعية ، بحيث أن قبوله أو رفضه أي فرضية من الفرضيات يعد أمرا محددا مشروطا ، وفق نظرة طبقية ، بالقوة . أعتقد اذاً ، أننا لا نستطيع القيام بتجزئة عامة مدعين : هنا تنتهي حدود الايديولوجية ، وهنا يبدأ شيء آخر . ان الأمر متعلق بالاجرى بما هو مناسب ، بما هو واقع في مجرى التغيير ، بما

يتحدد من خلال البنية المكونة لمجتمع من المجتمعات ومن خلال مستوى الصراع الطبقي المتعلق بتلك البنية ، التي لا ترسي أساسها بنفسها في جملة مجردة . وينطبق هذا تماما على ما يسمى بالطبقات الحرةالطليقة. من البديهي ، انه يوجد بلا جدال في المراحل ـ ولنقل الهادئة وغير المتأزمة ـ مواقف قد تتخذ فيها طبقة ما اتجاها حياديا للغاية ، حيال الصراع السائد آنذاك . لكن أعتقد أني استطيع القول ، بهذا المقدار من الجلاء التام ، بانه ليس في الامكان أن نجد انسانا في المجتمع ، نحكم عليه مسبقا ، أنهسيسلك سلوك اللامبالي حيال الفروق الطبقية الممكنة كافة . ولا شك أن ما يكوّن تنوع التاريخ ولا يدعه على وتيرة واحدة هو امكان حدوث اللامبالاة وامكان عقد تحالفات هي أبعد من أن تصدق أو تتوقع . فأنتم تذكرون بلا ريب أن الارستقراطية المحافظة عارضت البرجوازية لدى قيامها باصلاحات عمالية في النصف الاول من القرن التاسع عشر في انكلترا وجعلت تخفيض ساعات العمل ، ممكنا . أما استنتاجنا الان ، ان الارستقراطية كانت مهتمة طبقيا بتخفيض ساعات العمل ، يعتبر استنتاجا فضفاضا مبالغا فيه ، على الرغم من أن هذه الواقعية ليست واقعة فحسب ، انما تمثل موقفا سهل الفهم وقفته الطبقة الارستقراطية في مناخ الصراع الطبقي ، الذي كان سائدا انذاك . أرمي من وراء ذلك ، أنه علينا أن نتمسك بالمبدأ الجدلي القائل ، ان الحقيقة هي شيء مشخص ونحافظ عليه ، لدى البحث في مفهوم "الايديولوجية ايضا ».

كوفلر :

أعتقد أننا قد أوضحنا الموقف ايما ايضاح . وأود الان أن أؤكد على نقطة معينة ، لسبب بسيط ، وهو أنها نوقشت مرارا وتكرارا في مجال حياتنا . لقد تحدثت عن تغير المفاهيم وتحولها وتحكمها وتضافرها وعن تعميمها . . .

لوكاتش : أجل .. .

كوفلر :

كما عن مفهوم التقدم ... واود أن اذكر عرضيا ايضا : مفاهيم التجريد . والان يطرح السؤال ابدا ودائما ، حول الطريقة المتبعةللوصول الى مثل هذه المفاهيم ، وعلى هذا الصعيد يصطدم المرء بمشكلة اللاعقلانية ولا مجال للشك مطلقا في أن اللاعقلانية لا يمكن انكارها كاستعداد كامن في النفس البشرية . واشير الى الحدس ، الى الفكرة الطليقة الحرة والى الخلق الفني ، وقد تعرضت في مؤلفاتك دوما الى موضوع اللاعقلانية واظهرت خطورته ايضا في مجال تكوين المفاهيم ، في مجال التجسيد الايديولوجي ، بمعنى أن الانسياب الداخلي الواقع في مجال المعاناة النفسية مثلا يغدو مستقلا ويشدد عليه ازاء ما هو عقلاني ، بحيث أن المعاناة ، المعاناة الداخلية ــ ونرانا الان في خضم مشكلات عصرية جدا ــ ينظر اليها وكأنها اصبحت العالم الحق ، ثم تعرضت أيضا الى مسألة الصهر في بوتقة ميثولوجية الى مسألة وضع العقل قباله الحقيقة **الداخلية** . ويرتبط بهذا ، أن مفهوم التقدم ينكر بحسب الداباللاعقلاني وفي نهاية الامر نرانا نصطدم بتهكم المذهب الانساني ، باعتبار أنه لا يتوافق مع « المعاناة » مع « الطموح الارادي نحو القيمة » ، ومع «ما يتفرد به الانسان الداخلي » ، فالاتجاه الانساني هو ظاهري ، وما تبقى يتفوق عليه باعتماده ، على نحو خارق ، على ما هو داخلي . واني شغوف لسماع رأيك حول هذه المسألة متمما او مفسرا ، بصورة لا تتعلق الان باشكال اللاعقلانية في التاريخ الالماني ، الذي سأعود اليه فيما بعد .

لوكاتش :

أجل ، الا أنظر ، أود أولا ان ادع شيئا ما على هامش الحديث يتمتع بشعبية كبيرة ، واعني التضاد الماثل بين الحدس من جهة والاستنتاجات الفكرية من جهة ثانية . اذا نظرنا الى مفهوم الحدس من زاوية علم المعرفة نجده يعد مفهوما خاطئا تماما ، فلا يحتوي اذاً على خلفية تذكر . واذا نظرنا اليه كمفهوم نفساني محض نجد أن الحدس هو بداهة تتجلى دائما وابدا . وازاء صهر هذا المفهوم في بوتقة مثيولوجية ، يجب أن يظل ماثلا أمامنا ، أن الحدس لا يبدو الا عندما ينغمس ذهن الانسان انغماسا كليا في

حل عقدة ما من العقد الفكرية ، وبعد مرور وقت ما ، وبعد أن تكون تلك العقدة قدعملت بصورة لا شعورية في العقل الباطن ، يصل المرء فجأة ـ أقول فجأة ضمن قوسين ـ الى نتيجة . مثل هذا الحدس تلقاه حتى في العلوم الرياضية . اما الظن أن الحدس يتصل بالفن اتصالا وثيقا فحسب ، فهو ليس من الصواب بشيء ، بيد أن الحكم ـ والآن يطالعنا جانب علم المعرفة ـ بالصواب أو الخطأ على جملة من الجمل ، لا يتعلق بكونها قد وجدت حدسيا أو لا حدسيا . انما ينبغي أن يبرهن على صحتها اما منطقيا أو تاريخيا ، وأن يعاد النظر في صدقها بصورة لا تتعلق على الاطلاق بكونها قد وجدت حدسيا أو لا حدسيا . اني أعلق أهمية على هذا التأكيد لاننا نجد أنه قد قضى ، في الفلسفة الالمانية منذ **شيلنغ** (**Schelling**) وبخاصة في مؤلف **كانط** « نقد ملكة الحكم » ، للمعرفة الحدسية بأفضلية معينة حيال المعرفة اللاحدسية . ولم تجر ، حسب رأي ، أية محاولة قطعا للادلاء بأي سبب عرفاني ـ نظري يبرهن على صحة هذا القضاء . ان أفضلية الحدس على اللاحدس قبلت بروح ببساطة . هذا هو الجانب الذاتي نوعا ما . أما ما يتعلق بالجانب الموضوعي ، فأعتقد أن ثمة ، في الممارسة الانسانية الحقة ، فاصلا قائما بين العقل بمعناه الواقعي والعقل بمعناه العقلي والعقل بمعناه الممتد عبر آلاف السنين . وأرى أن ما هو عقلي ، هو ما يصدر عن عملنا وعن سيطرتنا على الواقع ، عندما أكتشف مثلا علاقة تعمل فعلا . فعندما أدع حجراً يسقط من يدي على الارض وأعيد هذه التجربة مرارا ، سنكتشف عندها علاقة عقلية قد صاغها غاليله على نحو رفيع في قانون سقوط الاجسام . غير أن كل عقلانية حقة ، نصادفها في عالمنا ، تعد عقلانية مشروطة على نحو (ان ـ ف) . ان أي موقف مشخص يرتبط بنتائج مشخصة ، وبما أن هذا الامر يعاود الظهور في عالمنا على وتيرة واحدة قانونية ، ندعو مثل هذه العلاقة بحق ، علاقة عقلية . غير أننا ، انطلاقا من الافراط في الاعتماد على المنطق ، ومن المبالغة فيما قد نتخطاه في الميدان المنطقي ، قد نصبنا عقلانية شاملة للعالم ، لا وجود لها فعليا . أعني أن سقوط حجر على الارض ، وفق القوانين الطبيعية السائدة في

عالمنا ، يعد أمرا عقليا ، وأما اذا تخيلت عالما آخر يطير الحجر فيه نحو الاعلى ، ويتم طيرانه بصورة منتظمة نحو الاعلى ، عند ذاك سيعمل الناس الذين يقطنون في ذلك العالم ، على استيعاب هذه العلاقة استيعابا عقليا ، الا أن سقوط الحجر ـ وهذا يتعلق بالعقلانية المشروطة ـ لا يغدو عقليا، لان هذا السقوط لا يعود الى اسباب عقلية ، انما لان الكيفية المحددة باحكام ، الماثلة في الطبيعة هذه ، تفرض في هذه الحالة ، نمط السقوط . والآن تظهر في خضم المجتمع ، في سياق التطور الاجتماعي ، دائما وأبدا، مواقف يتضح فيها أن ما كان عقليا في السابق ، لم يعد يتلاءم مع الوقائع الماثلة على قدم وساق ، على حين غرة ، ونجد ذواتنا على الصعيد الاجتماعي ، ازاء قضية ارتفاع الحجر في الهواء . في وسع الانسانية في هذه الحالة اتخاذ موقفين مختلفين . الموقف الاول هو الموقف الذي يتخذه الانسان عادة حيال الطبيعة : فاذا اتضح أن عنصرا من العناصر لا يتمشى والقوانين الماضية السائدة ، فتبذل المحاولة للاتيان بايضاحات اخرى تميط اللثام عن قانونية جديدة . هذه الحادثة ذاتها تطالعنا أيضا في مجال التطور الاجتماعي . أما من جانب آخر ، فنجد أن تغيير الواقع الاجتماعي ـ وهنا نعود للتحدث عن الوضع الطبقي ـ يعتبر في نظر طبقات معينة لا معنى له على الاطلاق ، مدعية أننا لا نلقي من جراء هذا التغيير ـ من الناحية الاجتماعية ـ سوى الفوضى وعدم النظام . ولنأخذ على سبيل المثال وضع الطبقات في الثورة الفرنسية ، حيث تبدت في نظر الطبقة الثورية أشياء جد بسيطة ومعقولة ، غير أن الطبقات الحاكمة القديمة ، وتلك التي تعاطفت معها اعتبرت هذه الاشياء وكأنها فوضوية لا عقلانية . بما أن تفكيرنا منوط أبدا بوضعنا الاجتماعي ، وأن ثمة علاقة تربط بين التفكير والوضع ، فستظهر ، على الصعيد التاريخي ، دائما وأبدا مواقف ،يتم فيها رد فعل الطبقات الهامة ،من يمثلها من مفكرين مرموقين، على نحو أن هذه الطبقات وهؤلاء المفكرين سينظرون الى تلك العلاقات الجديدة والتطوير الاجتماعي الحاصل ويحكمون عليها منطلقين من العقلية القديمة . وينبغي ألا يغرب عن بالنا،أنه اذا اتخذ الموالون للطبقة الاقطاعية منطلقا لا عقلانيا في حالات عديدة ابان نشوب الثورة الفرنسية ، فنجد

مع هذا أن الاقطاعية في عصر **توما الاكويني** لم تكن لا عقلانية على الاطلاق ، قد كان توما الاكويني قد فهم الاقطاعية بحق كشيء يتلاءم مع العقل ببساطة ، ذلك أن أمورا عديدة ، كانت سائدة آنذاك في الواقع الاجتماعي، قد تطابقت وانسجمت مع العقلانية المشروطة (اذا ــ فـ) الماثلة في ذلك العصر . غير أن الاعمال التي قام بها كل من **مارا وروبسبير** لم تك تنسجم في نسق عقلي تنسجه الطبقات الاقطاعية ، وهكذا نجم عن الوضع الاجتماعي ما ندعوه باللاعقلانية . وما يميز هذه اللاعقلانية في نظر التطور الحديث ، هو أن المرء لم يقف وقفة من ينفي العقل الجديد أو وقفة من يراوده الشك في قدرته فحسب ، بل طمح الى تكوين مذهب خاص للاعقلانية ، انتشر انتشارا منقطع النظير ، وظهرت عواقبه في أشياء تجاوزت حدود ما أرادوه واضعو اسس هذا المذهب الاصليون ، ان صح التعبير .

سأدلي الان بمثالين لالقي ضوءا على ما قلته . لنأخذ علم الاجتماع السياسي عند ماكس فيبر (weber) ولنتأمل نظريته في « السياسة كمهنة » ، حيث يقول بسيطرة الالهة على العالم . وراء هذا يكمن عجز ماكس فيبر عن الوصول الى مفهوم واضح بعقلانية مشروطة (ان ــ فـ)، في خضم المجتمع الذي يواجهه ، محط رحاله ازاء صراع القوى المختلفة ، التي لم يرغب في متابعة عقلنتها . ذلك أن هذه العقلنة ستقوده الى نتائج لا تتكامل مع نظريته ، لذا اتخذ نوعا ما من الامتثال الاسطوري لآلهة تناهض بعضها ملجأ في الواقع الحقيقي . يمكن أن يقال .. واعتقد يستطيع المرء أن يقول باطمئنان ، ان اللاعقلانية قد نفذت أيضا في هذه النقطة الى مذهب ماكس فيبر . أو فلنأخذ مذهبا فكريا كالوضعية الجديدة ، التي تحصر العالم باكمله في عقلانية مناورة ، رافضة كل ما يتجاوز هذه العقلانية . وكانت الوضعية الجديدة قد صادفت في مطلع انبثاقها مفكرا مرموقا بين صفوف مؤسسيها هو **فتكنشتاين** (wittgenstein) . وفتكنشتاين الذي اثبت قضايا الوضعية الجديدة فلسفيا ، يرى بجلاء تام ، أن ثمة صحراء من اللاعقلانية ان صح التعبير تمتد على هوامش هذه القضايا ، أن ثمة شيئا ، ليس في وسع المرء

صبه في مقولة ما ،اعتمادا على عقلانية وضعية جديدة . **وفتكنشتاين** اذكى بكثير من أن يعتقد ، أن لا وجود لهذا العالم اللاعقلاني ما وراء التفسيرات الوضعية الجديدة . فعلى هامش الفلسفة الفتكنشتاينية يوجد كما اعتقد ــ وهذه ليست مشاهدتي فقط ، بل كثيرون غيري قد لاحظوا ذلك ــ منطقة اللاعقلانية . واعتقد أننا قد عانينا في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين موجة عارمة من اللاعقلانية في صورها المختلفة . انك على أتم حق ، فاللاعقلانية لم تظهر في المانيا فحسب . ولا أحد ينكر ان البراغماتية (**المذهب الذرائعي**) الاميريكية مثلا خلو من برهات لا عقلانية ، وأن **برغسون** يتسم بطابع لاعقلاني على نحو نموذجي تماما ، وأن فلسفة **غروس** (شاء أم أبى) ملأى ببرهات لاعقلانية . وهكذا نلاحظ أن اللاعقلانية ليست أبدا مجرد ظاهرة ألمانية فحسب ، انماظاهرة عالمية ، وما يميزها فقط عن غيرها في ألمانيا ، هو كونها قد اضحت ايديولوجية السلطة السياسية الرجعية والرجعية المتطرفة ، ولم تكن كذلك في البلاد الاخرى .

كوفلر :

انك تعرّف اللاعقلانية الالمانية اتفاقا على أنها ايمان بالصمود الداخلي ــ وبالتالي الايمان بالقوى الداخلية التي تقابل القوى العقلية الخارجية . أليس يتوجب علينا ــ وهذا ما قمت به الى حد ما ــ أن نوجد علاقة بين الايمان المفرط بالقوى الروحية الداخلية ، الماثلة كشبه نقيض للقوى الاجتماعية الخارجية ، وبين التاريخ الالماني ، وربما التاريخ الالماني المشؤوم برمته أيضا ؟ اذا انطلقنا مثلا من انهيار نظام النبلاء عام ١٤١٠ و ١٤٦٦ ، ثم تجزئة اراضي دولة النبلاء ١٥٦١ واغلاق الطرق التجارية الالمانية وحرب الثلاثين عاما مع جميع نتائجها ، وقصة هزيمة الفلاحين التعيسة حقا بكاملها وعزل العصر الكلاسيكي ، الى نشوب ثورة عام ٤٨ ونهايتها المفجعة ــ وكنت قد أتيت على ذكر هذه النقاط كلها وان بصورة مبعثرة ــ . وأما ما يهم الطلبة الجامعيين في حلقاتهم الدراسية فهو اشارتك الى أن الميل سائد في المانيا نحو البحث عن الحل بصورة لاعقلانية عن طريق تبسيط المشكلات المستعصية وصياغتها

في قوالب اجابات . كيف تبدو العلاقة مشخصا ؟ ولماذا نرى أن الايديولوجية اللاعقلانية في ألمانيا بالذات قد أتيح لها بسط سيطرتها التامة على نحو فريد مفرط لتصبح علاقة مميزة جوهرية للشعب الالماني؟ في معنى تاريخي ، بالطبع .

لوكاتش ـ أعتقد ، أن الامر يتعلق حقا ببرهات خاصة بالتاريخ الالماني ، وبأن ثمة بعض صور فلسفية ـ اجتماعية علمية ، في وسعنا ادراجها الآن تحت الاسم عقل ، كانت تمثل في بلاد الغرب الشاسعة نتاج الانسان ذاته . وأعني ، أن تطور الامة في اتجاه الوحدة السياسية منوط بنشوء المجتمع الحديث ارتباطا وثيقا . ومن الطبيعي أن يشعر كل مواطن فرنسي وكل مواطن انكليزي ، أن هذا التطور هو من صنع يديه ، دون أن يجهد نفسه في التفكير . اني أعني ، أن العقل الفرنسي ، منذ نشوء الحكم المطلق القائم على السلطة الفردية الى نشوب الثورة الفرنسية وظهور **نابليون** ، هو الذي عمل على صهر الشعب الفرنسي في بوتقة الوحدة . فالعمل المستقل ، وكون الانسان انسانا ، وكونه وطنيا ، كلها اجتمعت سوية بصورة مباشرة . خلاف ذلك ، نجد أن التطور قد وطأ الاراضي الالمانية ، حين كان الشعب الالماني غير قادر على لم شمله في أمة واحدة ، في أمة حديثة ، معتمدا على قواه الخاصة ، بحيث قد حدث والحالة هذه في الواقع الحياتي شرخ ، ويمكن القول ، انه شرخ ناجم عن عالم المشاعر الداخلي للالماني الاصيل ، الذي لم يزل واقفا فوق تربة الواقع الحياتي القديم . وهو . وان عقل هذا التصدع ، وارتأى ، أن هذا الواقع القديم لم يعد له من قائمة بعد ، غير انه يدرك ، انه ليس في اليد حيلةلايجاد حل سياسي واقعي يصلح تنفيذه . هكذا نجد أن ثمة تناقضا قائما على قدم وساق ، نلاحظه في القرن الثامن عشر في المانيا عند يوستوس **موزر** (Möser) **هردر** (Hlerder) **وغوته** (Goethe) الشاب . وربما كان في وسع ثورة داخلية ، أن تعمل على تغيير شيء ما ، غير أن المانياقد افتقرت في ذلك الوقت الى الشروط الداخلية والخارجية. وليس من قبيل الصدفة ، أن خصما عظيما من خصوم اللاعقلانية ، مثل **هيغل** (Hegel) قد رأى في شخصية **نابليون** ، قبسا فكريا عالميا

منطلقا على صهوة جواد من جهة ، ومشرعا فذا قادرا على اعادة الامور ، بطريقة من الطرق ، الى نصابها في المانيا ، من جهة ثانية . لقد تابعت هذه الثنائية مسيرها حتى ثورة عام ١٨٤٨ الفاشلة . وما دعي بالثورة من الاعلى ، يعني في الحقيقة حلا معقدا ، بحيث أن المظهر اللاعقلاني لما هو خارجي يعتبر باطنيا ، ولما هو باطني يعتبر خارجيا حقا ؛ فالمظهر اللاعقلاني هذا يقلب على نحو يحول دون أخذ القوى الخاصة بالشعب الالماني بعين الاعتبار . عن مثل هذه الرؤية الخاطئة القالبة للامور نجم كل ضرب من ضروب الثنائية التي تكثفت بعد ذلك متأثرة بنظريات مختلفة ، قادمة من بلاد أجنبية جزئيا ، لتعلن أن ثمة مادة انسانية أولية تقف وقفة العداء إزاء التطور التقدمي للعالم الخارجي . هذه ليست نظرية **هتلر** فقط ، فنحن نجدها عند **كلاكس** (Klages) في موضوعة « العقل كمعارض للنفس » كاملة ، وفي الحقيقة هي معطاة أيضا ضمن مفهوم **الاطراح** في ايديولوجية **هيدجر** (Heidegger) ، وقد سكبها **هتلر** فقط ، في قالب ديماغوجي بديهي سهل المنال ، جاعلا من الجرمان القدامى ذوي العرق الصافي **حاملا** لتلك الروح الداخلية . وقد نجم عن تأخر وعدم امكان صيرورة أمة معتمدة على قواها الداخلية وضع اجتماعي خاص لا يتعارض مع البلدان الغربية فقط ، لا بل مع التطور الروسي تعارضا شديدا أيضا . لقد مثلت في روسيا في ذلك العصر بنية اجتماعية متخلفة ، بيد أن الحكم المطلق كان قد أرسى دعائم الوحدة القومية . لهذا نجد ثمة سلسلة من أعمال التمرد الظافرة ، ناهضت الحكم القيصري منذ الثورة الفرنسية وحتى عام ١٩١٧ ، غير ناسين حركة الديكامبريين(١) . وقد افتقرت المانيا الى اعمال مماثلة . لهذا أرى دوما ، أن ثمة ماض للالمان لم يقهر بعد ، فلا يستطيع الالمان الانتهاء من أمر **هتلر** ، لانهم لم ينتهوا بعد من أمر هذا الواقع التاريخي برمته ، ولانهم يفتقرون بعد الى وعي ذاتي لخلق تاريخ تقدمي من صنع أيديهم . ان ما أحدث من قبل الالمان انفسهم في ألمانيا لم

---

(١) (Dekabriste) وهي الحركة التي قامت بها فئات عسكرية في العاشر من كانون الاول ـ وهذا ما تعنيه اللفظة الروسية للحركة ـ عندما استلم القيصر نقولاس الاول الحكم عام ١٨٢٥ . (المترجم) .

يكن سوى ما هو رجعي؛ ثمة الرايخ البسماركي والرايخ الهتلري وغيرهما، كل هذه الانظمة يعترف بها على أنها أحدثت بشكل أو بآخر من قبل الالمان أنفسهم . وليس من قبيل الصدفة ، أن نجد أن القرن العشرين ـ حتى أيامنا الحالية ايضا ـ قد نظر الى الليبرالية والديمقراطية نظرته الى بضاعة مستوردة الى المانيا . والقول ببساطة ، ان الامر يتعلق بالاشتراكية ، ليس قولا صائبا . بامكانكم ايجاد مفكرين نظريين لا حصر لهم ، يرفضون الليبرالية والديمقراطية على اعتبار أنهما بضاعة غربية مستوردة ، وأنهما لا ينسجمان مع الطبيعة الالمانية الحقة ؛ ونراهم يوحدون بين الطبيعة الالمانية الحقة وانصاف الحلول ، التي نشأت في ظلال الحكم البسماركي للرايخ الالماني بفضل عامل الصمود في مضمار التطور الاقتصادي ، هذا العامل الذي لا يعترف به المؤرخون على الاطلاق، وأعتقد أنكم ، بين عشرة كتب اتخذت بسمارك موضوعا ، لن تجدوا سوى كتاب واحد لا غير ، يقرر بين دفتيه ، على أقل تعديل ، أن الرايخ الذي أحدثه بسمارك هو في الواقع **الوحدة الجمركية**(٢) « البروسية » . **فبسمارك** لم يوحد الشعب الالماني ، بل وحد الجمارك في ظل دولة . وهذا الامر أعده واقعة ذات أهمية بالغة ، ويمكن القول ، ان المؤرخين الالمان ما بحثوا في شأنها على الاطلاق . ومن المميز أن **ترايتشكه** (Treitschke) قد أدرك هذه الواقعة ، بينما لا نجد ذكرها بتاتا في مؤلفات **مركس** (Mareks) **وماينيكه** (Meinecke) وغيرهما ، لكن على الرغم من أنهما أكثر تقدمية من **ترايتشكه** ، وهكذا يتردى التاريخ الالماني بأكمله في حالة فوضوية لا يمكن فهمها الا على أنها في الواقع حل لا عقلاني متخلف يتمشى والطبيعة الالمانية . هذا هو الطابع المميز للاعقلانية الالمانية ، ونحن لا يمكن أن نجده ، في شكله المتطور الى هذا الحد ، حتى في الفاشية الايطالية .

---

(٢) الوحدة الجمركية (Zollvuein) وهي الوحدة الاقتصادية السياسية التي قامت عام ١٨٣٤ بين ١٨ مقاطعة المانية بقيادة بروسيا . وكان هدفها ازالة الحواجز الجمركية بين هذه المقاطعات . وتعد أول خطوة لتوحيد المانيا المتصدعة في كنف سيادة الدولة البروسية . (المترجم) .

كوفلر : سيد **لوكاتش** ، أود اغتنام فرصة وجودنا في بودابست لاطرح سؤالا يتعلق بمشكلة اللاعقلانية . وهو في الواقع موضع نقاش بين المثقفين ، وله صلة بالعالم الغربي بأكمله ، لكنه لا يعنى بمشكلات تتعلق بعلم الاجتماع والفلسفة والعلم والشعر ، انما بالعقلانية **العفوية** للجماهير في مجتمع التصنيع العالي . انها لاعقلانية من طراز فريد شغلت عقول أناس ذوي شأن يتحدرون من أوساط شبه ماركسية أو برجوازية يسارية أيما اشغال ، عقلانية يصعب الكشف عنها وابراز معالمها جيدا ، وربما يعود سبب عدم ادراك كنهها حتى الآن الى تلك الصعوبة ، وبما أنها ظاهرة حديثة للغاية في المجتمع الغربي ، فتكاد تخلو مؤلفاتك من ذكرها . وكنت عاهدت طلابي الجامعيين ، أن أطلب منك ، مهما يكن ، تحديد موقفك إزاء هذه اللاعقلانية ، وأود أن أدلي اليك ببعض جمل جد ملموسة ، لألقي ضوءا على ما أعنيه حقا . يدور الامر هنا حول مفاهيم وامتثالات سائدة في المجتمع وتكاد لا تتسم بأي طابع طبقي ، على الرغم من كونها ليست بمنأى عن المجتمع الطبقي . فمفهوم « الاندماج الاختياري » لم يعد يعني ، بالنسبة الى الوعي العفوي الساذج ، كما في معناه الاصلي، « المشاركة في العمل على أساس من تمعن وتقرير عقليين »، انما « المشاركة في العمل انطلاقا من ميل لاعقلاني نحو قبول أعمى » ؛ أو مفهوم « الرضى » لم يعد يعني الآن « قبولا عقليا بالمصير » أو « الاكتفاء بنجاح محقق » ، انما يتضمن امتثالا مناورا ، يتجه وجهة حافز يتسم (بصبغة استهلاكية فنية) ، يرتكز بدوره على التلاعب والمناورة(١) . ولا شك اننا هنا إزاء عمليات مبنية على أساس لا عقلي تماما ، ترمي ، ايديولوجيا وفي الوقت ذاته ، الى تحديد مطالب الاستهلاك ، تحديدا مناورا ، وفق مقياس تقشفي ، يقع عليه واجب ايجاد توازن تقريبي بين

---

(١) Mantpulation تعني على الصعيد الاقتصادي : مضاربات مفتعلة في السوق للتأثير على الاسعار (مناورات) . وتعني على الصعيد الاجتماعي : استهداء نفسية الجماهير والتأثير في شعورهم وتوجيه وعيهم ، أنطلاقا من اتفه الامور حتى اخطرها . وقد يصل هذا التحريك درجة ، تشابه تحريك الخيوط في مسرح العرائس (التلاعب) . (المترجم) .

وعي بالاستهلاك متفاقم وبين القدرات المادية الفعلية ، توازن ، عليه أن ينسجم وذلك المقياس . أو ثمة مفهوم آخر يتمتع بأهمية بالغة لدى دراسة عالم الامتثالات اللاعقلية الماثلة في ذهنية الجماهير المعاصرة ، الا وهو مفهوم « الخاص » . لم تعد كلمة « الخاص » نقيضا لكلمة « العام » كما في السابق ، بل نجد أنها تشمل ذلك المجال الحيوي الفردي ، الذي تشغله تأثيرات العالم الخارجي تماما ، بفضل العون الايديولوجي والجهود الفردية أيضا . أو فلنأخذ مفهوم « المعارضة » ، فهو لم يعد يعني رفض المشاركة في العمل ، لا بل خلاف ذلك ، ادعاء ــ يجول في خاطري الحزب الاشتراكي الالماني ــ ادعاء المشاركة فيما قد مورس حتى الآن . هذا ما يفهم نوعا ما تحت كلمة معارضة . ولم تعد « الحرية » تعني ، مثلا ، حق التصرف خلاف ما يفعله ويقوله الجميع أو الاكثرية أو يرغبون في القيام به ، انما حق اختيار ما قد أعلن عنه على انه حر في المجتمع القمعي . في المجتمع القمعي اذاً ! وفي وسع المرء متابعة ضرب الامثلة الى ما لا نهاية ، بيد أني لم أقصد بودابست بغية القاء المحاضرات ، انما لأطلب منك ، أن تتخذ موقفا من هذه الامور ، معربا عن رأيك بشكل مسهب قدر الامكان ، ذلك أني أقيم لهذه المشكلة أهمية قصوى ، لأن الماركسية التقليدية ، بغض النظر عما ندر من أقوال ، وبغض الطرف ، بلا تواضع ، عن كتابي الجديد الذي سينشر عما قريب ، لم تعرها حتى أيامنا الحاضرة أيما انتباه .

لوكاتش :

كنت جد محق فيما أوردته ، وأرى ، أن هذا يعود الى أسباب اقتصادية ، ذلك ان الرأسمالية ، بعد الازمة الكبرى التي نشبت عام ١٩٢٩ ، بدلت نظرتها في مسائل اساسية محددة ، ليس بمعنى أنها (قد بطلت كونها) رأسمالية ، أو (في ظهور) رأسمالية ما شعبية ، بل ، كما أرى ، في معنى بسيط للغاية ، أود شرحه بصورة موجزة . لنعد الى الوراء ثمانين الى مئة سنة ، الى تلك الفترة حيث كان ماركس لا يزال على قيد الحياة ، فنجد أن صناعة وسائل الانتاج كانت منظمة تنظيما رأسماليا في أهم فروعها ؛ واذا اضفت اليها المواد الخام لصناعة المنسوجات ، والمطاحن وصناعة السكر ، أكون قد أتيت بالفعل على ذكر

جميع الفروع الهامة في الاقتصاد الرأسمالي . الا اننا نجد أن الاستهلاك برمته قد رسمل في غضون الاعوام الثمانين التالية . لا أعني صناعة الاحذية والالبسة الجاهزة وغيرها ؛ بل ثمة ما هو أكثر أهمية الا وهي الحاجات المنزلية بجميع أصنافها كالبرادات والغسالات وغيرها ، التي أصبحت موضع اهتمام الصناعة الثقيلة . وبشكل مواز لما تقدم غدا الميدان المسمى بالخدمات أيضا ميدانا رأسماليا ضخما . **فظاهرة الخدم ـ وكانوا شبه اقطاعيين أيام ماركس ـ** طفقت تنحسر شيئا فشيئا لتصبح عادة بائدة ، ومن ثم نشأ نظام الخدمات الرأسمالي . أولا أريد أن ألقي نظرة على جانب سطحي للقضية . لنأخذ على سبيل المثال صاحب مصنع ضخم أو معمل من أيام **ماركس** . فمن الجلي ، أن عدد المتعاملين مع هذا الشخص كان محدودا للغاية ، فهو يستطيع ايصال منتوجاته الى من يتعامل معهم بدون أن يحتاج الى تكوين جهاز ضخم خاص لتأدية هذه المهمة . أما لدى نشوء منتوجات معدة لاستهلاك جماهيري بفضل وسائل الصناعة الضخمة ـ أفكر في انتاج كانتاج الشفرات مثلا لا غير ـ فبات من الضروري ايجاد جهاز خاص لايصال ملايين الشفرات الى مختلف المستهلكين ، واني مقتنع ، أن أساليب المناورات ، التي نتحدث عنها الآن ، منبثقة برمتها من الحاجة الاقتصادية هذه ، وانطلاقا منها اتسعت دائرتها لتشمل ميادين المجتمع والسياسة . وقد وضع هذا الجهاز يده على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية ، انطلاقا من انتخابات رئيس الجمهورية الى استهلاك ربطات عنق ولفافات تبغ . ولا يحتاج واحدنا الا ليقلب صفحات مجلة من المجلات ليجد شواهد كافية وافية بصدد ما أقول .

يحمل الامر بين طياته نتيجة أخرى ، الا وهي تزايد انتقال استغلال الطبقة العاملة من وطأة استغلالها من خلال فضل قيمة مطلق الى وطأة استغلالها من خلال فضل قيمة نسبي ، وهذا يعني ، أن تفاقم الاستغلال أمر ممكن لدى ارتفاع مستوى معيشة العمال . لا نجد أيام **ماركس** سوى نواة هذه القضايا ، لكني لا أزعم ؛ بأنها كانت غير موجودة . **إن ماركس** كان أول من أدرك ، بحسب اعتقادي ظاهرة فضل القيمة النسبي على الصعيد

الاقتصادي ، وماركس قال ذات مرة ، بشكل مثير للاهتمام ، في جزء لم ينشر بعد من كتابه « الرأسمال » ، إن الانتاج ، لدى وجود فضل قيمة مطلق ، لايخضع للرأسمال الا صوريا ، وأما تبعية الانتاج للرأسمال ، في ظل أنواع الرأسمالية ، فلا تتم ، الا لدى نشوء فضل قيمة نسبي ، وهذه هي حقاً العلامة التي تميز عصرنا الحاضر . وجميع المشكلات التي طرقتها آنفاً قبل حين ، تظهر علاقتها بما أقول . ومشكلة الاغتراب ككل تلقي سيماء جديدة تماما . ففي ذلك الوقت ، حين كتب **ماركس** « المخطوطات الاقتصادية الفلسفية » ، كان اغتراب الطبقة العاملة يعني بلا موارية القيام بعمل شاق مرهق يضع المرء في مستوى الحيوان نوعا ما . فكان الاغتراب ، بالمعنى الحصري ، ونزع الصفة الانسانية عن الانسان واحداً . لهذا السبب كان صراع الطبقات متجهاً وجهة تأمين الحصول على أدنى مستوى ممكن لحياة انسانية للعامل ، عن طريق مطالب ملائمة تتعلق بالاجور وساعات العمل . ويمثل اجتماع (الثلاث أثمان) المشهور في الاممية الثانية عرضا من عوارض هذا الصراع الطبقي . وتغير وجه السؤال حالياً في معنى محدد ، وأود أن أقول في معنى محدد واحد لا غير .

ألا تذكر أن الخطوة الاولى في مضمار الاصلاح ، التي قام بها السيد **ايرهارد** ، كانت المطالبة بزيادة مدة العمل ساعة في الاسبوع ، وهذا اجراء واضح يتخذ على أساس فضل القيمة المطلق . وإذا تأملنا في نهاية المطاف في سياسة **ويلسون** في انكلترا ، نجد القصة ذاتها ، ففضل القيمة المطلق لم يختف هناك ، لكنه لم يعد يحتل **الدور المسيطر** ، الذي كان يحتله سابقاً ، عندما كتب **ماركس** المخطوطات الاقتصادية الفلسفية ليس الا . ماذا ينجم الآن عن ذلك ؟ ينجم مشكلة جديدة تلوح في أفق الطبقة العاملة ، ألا وهي مشكلة قضاء حياة زاخرة بالمعنى والصراع الطبقي ، لدى وجود فضل قيمة مطلق يصعب اهتمامه لايجاد شروط موضوعية تؤمن حياة تزخر بالمعنى . وحالياً ، في ظل القيام بالعمل خمسة أيام أسبوعياً مع أجر ملائم للجهد المبذول ، يبدو أن الشروط الاولى لحياة زاخرة بالمعنى قد تفتقت براعمها . بيد أنه ثمة مشكلة تنشأ ، مفادها أن أساليب المناورات والتلاعب تلك ، التي تنطلق لتشمل بيع التبغ وانتخاب رئيس جمهورية ، تقيم جداراً داخلياً يفصل بين الانسان الموجود

وبين حياة ملأى بالمعاني مجدية . فليس الغاية من مناورات الاستهلاك اخبار المستهلك بأفضل براد أو بأفضل شفرة حلاقة ، كما يزعم رسمياً في الاعلانات ، انما يدور الامر حول مسألة توجيه الوعي . سأضرب الان مثالاً ، وليكن النموذج الدعائي لسجائر (غولواز) : يعرض ثمة شخص نشيط رائع ، يتحقق المرء لدى رؤيته من انه يدخن لفافات تبغ غولواز . أو أني أشاهد على لوحة اعلان ، لا ادري اكانت تعلن عن صنف من أصناف الصابون أم ضرب من ضروب المساحيق ، شاباً فتياً محاطاً بامرأتين جميلتين نتيجة العطر الجنسي الجذاب . الذي يحتويه هذا النوع من الصابون ، والذي يؤثر في النساء . اعتقد انك تفهم ما اعنيه بأمثالي . اننا نجد ، نظراً لواقعة المناورات والتلاعب هذه ، ان العامل ، الانسان العامل ، اخذ يبتعد عن الانشغال بما يثقل فكره من أمور تدور حول كيفية تحويل أوقات فراغه الى تمعن وراحة ، ذلك أن شبح الاستهلاك يتراقص أمامه هدفاً قائماً بذاته مالئاً حياته . وهذه الحالة شبيهة بالحالة السابقة إبان كان العامل يعمل يومياً اثنتي عشرة ساعة ، إبان كان العمل مسيطراً على الحياة سيطرة ديكتاتورية لجوج . والآن تطالعنا المسألة المعقدة الرامية الى تنظيم شكل جديد لا بد منه للمقاومة . فاذا تبعنا خطا الماركسية الحقة ، كما فهمها ماركس وتخلينا عن الماركسية المبتذلة ، ارى جليا ، أن البواعث ، التي في وسعها مقاومة هذه الاشكال الجديدة للاغتراب ، تنبجس منها ، اني افكر في الفقرة الشهيرة في الجزء الثالث من كتاب « **الراسمال** » ، التي تدور حول مملكة الحرية ومملكة الضرورة ، وما قرره **ماركس** فيها ، من انه في غاية الاهمية ان يظل العمل ابدا وبشكل محتم مجالا للضرورة . بيد انه يضيف قائلاً ، ان معنى التطور الاشتراكي يكمن في اعطاء العمل اشكالاً جديرة بالانسان ، ملائمة للتقدم البشري . في وسعنا أن نكمل هذا بقول **ماركس** المأثور في **نقد برنامج غوتا** ، حيث يشترط لوقوع الشيوعية ، أن يغدو العمل حاجة حياتية بالنسبة الى الانسان . واليوم ينشأ على العمل ودراسة نفسانية للعمال وكيفية معاملتهم ، لكن كل هذه الامور ترمي الى حض العمال على قبول التكنولوجيا الراسمالية السائدة الآن ، واغرائهم بشتى وسائل المناورات المتبعة ، غير انه لا يسعى من وراء ذلك الى خلق نوع من التكنولوجيا القادرة على أن تجعل من العمل تشغيلاً قيماً بالنسبة الى

العامل . وقد استتب بين ظهرانينا حكم مسبق مفاده : بما أن الرأسمالية قد جبلت على ما هي عليه ، وبما أن كل ضرب من ضروب التجديد يهدف الى زيادة الارباح وكل شيء عدا ذلك ليس سوى مكملات ، لذا فطبيعة القضايا التكنولوجية . يفرض عليها ، انطولوجياً ، أن تكون موضوعة ، دون قيد أو شرط ، في خدمة الرأسمالية . سأدلي بمثال تاريخي واحد ، يمثل مرحلة انتقالية بالغة الاهمية حصلت في نهاية العصر الوسيط ومطلع العصر الرأسمالي ، الا وهي المرحلة ، حين شق اتقان الاعمال اليدوية طريقه نحو ما هو فني . إني لا أتحدث حاليا عن الفنون الجميلة ، بل عن الاثاث والطاولات والمقاعد وغيرها ، وعن طريقة صنعها في ذلك العهد ، وهو تطور قوضته الرأسمالية أيما تقويض ، ذلك أن وجودها ادى الى وضع مبادىء أخرى ، ليست بغائية ، للانجاز التكنولوجي ــ ولنقل لصنع طاولة من الطاولات ــ والآن كما أن صاحب حرفة من الحرف في القرن الخامس عشر قد وجد بكل تأكيد ، شيئا ليس بطبيعي على الاطلاق ، في المشكلات الرأسمالية الناشئة ، كذلك فان تكنولوجياً معاصراً ، سيجد أمر توجيه مشروع انتاج لايجاد طريقة تجعل الانتاج زاخراً بالمعنى بالنسبة الى العامل ، أمراً سخيفاً وليس بطبيعي على الاطلاق ، على الرغم من أن هذا الضرب من الوضع التكنولوجي قبالة الوضع الحاضر ليس بأحدث مما كانت عليه التكنولوجيا الجماهيرية الراهنة المنساقة خلف الكم قبالة التكنولوجيا النوعية والغنية لعهد النهضة . ويغرب عن البال ، الى أي مدى تعد التكنولوجيا ضرباً متعيناً اجتماعياً من ضروب الظاهرات، فتراهم يقيمون من القضايا التكنولوجية الرأسمالية شيئا في ذاته لحد ما لصيقاً بطبيعة الانسان . هذا هو جانب العمل في هذه القضية . أما الجانب الآخر فيمثل في تحويل أوقات الفراغ الى تمعن واستجمام ، وهذا التحويل لا يتم والحالة هذه ، إلا في عمل ايديولوجي ، في توعية ايديولوجية ، تنير السبيل للعمال اكثر فاكثر كي يستوعبوا أن هذه المناورات تتعارض ومصالحهم الخاصة الانسانية . لا تؤاخذني ، لانني سأضرب من جديد مثالا تافها حول الازياء ــ علي أن أبوح ، انني أقرأ أخبار الازياء دائما باهتمام سوسيولوجي كبير ــ منذ عشرين عاما والنزاع قائم على قدم وساق في ميدان الخياطة الحديثة ، لانها تود إشاعة زي

الفسطان الطويل ، مهما كلف الامر ، كمناورة اقتصادية في ميدان الالبسة النسائية ، ذلك أنه من البديهي ، أن الارباح الناجمة عن بيع الاقمشة ستغدو اذ ذاك أضخم ، إن الامر واضح جداً . فالازياء التي ينعتونها ، بأنها قادرة على كل شيء ، باءت بالفشل في هذا المضمار . منذ عشرين عاماً وباريس تردد تنبؤاتها في أمسيات معارض الازياء الكبرى حول اطالة الفساتين . وتدافع النساء عن حقوقهن في هذا المجال مدعيات أنهن غير مستعدات لان يجلسن ، إبان الذهاب الى العمل ، في قطار مزدحم وهن مرتديات فساتين طويلة ، لا شك أنك تدرك ما أرمي اليه في مثالي ؛ إن المناورات ، مبدئياً ، ليست بقادرة على كل شيء . ومن الطبيعي ، أن ايقاظ الحاجات الاخرى الحقيقية ، العاملة على تطوير الشخصية والكامنة في الانسان ، هو عمل أصعب . وأعتقد أننا هنا إزاء عملية شائكة طويلة الامد ، بيد أنه رغم ذلك ، بالامكان احراز النصر على ي حال في نهاية المطاف . ولا يدور الامر حول عملية لا تتعلق الا بالطبقة العاملة لا غير ، بل إننا نجد ، فيما يتعلق بهذه الناحية ، وعلى مستوى المناورات وفضل القيمة النسبي ، أن شأن الطبقة المثقفة والبرجوازية هو شأن الطبقة العاملة ، إن كلاً منها يخضع بالواقع للرأسمالية ، وبالتالي لتلك المناورات الرأسمالية . فما يتوخى اذاً هو ايقاظ الشخصية المستقلة حقاً ، التي مهد التطور الاقتصادي لها سبيل الامكان . ذلك أنه من البديهي ، إنه يتحتم على كمية العمل اللازمة للانتاج الفيزيائي للانسان أن تتناقص باستمرار كي يفسح باب الامكان لوجود مجال للناس أجمع ، من أجل خلق حياة انسانية ــ حضارية . هذا ما حصل ، من الوجهة الاقتصادية ، في الحضارات الاولى ــ كما كتب ماركس ذات مرة ــ على نحو ضيق الافق . فمثلاً نجد أن العبودية في أثينا قد رفعت عن كاهل طبقة النبلاء أعباء العمل ، رفعاً أفسح المجال لنشوء حضارة أثينا الرائعة . لا مجال للانكار ، أن ثمة طبقات لا تزال تنطبق عليها ، نظراً لنمط حياتها ،المقولات القديمة للرأسمالية ، ومن الطبيعي ، أن إماطة النقاب عن مخاتلتها والمطالبة بتغيير مستوى معيشة العمال يعدان من المهام الجسام . لكن من البديهي ، أن الاشياء الضرورية لشرائح كبيرة من الطبقة العاملة في الميدانين الفكري واليدوي ، طفقت تلوح في الافق ، حيث

سيكون في وسع هؤلاء العمال العيش عيشة حرة تنسجم وحاجاتهم البشرية ، على أساس تخفيض مدة العمل اللازمة لتكرار عملية الانتاج . لهذا لبات من الضروري القيام بدراسة أساسية شاملة لظاهرة الاغتراب في مستواها الراهن . واني لأرحب أيما ترحيب بمبادرة الناس في الوقت الحاضر الى دراسة ماركس الشاب بصدد ذلك . وبالطبع ، إن أمر نصب ماركس الشاب كمعارض لماركس الناضج ، يعد غباء تاريخياً . ففي مقدور **المخطوطات الاقتصادية ـ الفلسفية** ان تصور لنا ظاهرة الاغتراب على نحو فلسفي مرن كل المرونة . بيد أن مشكلة الاغتراب في الوقت الحاضر قد اكتست سيماء تغاير السيماء التي كانت تسمها في عهد ماركس قبل مئة وعشرين عاماً . ويقتضي الامر دراسة هذا الشكل الجديد لظاهرة الاغتراب ، وتبيان ضرورة الجدلية التاريخية بأكملها الماثلة في هذه المشكلة المعقدة ، ذلك أننا نصادف في أيامنا الحاضرة أناساً أذكياء ذوي قلب شجاع ، ومن معدن طيب ، أكن لهم تقديري على الصعيد الانساني / والفكري ، قد سقطوا في أحضان الفتشية معتقدين أن التطور التقني اشبه بمولوخ (Moloch) يبتلع كل ما يقع في دربه بشكل لا يقاوم . إن هذا الاعتقاد خاطىء ، ويمكن الادلاء ببراهين على ذلك، اذا عدنا الى الاسس الماركسية . وقبل أربعين عاما دارت رحى الجدال بيني وبين **بوخارين** ، الذي ذهب الى أن التقنية هي القوة المنتجة الحاسمة ؛ وقد شاع اليوم هذا الخطأ اكثر من ذي قبل ، ولا سيما فيما يتعلق بالاختراعات الكبرى الجديدة كالاستفادة من الطاقة الذرية مثلاً . فمهمتنا ، المهمة الواقعة على كاهل الماركسيين تكمن هنا في الاطاحة بالجبرية الفتشية الوثنية من رؤوس الناس ، والاشارة الى أن التقنية ليست سوى وسيلة فقط ضمن الوسائل الباقية ، ساعدت على تطوير القوى المنتجة ، وأن القوى المنتجة تتمثل في نهاية المطاف في الانسان وقدراته ، وأنه إذا اعتبر اصلاح الانسان من المهام الرئيسية ، سيعد هذا الاعتبار مرحلة جديدة للماركسية . أرى أن هذا الرأي ، رأي لا يتعارض والماركسية على الاطلاق ، إذ عليك الا تنسى ، أن ماركس الشاب قد كتب أيضا في مؤلفه **نقد فلسفة الحق عند هيغل** ، ان الجذور المكونة للانسان تتمثل في الانسان ذاته . ومن الواجب أن تسلط الاضواء على

هذا الجانب من الماركسية في هذه الآونة ، ليس بطرق دعائية جوفاء ، انما على أساس تحليل الرأسمالية الحديثة ، وهكذا يمكن عقب ذلك ايجاد قاعدة انطلاق للكفاح ضد الاغتراب الحالي . هذا ما استطيع قوله بلمحات مجملة إجابة عن سؤالك .

كوفلـر : ان حديثنا هـذا يبرهن علـى أن المناورات ليست كليـة القدرة ، غير أن ما هو صعب وشاق يكمن في توعية الناس بطريقة أو بأخرى . ولعله يجوز لي أن أستخلص مفهومك حول الالحاد (**الديني**) من نطاق لغته ، من حيث أنه مجرد أسلوب من أساليب التفكير ...

لوكاتش : أجـل ...

كوفلر : ... وأحاول اثبات ، أنه ينطبق حالياً على سواد الجماهير ، التي لا تضع الأنا الذاتية العاقلة ، المرقاة الى مستوى عالم (خـاص) في موضع الله ...

لوكاتش : أجـل ...

كوفلـر : ... إنما تصنع الاستهلاك وأوقات الفراغ ... لكـن تضعه وفق الطريقة الآنفة الذكر ، الطريقة الاستهوائية المناورة ؛ لهـذا السبب يمكننا أن نشير مثلاً ـ بدون أن يكون في وسعنا البحث مفصلاً في الحلقات المتخللة ـ الى أن تعرية الجماهير مما هو روحاني ، قـد اتسع أفقها ، بشكل أدى الى اندثار الشعور الديني ، الضارب جذوره عمقـاً في تربة التقاليد ، والذي أشار اليه ماركس ، وبالتالي قد اندثر قبـل الوقت الذي كان ماركس قد توقعه لاندثاره ، وليس فقط في المجتمـع الخالي من الطبقات ، مع أن هذا التفكك الديني قـد حصل لاسـباب متعارضة . إننا هنا إزاء لون من ألوان الالحاد الديني أيضا ، الذي لا يتجلى في كون الكنائس اليوم تغص بالناس من حين لآخر ، بل في كونها تغص جزئيا بالملحدين . ونلاحظ في الوقت ذاته ، بصورة ملموسة للغاية ، نقلاً عاطفيا الى السحر جديراً بكل اعتبار . هذا يعني أن ما هو سحري

قد حل بدلاً عما هو ديني أصلاً . وبامكاننا تصنيفه حيث تصنف مثلا المحاولات التي تهدف الى التأثير في المصير المتعلق باليانصيب والفلك ، كترهة سحرية أو شبه دينية ، إزاء العقلنة الحديثة . ويشمل هـذا أيضا المحاولات التي تبذل لخلق قيمة للحياة عن طريق المخدرات . وأفكر هنا في المخـدر LSD الذي ذاع صيته . وعلينا أن ننظر الى هـذه الامور بجدية أكبر ، اذا علمنا أن كتاباً يجل المـواد المخدرة قـد الفـه الفيلسوف **هكسلي** (Huxley)

لوكاتش : **إني** أعرف هذا الكتاب ...

كوفلـر : ... اتعرفه ؟ ما الذي لا تعرفه أيها السيد لوكاتش ؟ لقد خامرني الظن ، انني سأقدم لك معلومات لم تقع بعد بين يديك . في هذا الكتاب المسمى « أبـواب الادراك » أوجـد **هكسلي** ايديولوجيـة ميتولوجية ذات « سبيل جديد » ؛ ميتولوجية خلاص **من نـوع ذاتي** صرف ، بيد أنها مفروضة ومنقولة عن طريق المخدرات . ومما يبعث على أقصى درجات القلق وعدم الاطمئنان ، هو أن أشخاصاً كعالم النفس الشهير في جامعـة هارفرد ، **لـيري** (Leary) ، يرمون الى انشـاء مؤسسات تهيء الفرد « لحياة متعالية » ، وقد وجد في الواقع لاهوتيون، كأستاذ علم الدين **كلارك** (Clark) مثلاً الذي قام مع طلاب اللاهوت ـ أكرر مع طلاب اللاهوت ـ ببعض اختبارات ، حملتهم على أن يزعموا أن الفرد يقترب اكثر فأكثر من الله بواسطة تعاطي المخدر LSD **كلارك** نفسه يقول : « اكثر قرباً من الله » .

لوكاتش : صحيح .

كوفلـر : واذا تقصى المرء هذه الامور ، لاكتشف عملية جديـرة بالاعتبار ، يمكن تحديد جدليتها ، كاستخدام الصورة السحرية للانتشاء الناجم عن طقوس العربدة بغية حل مشاكل الانسان الحديث ، لنتذكر مثلاً ظاهرات الانتشاء المرتعش المختلج في استعراضات الخنافس ، حيث نجد أن الاشكال قد ارتد الى الميدان الخاص للأنا ، فثمة اله جديد ، ثمة

شعور شبه ديني جديد قد انبثق ، يرجع الى أن الانا لا تستطيع العيش في المعمل ، وفي الحياة العامة والميدان الاجتماعي عيشة رغيدة ، لانها واقعة في هذه المجالات تحت وطأة الضغط والاكراه . وهفوة القول ، يطالعنا شكل حديث للاعقلانية وللالحاد ، ولا شك أن دراسته وتحليله يتمتعان بأهمية كبرى ، كما اعتقد بالنسبة الى الماركسية الحديثة ، التي تتطور اليوم اكثر من أي وقت مضى .

لوكاتش : اعتقد انك مصيب فيما تقول تماماً . ولعلك تجيز لي أن أقسم سؤالك ، الذي عالجته بصورة موحدة ، الى جزأين متباينين ، الجزء الاول يتضمن سرداً عاما للتحولات العنيفة الطارئة على التكوين الاقتصادي ، تلك التحولات التي نواجهها حالياً . والاعتقاد ، أن هذه التطورات ، وبخاصة تطور العامل الذاتي فيها ، تتم بشكل خطي ، لهو وهم من الاوهام . فلا يفوتك ، هذا اذا أخذنا الجانب الديني فقط ، أن الدين في نهاية العصر الوسيط وخلال عصر النهضة قد فتر واكفهر وغدا ضرباً من اللامبالاة المتنورة ، الى أن التهب الحماس الديني مجدداً في الصدور إبان حروب الفلاحين وعهد الاصلاح واستحال الى ورع وتدين وتقوى لم تكن لتخطر في بال العصور الخوالي على الاطلاق . والآن إليك ما افكر فيه ، هو ، حسب راي ، بالغ الاهمية . بعد نشوب صراع الطبقات في نهاية القرن التاسع عشر ، والنصف الثاني من القرن ذاته ، وازدياد اوار الصراع بصورة مستمرة ، وبلوغه الذورة في الحرب العالمية الاولى وفي عام ١٩١٧ ، نجد بزوغ أمور جديدة من جراء الوضع الجديد الناجم بعد الحرب العالمية الثانية ، فشبابنا الفتي القلق ، الشباب الغاضب الجانح نحو اليسار قد وقع في شباك الاغواء الصيني ، لان التطور لا يحث خطاه وفق ما يرغبون من السرعة . فهم يحلمون بثورة تستعر أوارها في القريب العاجل في أميركا ، أو يودون الرحيل إلى اميركا الجنوبية لينضموا الى صفوف الانصار . ويقع على عاتقنا كماركسيين ، بعد الانتهاء من المرحلة الكبيرة الاولى ، أن نكون أفكارا نيرة حول هذه الاشياء كلها ، وينبغي أن ندرك ، أن التحويل الطارىء على الراسمالية ، العائد الى سيطرة فضل « القيمة النسبي » أوجد وضعاً جديداً ، حكم ،

انطلاقاً منه ، على الحركة العمالية ، الحركة الثورية بفتح جديد ، تلقى فيه تلك الايديولوجيات ، التي يظن أنها قد اضمحلت منذ زمن طويل ، والتي حصلت في صور مشوهة هزلية ، كحركة تحطيم الآلات في نهاية القرن الثامن عشر ، تجديدا . ولعل الامر يبدو غريباً في ناظريك ، ذلك أنه بامكاننا ، مع موجة الجنس العارمة ، التي تجتاح اليوم النساء والفتيات على حد سواء ، استطلاع ضرب من ضروب تحطيم الآلات ، يتجلى في الكفاح من أجل استقلال المرأة . يبدو الامر غريبا للوهلة الاولى ، بيد أني أعتقد أن القضية تنطوي هنا على أوجه شبه معينة . ويجب أن يتضح في ذهننا ، أنه ليس في وسعنا اليوم ، إبان إيقاظ العامل الذاتي ، تجديد الاعوام العشرين ومواصلة السير على هديها ، انما علينا أن نشرع بالعمل من جديد على أسس انطلاقة جديدة مسلحين بجميع الخبرات التي اكتسبناها في الماضي من الحركة العمالية ومن الماركسية . علينا أن نكون على بينة ، من أننا هنا ازاء فجر بدء جديد ، أو ، لاستخدام مقارنة ، اننا لا نقف الآن على ضفاف العشرينات من القرن العشرين ، لكن وفي معنى ما ، في مستهل القرن التاسع عشر ، حين بدأت الحركة العمالية تتبلور شيئا فشيئا بعد خمود الثورة الفرنسية . وأرى ، أن هذا التصور من الاهمية بمكان بالنسبة الى المفكرين النظريين ، ذلك أنه سرعان ما ينشر اليأس ظله ، إذا لم يلق التعبير عن حقائق محددة سوى صدى خافت للغاية . ولا يغرب عن بالك ، أن الامور الهامة ، التي كان قد قالها كل من **سان سيمون وفوريه** ، قد لاقت في ذلك الحين صدى خافتاً للغاية ؛ فانعاش الحركة العمالية لم يشرع به ، إلا في غضون الثلاثينات والاربعينات من القرن التاسع عشر . بالطبع لا يجوز المبالغة في المقارنات ، بيد أني اعتقد أنك تفهم ما أرمي اليه ، عندما اقول ، أنه يجب علينا أن نكون على بينة من أننا نقف على أبواب مرحلة جديدة . والواجب الملقى على عاتقنا ، باعتبارنا مفكرين نظريين ، ينحصر في ايضاح امكانيات الانسان في مجرى هذه المرحلة ، مدركين ، أن هذه المعارف ستلقى موقتا صدى ضئيلاً في صفوف الجماهير . وهذا بالطبع يتعلق بالتطور الستاليني في الاتحاد السوفيتي ، وبالطريقة المقروءة التي اتبعت للتغلب عليه ، وبتأخر التطور الاشتراكي الذي نجم عن ذلك ـ فالحادثات الجسام يمكنها أن تؤثر في

العامل الذاتي تأثيراً سلبياً بالغا ـ وكي أدلي بمثال تاريخي مجدداً ـ أقول ، إن الفشل البطولي لليعاقبة اليساريين ، في أثناء الثورة الفرنسية وحده ، حمل الطوباويين على الاعتقاد الا علاقة ثمة للاشتراكية على الاطلاق بالحركة الثورية . وأرى إن الامر لا يعدو أن يكون سوى خيبة أمل خيمت في النفوس إثر تطور الامور في فرنسا خلال العامين ١٧٩٣ و ١٧٩٤ على غير مايرام ، غير أن هذه الخيبة قد أثرت في الحركة العمالية ردحاً طويلاً . وفي الواقع ، كان ماركس أول من أبرز أهمية النظرية الثورية للنضال من أجل الثورة الديمقراطية كمرحلة مسبقة للنضال من أجل الاشتراكية ، ولا نزال نفتقر حالياً الى سياسيين قادرين على تحويل ـ المعارف النظرية ورفعها الى مستوى الممارسة السياسية . وأما المزج العجيب ، الماثل أمام الاعين في مرحلة ١٩١٧ ، لصفات مفكر نظري مرموق وسياسي ضخم عظيم متسمة في شخص لينين ، يعد حالة فريدة من نوعها على الاطلاق ، هذا اذا لم نقل مثالا معنويا مغريا . لذا فليس من المؤكد مطلقاً ان السياسة في المستقبل ستقتفي اثر التوحيد بين ما هو نظري وما هو سياسي عملي ، لدينا حاليا شعاعات أولى للنظرية ، ولم يظهر بعد في الافق اي شخص سياسي ، في مقدوره تحويل هذه النظرية وترجمتها الى كلمات على الصعيد السياسي ، غير أني مقتنع تمام الاقتناع ، أن نجم هذا السياسي لا بد أن يتألق ، بمقدار ما يعمل على تقوية صلب الحركة .

وأعود الآن لأعالج الشطر الثاني من السؤال ، المتضمن الجانب الديني . انها لمشكلة شيقة للغاية ، لم تبحث من قبل أحد ، وبخاصة من قبل الماركسيين ، ذلك أن الماركسية الدغماتية قد احتفظت بتصورات حول الدين تعود الى الاربعينات من القرن التاسع عشر . ففي الآونة الاخيرة طالعتنا الصحف بمقالات تقول ، ان الصواريخ التي أطلقت في الفضاء الخارجي لم تصادف الله في أي مكان ، وثمة فئات ملحدة تخيلت أن دليلا كهذا سيحدث وقعا ما في النفوس ، كأنه بامكاننا أن نصادف في يومنا هذا ربة بيت واحدة بين النساء ، تؤمن بسماء كسماء **توما الاكويني** أو كتلك السماء التي نطالعها في «الكوميديا الالهية» **لدانته** . من الواضح ،

أن الاساس الانطولوجي ، الذي ينهض عليه الدين القديم برمته قد انهار ، وهذا الاساس يعد دائما لحيظة حاسمة من أجل العمل والتصرف . ليس الآن فقط، بل في الواقع منذ نضجت نظرية **شليرماخر** (Schleiermacher) حول « الانعتاق المطلق » ، نجد أن ثمة أشخاصا مؤمنين يقفون الى جانب ضرورة طرح الانطولوجيا القديمة ، في الميدان الديني ، والبحث عن انطولوجيا جديدة لما اسميته في كتابي « علم الجمال » ، الحاجة الدينية . والآن ، ما هي هذه الحاجة الدينية حقا ؟ انها ذلك الشعور الغامض الكئيب الذي يجتاح الانسان مصورا له أن حياته لا معنى لها ، وبما أن هؤلاء الناس لا يمكنهم تحديد موقفهم من الحياة ، وبما أن الانطولوجيا القديمة للديانات قد انهار أساسها ، وقد انهار أساسها ، كما أعتقد ، بمعنى انه لا يوجد اليوم أي كاثوليكي أو بروتسطانتي يعتبر ، اعتبارا تاريخيا ـ انطولوجيا ، العهد القديم والعهد الجديد أساسا لسلوكه وأعماله ، نجد أنهم ، والحالة هذه ، يقفون وجها لوجه امام العدم ؛ وأما ما يحملهم على الارتماء في أحضان السحر ، كما قلت أنت بحق ، ان هو سوى محاولتهم ايجاد قاعدة جديدة ازاء هذا الضياع الروحي ، ازاء هذا الوقوف في الفراغ . وهكذا يظهر لنا ، أن مسألة الحياة الزاخرة بالمعنى ، التي طرحتها بالنسبة الى العالم المناور المتلاعب للراسمالية بحسب التفكير الماركسي ، هي في الواقع ذات المشكلة ، التي نجدها ماثلة اليوم بالنسبة الى الحاجة الدينية . وينبغي أن نوجد هنا حلا ، الا اننا سنجابه عائقين . العائق الاول يتمثل في الاعتقاد الدغماطي لعديد من الماركسيين ، الذين لا يزالون يتشبثون بالأدلة القديمة للالحاد ، تلك الادلة التي فقدت كل أثر في الوقت الحاضر . ومن جهة ثانية ، نجد انه ليس من قبيل الصدفة أن أشخاصا ، من بينهم **غارودي** مثلا ، يحاولون الاقتراب ايديولوجيا من شخصيات معينة ، ولنقل من **تيلار دي شاروان** مثلا . وفي الحقيقة لا يوجد طبعا أي نقاط التقاء . أما لهؤلاء الاشخاص ، الذين تصطبغ حاجتهم الدينية بصبغة أصيلة ، لكنهم يبحثون عن نقاط استناد ايديولوجية خاطئة لاشباعها ، لا يمكننا ان نسدي عونا ، عندما ندرك خطأ نقاط استنادهم . وتطالعنا في هذا المجال مشكلة جد معقدة بالنسبة الى الماركسية ، أود أن أحدد معالمها ، مشيرا الى انه ليس من قبيل الصدفة ،

ان ماركس الشاب كان كتب اطروحته للحصول على الدكتوراة حول **ابيقور** . فالأبيقورية تذهب الى أن الآلهة تحيا في عالم يتوسط عوالم الكون ، وهذا يعني بعبارة أخرى أن الألوهة ، المبدأ المتعالي ، ليس له من أثر في حياة الناس على الاطلاق ، ولا يمكن أن يكون لها من أثر ، بحيث أنه يجب على الانسان بالتالي أن يرضى بما قدر له ، انه وحده بامكانه أن يسبغ على حياته معنى ، وأن الله لا يمد له يد العون ، في خضم كفاحه من أجل حياة زاخرة بالمعنى ـ كما تقول كلمات نشيد الاممية ـ . هذا سيطرح سلسلة من المشكلات الفلسفية ، وأود أن أوجه الانظار من جديد ، في هذا المجال كما في سؤالات أخرى عديدة ، الى الخدمة التي أسداها نيقولاي **هارتمان** (Hartmann) ، الذي أشار في كتيبه حول الغائية ، الى أن الانسان يعاني الحادثات التي تمر في حياته اليومية ، وكأنها مقادة بغائية مستقلة عنه ، فاذا حدث أن توفي أحد المقربين اليه ، لتساءل « لماذا أصابني هذا الخطب ؟ » كأن وفاة س أوع نابعة من غائية تهدف الى تغيير مجرى الحياة الاخلاقية عند ج . وأرى أنه هنا تكمن النقطة الحاسمة ، النقطة الجدلية ـ الابيقورية ، الكامنة في التطور الماركسي ، وحيث انطلاقا منها بامكاننا مد يد العون ، من خلال تفسيراتنا ، للملحدين المتدينين .

لا شك أن الكنائس أجمع واقعة في أزمة ايديولوجية ، في وسعنا مقارنتها بالازمة الايديولوجية الكبرى التي حصلت عقب عهد الاصلاح . وأرغب في القول ، ان أزمة الاصلاح في الميدان الكاثوليكي ، قد اشرأبت من جراء اعتماد الكنيسة الكاثوليكية على نظام الاقطاع ورعايته . وبعد انتهاء الازمة ، نجد أن مساعي **لوايولا** (Loyola) وفضله يكمن في انه أيقن بدقة ، أن الكنيسة الكاثوليكية لن تستطيع أن تضمن بقاءها ويكتمل بناؤها بعد الآن ما لم تتمشى مع الرأسمالية الناشئة . الا اننا نجدنا الآن ازاء أزمة جديدة ، ألا وهي أن الكنيسة الكاثوليكية وكنائس أخرى شرعت تدرك ، أن رباط الموت والحياة مع الرأسمالية ، التي عاهدت نفسها عليه ، أضحى يهدد كيانها ويشكل خطرا عليها . وأرى أن الامر في الوقت الحاضر يتطلب مزيدا من الدبلوماسية . ان **البابا يوحنا الثالث**

والعشرين قد رأى بشكل واضح ، انه لا بد من تخلي الكنيسة عن اتجاهها الاحادي الجانب ، الماثل في دعمها الديني للرأسمالية وبحثها عن اتجاه جديد آخر . لهذا السبب عمدت الى مثال لوايولا من القرن السابع عشر . وللاجابة عن السؤال الثاني أقول اذا ، انه علينا أن نقوم بتحليل الحاجة الدينية السائدة في وقتنا الحاضر ، تحليلا بعيدا عن الدغماطية وعن المصالحة على الصعيد الايديولوجي ، ذلك أن افضل السبل لاسداء العون ، لاولئك الذين يجتازون هذه الازمة الدينية اليوم ، يتجلى في النضال بمختلف الطرق لايجاد حياة زاخرة بالمعنى ، ومن أجل تكوين تحالف يشترك فيه أولئك الماركسيون ، الذين يحاولون تصفية الدول الاشتراكية من بقايا الستالينية ، ذلك أن هذه الميول الحياتية لا يمكنها أن تتحقق في الدول الاشتراكية ، الا على أساس تصفية الستالينية ، تلك الميول التي تضفي معنى على الحياة ، والتي في امكانها أن تتبدى في الاشتراكية قبل أن تتبدى في الرأسمالية وبشكل أوضح ، بيد أن ما أعاق ظهورها ، هو نظام الحكم الستاليني والطريقة الستالينية التي اتبعت تخطي هذا النظام . لست أدري ، اذا كنت على بينة ، من أن ثمة قوى متباينة يؤثر بعضها في بعض على نحو معقد للغاية ، ومن أننا سنرتدي مؤقتا معطف الاوهام أن نحن ترقبنا وقوع نتائج باهرة من جراء الكفاح ضد أساليب التلاعب والمناورات . ان ما يهمنا الآن اكثر من سواه ، هو الوصول الى وضوح نظري تام ، حول ما تعنيه الماركسية اليوم وحول ما في وسعها القيام به .

كوفلر ـ

في سياق عرضك المفصل والمتعدد الجوانب ، خطر في ذهني ثلاثة أشياء ، لكني أرغب في طرح مشكلة واحدة منها للمناقشة ، دون أن أهمل الاشارة الى أن المشكلتين الباقيتين ماثلتان على الاقل في المجتمع : من الممكن ربط تفسيرك الانثروبولوجي ـ المنهجي للدين بالتعريف الماركسي للدين « كتنهدة المخلوق المظلوم المضطهد » . وقد خطر لي أنك عالجت في الجزء الاول كما في الجزء الثاني من مؤلفك « علم الجمال » مشكلة

الدين مطولا ، غير انك لم تشر الى هذه العلاقة . ارى أن لا حاجة بنا الى مناقشة الامر الآن . في ودي أن أشير أيضا ، الى أن حركة النساء والفتيات المشبهة بحركة تحطيم الالات ، التي ذكرتها آنفا ، ينظر اليها نظرة غريبة ، لكن لا يطلب تحملها قسرا فحسب ، لا بل يعمل على تشجيعها . بصدد ذلك أطرح السؤال : لماذا ؟ وهنا يخامرنا الشك ، ونتساءل ، ألا يضمن الوقوف وقفة التساهل والتسامح من هذا التمرد على التقاليد التابوية ، وفق رؤية ضيقة معينة ، ضمن اطار هذه الجدلية المعقدة تعقيدا غريبا ، توطيد النزعة نحو التكامل بالذات .

لوكاتش :

الا انظر ، اعتقد انك مصيب فيما تقول تماما . لكن اذا قارنا في هذا الصدد الجنس بتحطيم الآلات ، فمقارنتنا هذه تتعلق بالحوافز الانسانية ، ولا تتعلق بالحركة نفسها . ان حركة تحطيم الآلات لم يكن في وسعها الاندماج في رأسمالية ذلك العصر، بيد أن الحركات الايديولوجية الغامضة اليوم يمكنها ذلك ايما امكان . ولادلي بمثال مفيد يتناول هذا الموضوع ، أقول ، اذا أخذت كتاب **مانهايم** (Mannheim) الذائع الصيت ، تجد أن **مانهايم** يقف موقفا حازما من الايديولوجية ، ويبدي حلما مستظرفا وضعفا يتقاضى عنه تجاه الطوباوية (اللامكانية) ، ذلك أنوجه الممارسةالثورية يختفي بينالايديولوجيةواللامكانية ، ــ فاللامكانية بما هي كذلك يمكنها أن تندمج ــ كما صرحت ــ أيما اندماج ــ وأن أي معارضة تنصب أهدافها بعيدا ، بحيث أن تحقيق مثل هذه الاهداف يكون محالا أصلا ، بامكانها أن تندمج برأسمالية معاصرة اندماجا حسنا . اني أعلم تمام العلم ، لماذا تقبل بعض الامور ، وبعضها الآخر يرفض . ولنقل ، على سبيل المثال ، اذا ذهب فيلسوف رصين من مقام ارنست **بلوخ** (Bloch) الى أن الطبيعة أيضا يطرأ عليها التغيير مع قيام الاشتراكية ، فننظر الى الامر نظرة بعيدة عن الاعتراض والاحتجاج ، وينظر الى أرنست **بلوخ** ، على انه فيلسوف مسلم به ، ومن طراز رفيع ، على الرغم من أن اشتراكيته تصطبغ بصبغة راديكالية ، لدرجة أن الطبيعة

ذاتها تتغير فيها أيضا بينما اذا قلت ، ان ثمة علاقة قائمة بين **نيتشه** و **هتلـر** ، أصبح في نظر بعضهم « مستشارا حكوميا » ، أو لست أدري ماذا يطلق على ذلك الذي يدمر التقاليد المقدسة للفكر الالماني ، ذلـك أن التهجم على **نيتشه** ونقده ، يلامس شغاف الروح القومية المعاصرة في الصميم . لعلك تعذرني لاختياري مثالا خاصا ؟ غير أنه يبدو ـ وما أقوله هو شديد الاهمية فيما يتعلق بانجاز الكفاح ضد التلاعب والمناورات ـ أن أمورا راديكالية مفرطة يعترف بها أحيانا على أنها عوامل هامة ، وأخرى هي عادية وغاية في البساطة يحكم عليها بأنها دغماطية أو محدودة الافق أو عفى عليها الزمن ولست أدري ماذا أيضا . ويتوجب علينا اليـوم بالتالي أن ننظر في هذا الموقف نظرة واضحة شاملة .

كوفلـر :

في استطاعة المرء طبعا الاشارة الى أمثلة خاصة أخرى ، غير تلك التي تتعلق بالفيلسوف **بلوخ** .

لوكاتش :

اتسمح لي أن أقول في هذا المجال ، انني أدليت بمثال حول **بلوخ** ، لانه في نظري الرجل الافضل . ومن الممكن أن نجد قضايا أشد متانـة وصلابة بكثير عند آخرين . ليس من مبعث للشك في نزاهة بلوخ ولا في موهبته ، وأود أن اعلن أن الفكرة تقبل لانها صادرة حتى عن **بلـوخ** ، وأما أن تصدر عن آخرين فتقبل بالتأكيد وبمقياس أوسع .

كوفلـر :

بيد أن ثمـة مدارس تنشىء اعـدادا ضخمة مـن أولئك الشـبان الغاضبين ، كما اعلنت سابقا ، الذين يرفضون الذهاب الى فيتنام كي يحاربوا هناك ، ونراهم يتخذون ، في موجة غضبهم وسخطهم ، موقفـا شبه ثوري ومناهضا للراسمالية ، بيد أنه موقف شبه استسلامي .

واقول بكل صراحة ، هذا هو الاتجاه السائد في فرانكفورت . وهنا تعترضني مشكلة اخرى ، تعترضنا في الوقت ذاته كمشكلة في مؤلفاتك، وهي ليست فقط مشكلة اولئك الشبان الغاضبين ، ولا امثال اولئك الذين ينسجمون مع الوضع بطريقة من الطرق مذعنين ، على الرغم من نقدهم اللاذع للوضع ، انما مشكلة « النماذج الايجابية » . ففي كتابك « الواقعيون الالمان » تقول في سياق حديثك عن غوتفريد كيلر (Keller) ما يلي : ثمة اتجاهات معينة في فن كيلر تحمل في طياتها معاني سامية ، شامخة نحو المستقبل ، وفي شموخها يمثل امامنا نماذج حقة لحياة تسربلها الديمقراطية ، بحيث ان السمات الواقعية ، الانسانية الديمقراطية لاي ديمقراطية حقة اصيلة تتخذ شكلا مثاليا في انظارنا ، دون ان تفقد مع ذلك طابعها الواقعي . يتم هذا بشكل غريب لا مجال لمناقشته الآن ، بيد انك تؤكد في كتابك على جملة « دون ان تفقد طابعها الواقعي » . مدار الامر اذا هنا النماذج الحقة ، وأود ان الح عليها بصورة خاصة . الا تعني جملة « دون فقدان طابعها الواقعي » ، دون التردي في مهاو طوباوية قاتمة ! الا يعني هذا في الوقت ذاته ، انه يتحتم ايضا ايجاد امثال تلك النماذج ، الشخصيات ، التي تجسد ديمقراطية انسانية حقة، في حياتنا الراهنة ؟! ثم اضف الى ذلك ، هل من الممكن ايجاد تلك الشخصيات ، على وجه العموم ، في خضم حياة فتشية مشوهة كل التشوه ، كتلك التي يتميز بها عصرنا ؟ واذا ، وفق مقياس محدد ... أتسمح ؟ ..

لوكاتش

أجل ...

كوفلر :

... اذا ظلت الطرق البارعة للاندماج القمعي مسيطرة ، ألا نكون نتحدث بلسان ايديولوجية طوباوية ، تؤدي واجبها بالتأكيد بطريقة من الطرق ، لكنها تمر بالقضية كلها مر الكرام ، ولا تصيبها في الصميم .

أود أن أجزم قطعا ، أن هذا ليس رأيي الخاص ، بل عبارة عن اسئلة أتيت بها لاطرحها عليك للمناقشة .

لوكاتش :

أود القول ، ان تكوين أقلية واعية هو شرط لقيام حركة جماهيرية . هذه القضية بحثها **لينين** بشكل جيد ، حسبما أظن ، في نشرته «مالعمل» وأعود ثانية لادلي مثالا حول **كيلر** ، لا لاستمد حافزا هاما **مركزيا** ، بل لاذكر مناسبة بسيطة ، تلقي ضوءا على ما نحن بصدده . لنأخذ قصته « السيدة ريغل امران » لموضوعها التربوي . فالواقعة الجديرة بالاعتبار فيها هي أن السيدة أمران تبدي تساهلا جما في تربيتها لابنها فيما يتعلق بالتصرفات والاعمال السيئة أو الشريرة ، والامر العجب ، أن غيظها لا يحتدم وحماسها لا يحتد ، الا عندما تصدر عنه أعمال دنيئة تمس الانسانية . وتطالعنا في هذا المثال قضية الطباع النموذجية ، التي لا تتعلق بكون السيدة أمران تنتسب الى بيئة سويسرية اختفت معالمها . ان الواقعية عرض وبيان لا غير ، وفي هذه القصة توصف تلك البيئة المنقرضة وصفا دقيقا . على الرغم من ذلك نرى أن قضية الكفاح الاخلاقي ضد الدناءة والاذلال سارية المفعول ، وهي مشكلة تقوم بدور جلل على صعيد النضال ضد التلاعب والمناورات مثلا ، وتظل حتى أيامنا الحاضرة ممكنة على الاطلاق . سأذكر الان مثالا راهنا يتعلق بقصة الكاتب يورج سمبرون (Semprun) ، وعنوانها « الرحلة الكبيرة » ، التي تحتوي على أشياء عديدة رائعة . وقد تحدثت انت عن الموقف الحاضر وعن الادب الذي يمثل هذا الموقف . واجد ، عندما القي نظرة على جميع ما كتب في ميدان الادب في العشرينات الخوالي ، أن الامر يثير الشك والحياء ، ذلك أن هذا الكتاب الرائع ، الذي نشر في الخمسينات ، لم يحرك أي باعث في صدور الادباء ، على الرغم من انه يتضمن الرسائل الاخيرة التي خطها المناهضون للفاشية والمحكوم عليهم بالاعدام ، وأن صفحاته تفيض بالرفعة الانسانية والمقاومة الصلبة والبطولة . والحق يقال ان كتاب سمبرون يعد في طليعة الكتب ، يوم

شرع الادب بمد جسوره للدنو من الافق الانساني ، الذي يميز تلك الرسائل ، والذي كان تحقق في ميدان الحياة . أنا لا أزعم ، ان هذا الكتاب لا مثيل له . فثمة اقصوصة **هوخهوت** (Hachhuth) الرائعة وعنوانها « انتيغونا البرلينية » ، وثمة أمور في منتهى الروعة نلمسها في قصة **بول** (Böll) ، وعنوانها « البليار في التاسعة والنصف » . واعلم ، أني لا أتحدث في هذا المجال عن الطابع الفني ، بل عن الحياة . فتلك المرأة المسنة التي تطالعنا في قصة **بول** هذه ، وتحتجز في مشفى الامراض العقلية وتطلق النار أخيرا على جندي وقد أعماها الغضب ، ان هي الا شكل من أشكال الاحتجاج الاصيل الصادق ضد الفاشية ، واشارة الى تصفيتها الداخلية ، وهذا يتعارض مع الحياة التي تجري في المانيا . ويتضمن كتاب **سمبرون** أمورا أود القاء ضوء عليها ، لانها تتعلق بالحوادث المروعة التي قامت بها الفاشية ، الا وهي المسألة اليهودية ،التي لا يمكن عرضها بما فيه الكفاية كمثال عن المناورات العنيفة ، على الرغم من هذا اذهب الى انه من الخطأ إرجاع تخطي الفاشية الى المسألة اليهودية ، كما هو الميل شائع الآن في المانيا ، فلا يعدو هذا أن يكون سوى حادث عرضي ، وقد تناول **سمبرون** هذا الموضوع وعرضه كنقد ذاتي لليهودية بصورة جريئة ؛ ذلك اننا نجد في قصته يهودياً المانيا شيوعياً ، يؤم الارض الفرنسية إبان نشوب الحرب ليناضل في صفوف المقاومة الفرنسية ، ويسقط كفدائي في ساحة الحرب ، ويدعه سمبرون يتلفظ بهذه الكلمات : « لا أريد أن أموت ميتة يهودية » . والميتة اليهودية تعني ان مئات الالوف وملايين الاشخاص كانوا يساقون الى أفران الغاز دون أن يحاولوا القيام بأي مقاومة تذكر . إن الفتنة التي نشبت في غيتو وارصو كانت في الواقع شيئا مماثلاً ، بيد اني اعتقد ، انك اذا أردت أن تقارن الواقع بالادب ، على الصعيد اليهودي أيضا ، فيمكن القول ، ان هذا النصير اليهودي الشيوعي ، الذي استشهد في فرنسا ، هو الاول من نوعه على الصعيد الادبي ، الذي يحق له أن يقف في مستوى الانتفاضة التي نشبت في وارصو . لست أدري اذا اتضح لك ما أعنيه بقولي ، ففي هذا المجال يقع على الادب عبء كبير يجب تأديته . وكنت قد أشرت في ميدان آخر ،

الى أنك اذا قارنت قصة **سولجينستن** (Solschenizyn) وعنوانها « يوم في حياة ايفان دنيسوفيتش » بالروايات الاخرى ، التي تعالج موضوع الحياة في معسكرات الاعتقال ، تجد فرقاً شاسعاً . فمن وجهة أولى نطالع وصفاً واقعياً لاعمال العنف الوحشية ، ومن جهة ثانية تطالعنا المسألة التي ترمي الى معرفة كيف يستطيع الانسان الاحتفاظ بكرامته كانسان داخل المعتقل ، مستعملاً شتى الوسائل ، الخداع وغيرها . في هـذا المضمار خرج علينا **سولجينستن** في روايته تلك بأشياء جديدة ، بل قل بانقلاب في الآراء . هذا هو الميدان ، حيث يصول الادب ليعاضد الكفاح ضد التلاعب والمناورات معاضدة كبرى ، حين يأبى أن يستسلم ، من الوجهة الادبية ، لتتقاذفه الايدي المناورة ، معتبراً المناورات مصيرا . لقد أدليت بهذه الامثلة عمداً ، كي أظهر أن باب الامكان مفتوح على مصراعيه في محراب الفن الادبي لصياغة هذا التمرد الواقعي ، كما تجده في الرسائل الاخيرة للمناهضين للفاشية والمحكوم عليهم بالموت ، وتطويره بالوسائل الحالية وبالحوادث الراهنة ، أو بالالتفات الى الحوادث القديمة الماضية ، التي يمكن سكبها في قالب مثالي ، من أجل نضال الانسان المعاصر ضد التلاعب والمناورات . ثمة على سبيل المثال ، رواية شيقة للكاتب الاميركي **وليام ستايرون** (Styron) ، عنوانها « وأشعل النار في هذا البيت » ، وهي توجز ظاهرة التلاعب والمناورات في صورة مأساة انسانية مروعة ، حسب النمط الدستويفسكي . إنه يظهر ، من جهة ، كيف يصير الانسان الثري طاغياً مستبداً مناوراً لا محالة ، وكيف يغدو الانسان الفقير فريسة في مخالب التلاعب وضحية على مذبح المناورات ، وبعد أن ينتهي من هذا العرض ، يصف تمرد الانسان الفقير على أخطبوط التلاعب والمناورات ، الذي ينغص حياته ، في صورة حادثة قتل يقترفها في النهاية بمثابة احتجاج شخصي . والشيء الهام ، من جهة أخرى ، في هـذه النظرة الشاسعة ، هو أن هذا الانسان يتملص من عواقب فعلته ، بفضل ظروف مؤاتية ، ويتسنى له أن يحيا ، بعد جريمة القتل تلك ، حياة سعيدة زاخرة بالمعنى . طبعاً يمكن الادلاء بمزيد من الامثلة ، على الرغم من أن أمثال هذه الاعمال الادبية يعد من النوادر . بيد أني أرى ، أنه لا ينبغي أن يستبد بنا التشاؤم لضعف الحركة الموجهة ضد التلاعب والمناورات .

لدينا امكانات ولدينا أنصار . فثمة أناس عديدون ، أكثر مما يطوف في مخيلتنا ، غير راضين في قرارة نفوسهم عن الاوضاع ، ساخطين عليها . فالقضية تنحصر ، والحالة هذه ، في مدى الوضوح النظري والفني ، وفي السؤال عن الطريقة ، التي ننهجها ، والسرعة التي تحتاج اليها ، لايقاظ هؤلاء الناس من غفوتهم .

كوفلـر ـ إن إشارتك الى الاستسلام تجـاه التلاعب والمناورات يذكرني بفقرة في دراستك التحليلية حـول **توماس مـان** (Mann) وعلاقته بالاديب **رابـه** (Raabe) ، حيث تتحدث عن أبطال يعيشون على هامش الحياة ...

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ ... أبطال أو أشخاص يعيشون على هامش الحياة ، ويحاولون عبثاً ، في خضم صراعهم ، اقتحام العالم الشاســع والنفاذ الى داخلـه .

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ ينجم عنه اعوجاج عـلى الصعيد الانساني . وأفضـل القول ، موجهاً أنظاري شطر العالم الراهن : ظهور التشيع . ونصادف في وقتنا الحاضر عددا لا بأس به من أمثال هؤلاء الاشخاص ، الذين يبذلون ما في وسعهم للقيام بذلك الاقتحام ...

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ ... لكنهم ، إما يلبثون في عالم أحلامهم ...

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ ... لانهم يسيئون فهم التغيير التاريخي ويستوعبونه على نحو دغماطي ، وينزلون اللائمة على الآخرين لخيانتهم ...

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ ... وإما أنهم ، خلاف ذلك ، يحاولون استخلاص نفع شخصي ما ، من الوضع البرجوازي ـ الرأسمالي ، تحت عنوان نشـر الديمقراطية والمناداة بحياة **انسانية** .

لوكاتش ـ ... ونراهم في نهاية المطاف يذعنون للواقع ويظهرون اعوجاجاً على الصعيد الانساني ، مماثلاً للاعوجاج الذي أظهره المناوئون المزعومـون .

لوكاتش ـ أجـــل ...

كوفلـر ـ والآن يطالعنا السؤال : أليس التشيع ظاهرة ترافق عهداً متأزماً ، تبرز فيه مع ذلك امور جديدة : أولاً ، ألا يغد تشتت القوى ، التي تظن بأنها تقدمية ، والتي هي من أصل برجوازي كما من أصـل اشتراكي ، ضرورة نابعة من الوضع المتأزم لخلق قوى تقدمية ؟ ثانياً ، ألا يحتمل أن ينطوي التشيع على فعالية تاريخية تتجلى في المستقبل ، بحيث ينجم عنها شيء جديد ، يمكن للمرء التكهن به من خلال منظـور تاريخي ـ نظري ؟ على هذا النحو تبدو لي قضية الابطال او الاشخاص الذين يعيشون على هامش الحياة في العصر الحاضر .

لوكاتش ـ كلما قل وقوع حركات هامة حقاً ، كلما ازداد شـأن التطور وشأن الاخطاء أيضاً ايجابية . واليوم نرى بوضوح تام ، أن آراء **فوريـــه** (Fourier) ، التي بموجبها يتحول العمـل الى ضرب مـن اللعب ، هي خاطئة تماماً . على الرغم من ذلك ، نجد أن هـذا الموقف الطوباوي للمفكر فوريه ، والذي نشاهده على أي حال قبل فوريـه في النظرة الجمالية عند **شـيلر** (Schiller) ، قد لاقى صدى ايجابياً تجاه التمجيد الاعمى للعمل الرأسمالي في تلك الآونة . ولم يلق ذلك الموقف معنى سلبياً ، إلا بعد أن وجد **ماركس** السبيل الصحيح . ومن المفروغ منه أن يكون اليوم للمحاولات المختلفة ، الموجهة ضد التلاعب والمناورات

(لا يتضمن هذا المحاولات برمتها) مرمى **حسناً** ، إنني لم أطالع بعد المقالة المنشورة في العدد الاخير من مجلة « **الأزمنة الحديثة** » ، وهي عبارة عن دراسة نقدية حول **تيلار دي شاروان** (Chardin) ، لكن ما يثير الاهتمام ، هي أنها تعرضه كايديولوجي التلاعب والمناورات . وتقوم بالفعل بين آراء **دي شاروان** وبين مذهب المناورات الوضعي الجديد ـ إن صح التعبير ـ علاقة جد وثيقة . وأود أن أكرر قول **هيغل** ، إن الحقيقة هي أمر مشخص ، فمن الممكن أن نلقى متشيعين يقومون بدور ايجابي في وجهة معينة ، وأن نلقى متشيعين آخرين لا يزال يتسم عملهم حتى الآن بطابع السلبية .

كوفلر ـ سيد **لوكاتش** ، ليس في ودي أن أمعن في طلب الكثير ، لكن لعله يمكنني طرح سؤال آخر يرتبط كذلك الامر بملاحظات نقدية كانت موضع اهتمام حلقة دراسية كنت أشرف عليها . ففي منتصف المجلد الاول لمؤلفك « علم الجمال » تكتب في سياق حديثك عن مسألة الانعكاس ، عن الواقع الموحد .

لوكاتش ـ أجل ...

كوفلر ـ البارحة طرق هذا السؤال ، والآن تعترضنا المشكلة التالية . ففي كتابك « التاريخ والوعي الطبقي » الصادر عام ١٩٢٣ ، تبين كيف أن الفلسفة الكلاسيكية تربط امكان معرفة الواقع بعملية « احداث » ذلك الواقع . وفي سياق نقدك لهذه الفلسفة تظهر بحق ، أن مشكلة امكان معرفة الواقع لا تحل إلا إنطلاقاً من أرضية مفهوم الممارسة اجتماعية ، وباهمالنا مفهوم « الممارسة » تلبث المشكلة مستعصية . واليك الآن السؤال : الا يتعلق هذان المعنيان « للاحداث » ، المعنى المعرفي الفلسفي والمعنى الاجتماعي ، بمجالين في الواقع متباينين ؛ فالمعنى الاخير يتعلق بمايسمى بالانتاج بينما الآخر يتجه شطر موضوع العلوم الطبيعية والرياضيات ؟ ان عرضك لهذا المفهوم يبدو وكأن لا وجود لشرخ بين المعنيين . لكن المرء بالواقع قد ينقد ما تقدم ملاحظاً ، أننا نعمل هنا على صعيد مفهومين متباينين « للاحداث » .

لوكاتش ــ علي أن أشير بادىء الامر ، الى أني اعتبر كتابي « التاريخ والوعي الطبقي » ، كما تعلم على الارجح ، كتاباً تجاوزته فكرياً ، وبالتالي فان هذا الاستنتاج الماثل في « التاريخ والوعي الطبقي » لا يمت الى المشكلات المطروقة في « علم الجمال » بأي صلة . أما حول ما يتعلق بوحدة الواقع واحداث ذلك الواقع ، فأقول إن الواقع هو موحد ، بمعنى أن جميع الظاهرات المنبثقة عن هذا الواقع ــ سواء أكانت عضوية أو لا عضوية أو اجتماعية ــ يتم انبثاقها بحسب سلسلة سببية محددة وضمن عقد محددة مصحوبة بأثر متبادل داخل العقد ، وبأثر العقد المتبادل بعضها مع بعض . فالهوية هي واقعة ماثلة . بيد اني أعتقد ــ وقد حاولت تبيان ذلك في كتابي حول هيغل ــ أن احدى الابتكارات في مجال الجدلية التي كونها هيغل ، تكمن في أن وحدة الاضداد لا تعد المبدأ الاساسي في الجدلية، انما فيما يدعوه هيغل هوية الهوية واللاهوية ، والآن أرى ، أنه يوجد واقع موحد ، أي هوية لا تخرج عن المجرى السببي للواقع ، المجرى المستقل عن أي تدخل بشري ، وينجم عن ذلك بادىء الامر ، أن هذه الوحدة تتجلى عبر أشكال الواقع الثلاثة المتباينة في صور مختلفة . ففي ميدان العمل يتم الاحداث بالطبع ، بمعنى أن من يعمل يضع هدفا غائيا ، يسعى الى تحقيقه ، ومن خلال قيامه بذلك ، من الممكن أن ينشأ شيء جديد مبتكر ، ليس من الضروري أبداً أن نذهب بعيداً ونفكر في علم الذرة . ففي الطبيعة ، كما نعرفها ، لا وجود لعجلة ، بينما نجد أن البشر قد أقدموا على صنع العجلة في مرحلة مبكرة من تطورهم نسبياً ، وهذا الصنع يعني تركيباً جديداً بالنسبة لما هو في الطبيعة . ومن جوهر الاختيار الغائي انه يدع السلسلة السببية الماثلة في الطبيعة تعمل وفق تنسيق آخر . كأن الامر يحصل بدون ذلك الاختيار ؛ بيد أنه يمكن معرفة العلاقات السببية الموجودة واستخدامها ، غير أنه لا يمكن تغييرها . يقول **هيغل** ، في مؤلفاته الاولى ، في العمل ، وقوله جد صائب ، ان الانسان ، مستعينا بأدواته يدع الطبيعة تعمل على صنع ذاتها بذاتها ، بحيث أنه يكمن في عملية الاحداث هذه هوية الهوية واللاهوية ؛ ذلك أن العجلة تعد حقاً شيئا جديداً صنعه الانسان ، على الرغم من أنه ليس من شيء في العجلة ، يتعارض مع السلسلة السببية التي لا تتعلق بالانسان والسائدة في

الطبيعة . من المحتمل ، الا يكون في وسع الانسان صنع عجلة قطعاً ، اذا لم يكن قد أدرك ذلك بطريقة من الطرق ، باعتبار أن هذا الصنع هو عملية معقدة لا تتناقض مع وحدة الواقع . وعندما أعود الآن الى التحدث عن وحدة الواقع ، متخطياً هذه الاشكال البسيطة الى أشكال أرفع ، يجول في خاطري ما قلته آنفاً حول المسألة الدينية ، ذلك أن الحوادث الطبيعية ، على سبيل المثال ــ سواء أكانت الطبيعة عضوية أو لا عضوية ــ تجري وعملياتها تتم ، وفق جدليتها الخاصة بها ، بصورة غير متعلقة بتدخل الانسان ونزعته الغائية . وهكذا فان تكون بنية الانسان الفيزيولوجية وبنيته النفسانية أيضا يعد صدفة من الصدف على الصعيد الاجتماعي . وأرى أن **ماركس** قد تحدث ذات مرة بحق ، أنه من قبيل الصدفة ، أن تجدالظروف الثورية أشخاصاً يقودون الحركة العمالية ، معان هذا لم يعد مجرد أمر يمت الى الجانبالفيزيولوجي أو السيكولوجي بصلة . على الرغم من ذلك ، فالمصادفة تلبث ماثلة ولا يمكن تجنبها وإلغاؤها ، وهي تنبع بالتأكيد من مجرى حادثة طبيعية يخضع لمبدأ السببية الصرف . وفيما يتعلق بهذا نجد أن الطبيعة الموحدة تقف قبالة الممارسة الاجتماعية ، وعندما أسعى الى القيام بأي عمل أو نشاط اجتماعي ، يتوجب علي بالتالي معرفة القوانين الطبيعية ومعرفة نفسية الانسان وغيرها ، وهكذا ألقى ضمن هذا التركيب المعقد علاقات قانونية لها فعاليتها وليس من سبيل الى الغائها .

انني استطيع ، منطلقا من المعرفة التي أملكها ، أن أؤثر بعض التأثير في الواقع الخارجي لتغيير وجهه ، بيد أن القوانين ، التي يسير هذا الواقع بموجبها ، لها فعاليتها بدون تدخلي . وعلى هذا المستوى ، وضمن هذه العلاقة ، أقف وقفة منتج في ميدان الاقتصاد أو فنان أو فليسوف ، قبالة الواقع الموحد . وأكرر أنه يجب أن نفهم هذه الصلة الموحدة على أنها هوية الهوية واللاهوية .

كوفلر ــ كيف يتفق ما أدليت به مع قول **ماركس** في « المخطوطات الاقتصادية الفلسفية » ، إن الطبيعة ليست بشيء بدون البشر ؟

لوكاتش ــ لا ريب أني سأحول شذرات معرفية براقة الى اسوداد مبتذل ، اذا زعمت ، أن الطبيعة ، التي ترعرع في كنفها الانسان ، اثر مصادفات متباينة ، ليست بشيء من دون هذا الانسان ، وفق وجهة النظر هذه . بيد أن **ماركس** لم يكن يعني أن الكرة الارضية موجودة ، **لأن** الانسان موجود له فعاليته ، وأن الكوكبين المريخ والزهرة لن يوجدا ؛ اذا لم يعش البشر على سطحيهما ، لذا ترانا ازاء مفارقة في الصياغة ، خطها ماركس الشاب ، لدى تعمقه في بحث فكرة الضرورة الابيقورية ؛ ذلك أنه اذا افترضنا أن الآلهة تقطن في عالم يتوسط العوالم الاخرى ، فهذا يعني بالتالي أيضا ، أن ليس في امكان البشر أن يؤثروا في الطبيعة تأثيرا يقلبها الى هيئة أخرى ، إلا في نطاق الممارسة الانسانية ، عدا هذا فالطبيعة تتطور بالطبع بصورة مستقلة عن الانسان استقلالاً تاماً . اني لا اعتقد أن ماركس قد يحيد عن هذا التفسير .

كوفلر ــ بالتأكيد ، ويجب ان تفهم الفكرة أيضاً على هذا النحو . اود الآن أن أعود الى أصل السؤال ، لادلي بآخر ملاحظة لي . ان **هيغل** يربط احداث الواقع من قبل العقل الكلي المطلق بمشكلة الاحداث في الميدان الاجتماعي ، كأن هاتين البرهتين تقعان على مستوى واحد . الا ينبغي ، والحالة هذه ، أن نقيم فاصلاً بين البرهتين ، كي يتجنب المرء أي ضرب من ضروب الابهام أو سوء الفهم ؟

لوكاتش ــ ألا انظر ، اود هنا أن أعرب عن شكوكي فيما يتعلق بأهمية الاسئلة ذات الصبغة المعرفية (العائدة الى نظرية المعرفة) . وأخشى أن يبعث هذا النوع من الاسئلة الابهام فينا والالتباس ، اذا لم ننظر اليها من وجهة نظر انطولوجية كجزء من الاسئلة الانطولوجية ، والا فنلحظ تشابها حيث لا يوجد تشابه ، ولا تشابها حيث يوجد التشابه . فعلى المرء أن يحذر كل الحذر لدى معالجته هذه الامور معالجة معرفية . سأذكر الآن واقعة هامة وهي أن الفرق ، بحسب التفكير الكانطي ، يزول بين الظاهرة والشيء في ذاته ضمن مجال الواقع الذي هو حقيقي بالنسبة الينا ، ذلك أن العالم المعطى ، حسب **كانط** ، ليس سوى الظواهر مع شيء

في ذاته متعالٍ لا يمكن ادراك كنهه . خلاف هذا نجد أن الواقع عند **هيغل**، يتضمن ماهية موجودة حقا (الشيء في ذاته) ومن عالم الظاهرات ، الذي يعد واقعا بالفعل بدوره . ومجرد قولنا هذا يعني ، أن المرء هنا لا يستطيع أن يتلمس سوى تراث فكري قائم على نظرية المعرفة . وعندما أتحدث عن مفهوم الاحداث ، بحسب التفكير الماركسي ، فلا أفهم بالطبع تحت هذه الكلمة سوى ثمار العمل ، العمل في مفهومه الواسع ، فالاحـداث يظهر كأنـه . . .

كوفلر ـ أحداث المجتمع . . .

لوكاتش ـ أجل ، لكن عملية الاحداث تتم تبعا لانتشار توزيع العمل ، وتبعا للاصطفاءات الغائية ، التي تزداد تعقيـدا مع مر الزمن ، والتي تنهض على الاصطفاء الغائي الاولي ، مشكلة نظاما منقطع النظير لمختلف ألوان الاصطفاء الغائي . واذا جد أحدهم وحاول تحليل المجتمع تحليلا صائبا ، سيخرج في نهاية الامر ، وكما أعتقد ، بنتيجة مفادها ، أن النواة المقومة للمجتمع تتمثل حقا في الاصطفاء الغائي الفردي . على الرغم من ذلك ، فان تركيب هذا المجتمع لم ينشأ أبدا بصورة غائية ، وينبغي علينا أن نعد دائما وأبدا كل مرة يتم فيها بيع سلع أو شراؤها ، اصطفاء غائيا ، فعندما تؤم امرأة السوق وتبتاع خمس اجاصات ، يتسم عملها هذا بطابع اختيار غائي . بيد أن هذه الآلاف من ألوان الاصطفاء الغائي ، الماثلة في السوق تنشيء سببية تسود في السوق وترتبط بحلقات سببية أخرى تسود في أسواق أخرى بحيث أن الفعالية لا تكمن الا في النتائج السببية القائمة على ألوان الاصطفاء الغائي الفردي . انهـا لبرهة من برهـات الموضوعية والقانونية ، كامنة في الوجود الاجتماعي ولا يمكن الغاؤها ؛ ذلك أن حصيلة ألوان الاصطفاء الغائي الفردي ، التي تكون ذلك الوجود الاجتماعي ، تتمثل في أشياء مغايرة تماما ، لما ينطوي عليه ذلك الاصطفاء من مقاصد .

كوفلر ــ تحدثنا بالامس عن هذا الموضوع ...

لوكاتش ــ ولنقل على سبيل المثال ، ان معدل الربح الوسطي يولد من السعي خلف ربح اضافي ، ومن ثم فان هذا السعي المبذول للحصول على فضل الربح يتحقق في مختلف أشكال الاصطفاء الغائي الفردي ، لا بل يتحقق أيضا فضل ــ الربح بالذات بصورة مباشرة ، بيد أن أعراض معدل الربح الوسطي تبرز مع ذلك ، كعملية شاملة ، ضمن التطور بأكمله. انطلاقا من هذه النواة ، علينا أن نبحث مشكلة الحرية والضرورة في المجتمع من الوجهة الفلسفية . وبصدد هذا أرى أنه من الاهمية بمكان ــ وهذه مشكلة لم تعر الاهتمام الكافي على الاطلاق في الميدان الفلسفي ــ أن ننظر الى السببية والغائية كشكلين منفصلين ، الواحدة تتواجد الى جانب الاخرى ، غير متعلقتين ، من أشكال الحتمية . وقد وجد زمن أنكر فيه العامل الغائي بكل بساطة ، بينما يمكن القول ، أن لا وجود سوى لسببية ، ووجودها هذا هو وجود مستقل ، بالاضافة الى الاصطفاء الغائي في ميدان الوجود الاجتماعي ، بيد أنه لا يمكن أن يقوم للاصطفاء الغائي قائمة الا في عالم تسوده الحتمية على نحو سببي . في وسعك أن تلمس في هذا المقام ، ما أردت أن أقوله سابقا ، عندما أكدت ، أنه بامكاني ، على صعيد نظرية المعرفة ، اعتبار السببية والغائية كعلاقات مستقلة عن بعضها ، أما اذا شرعت بتحليلهما تحليلا أنطولوجيا ، فتتراءى لي عندها أمور تناقض بعضها ظاهريا . فالغائية غير قابلة للاستيعاب ، الا ضمن اطار سيادة السببية من جهة ، والا عندما نعي أن أشياء وأشكال وارتباطات جديدة لا تتجلى في المجتمع الا تبعا للاصطفاءات الغائية من جهة ثانية . يبدو أن الامر ينطوي ، على صعيد نظرية المعرفة ، على مفارقة كبرى ، غير أنك اذا نظرت اليه ، من الوجهة الانطولوجية ، لظهر كتحليل بسيط لمفهوم العمل .

كوفلر ــ صحيح تماما . وقد عمدت الى هذه المقاطعة تجنبا لوقوع ملابسات جديدة تتعلق بمفهوم الاحداث ليس الا ...

لوكاتش ــ ... أجل ، أجل ...

كوفلر ــ ... ذهبت الى ذلك ، وكأنك لا تريد أن تفهم تحت مفهوم الاحداث سوى العمل ، ، لكن ...

لوكاتش ــ أرى ، أن العمل ...

كوفلر ــ ... له طابع / الاولوية .

لوكاتش ــ ألا انظر ، انطلاقا من مفهوم العمل ينشأ مثلا مفهوم تنسيق العمل وينشأ مفهوم الاستعداد الفكري للعمل وهكـذا دواليك . فاذا استمرت هذه العملية في تطورها كتوزيع للعمل الاجتماعي ، ينشأ علاوة على ذلك التراث الفكري والاستنتاجات النابعة منه . وفي مرحلة ابعد ينجم عن ذلك القوانين ، وكل حكم من الاحكام القانونية يعد حكما غائيا أيضا ، وفحوى كل نص قانوني يكمن في أن أقول : اريد سجن فرانتز مولر مدة ثلاثة أشهر لكونه قد سرق صندوقين . وليس من الممكن أن نجد أي نص قانوني لا يعود الى حالة من الحالتين : اما يعد هو ذاته حكما غائيا ، واما أنه يحتوي على مدخل الى أحكام غائية . وهكذا أرى أننـا لا نستطيع أن نمر مرور الكرام بالمشكلة المتعلقة بالاحكام الغائية ، حتى لدى بحثنا في أعلى شكل من أشكال العلم والفن .

كوفلر ــ عندما تتكلم عن الانطولوجيا (مبحث الكائنات) ألا تعني في الواقع الانتربولوجيا (علم الانسان) ؟

لوكاتش ــ لا ، لانني أرى ، أن ثمة حالات انطولوجية معينة موجودة بشكل لا يتعلق بكون الانسان موجودا أو غـير موجود على الاطـلاق . ونفترض مثلا ، أني درست مختلف كواكب النظـام الشمسي باحثا عن امكان وجود حياة عضوية على سطحها ، فعملي هذا لا يمت الى الانسان بصلة مطلقا . لان السؤال عن امكان نشوء حيـاة على سطح كوكب من الكواكب ، ليس من الضروري أن يلزم عنه ، أنه ينبغي على هذه الحياة أن تقودنا الى وجود الانسان على سطح تلك الكواكب . وتكمن ثمة طفرة لا يمكن سبر غورها لافتقارنا الى معلومات بشأنها ، بيد أني مقتنع تماما ،

اننا اذا تعمقنا في البحث ، ستجابهنا أشياء معقدة للغاية . وكان **ماركس** قد رأى بكل وضوح ، أن **الداروينية** ليست سوى تصفيـة حساب مع الغائية . وبامكاننا أن نراقب عبر تطور الكائنات الحيـة ، أن ثمة**سبل مسدودة** تعترض مجرى ذلك التطور ، لا بل تعترضه لدى بلوغ الكائنات مستوى رفيعا من التطور نسبيا . فالاشكال العليا لما يسمى بالمجتمع الحيواني نلقاها عند الحشرات وليس عند الحيوانات العليا . فالغريزة الاجتماعية التي تتحلى بها أنواع من الحشرات تمثل على وجه التأكيد عائقا أمام تطور تالٍ . فبما أن توزيع العمل ـ ولنقل عند النحل ـ هو توزيع عمل بيولوجي ، فليس بامكان فرق النحل أن تتجدد الا على أساس بيولوجي ، غير أن السيطرة الاستبدادية لملكة النحل لا يمكنها أن تتطور لتصير الى ديمقراطية . اني أكرر هنا هذه الامور العقيمة عمدا ، ذلك أن متابعة السير على طريق التطور الاجتماعي غير ممكن الا في حالات متبلورة ، لا تحيط الا بالانسان ، حيث يتخذ توزيع العمل طابعا اجتماعيا لا طابعا بيولوجيـا .

كوفلر ـ بالتأكيد ، لكن الا يبدو الامر مغايرا لما تذهب اليه الفلسفة التقليدية ؟ ومهما يكن ما يقبله المرء في هذا المجال ، انما هذا كله يغدو في الميدان الاجتماعي ـ الانساني مغايرا ، اي انثربولوجيا . فاذا أراد أحدهم أن يضع فلسفة انطلاقا من مفهوم الغائية مثلا ، فمن المحتمل أن ينقل فلسفته خطأ ، الى مجالات ، تؤدي الى أشباه المشكلات وأشباه الحلول .

لوكاتش ـ بالطبع يوجد اليوم ميل شديد يحبذ ارجاع هذه المسألة الى المستوى الانثربولوجي . بيد أن هذا الارجاع يغفل ماضي الطبيعة بأكمله ، ويتجاهل ، أن ثمة لدى البشر **أمور** عديدة لا تفسر الا اعتمادا على قوانين الطبيعة اللاعضوية . ألا انظر ، ثمة رجل لبيب وجه انتباهي ذات مرة ، الى أنه من الغريب أن نعلم ، أنه لا يوجد كائن حي واحد تشكل الاعضاء الحركية لديه عددا فرديا . لا ريب أن الاعداد الفردية تطالعنا أيضا ، فنحن نملك مثلا أنفا واحدا وفما واحدا ، بيد أننا نملك قدمين ، ولن نصادف أبدا كائنا بين الكائنات الحية يملك ثلاث أرجل أو **خمس** ،

بل يملك رجلين أو **أربعة** او عشرة ارجل وهكذا ... وهذا يتعلق بكل بساطة بالقوانين الفيزيائية للحركة ، التي سيطرت على هذا النحو بين الكائنات الحية . أينبغي أن أدعو هذا أنثربولوجيا ؟ أعتقد أن الامر ينطوي على تعدٍ مبالغ فيه . وأرى أن الاصرار على أهمية الانثربولوجيا يتأتى من موقف ، أراه صائبا وتقدميا ، وهو أن الشكوك قد ساورت الناس حول ما يدعى بالسيكولوجيا . ان علم النفس قد عزل طرق تعبير معينة للانسان ، متجاهلا أن كل طريقة من طرق تعبير الانسان ، ناتجة من سببية مزدوجة ، فهي تخضع لشروط تمليها بنية الانسان الفيزيولوجية وأثر تلك القوى الفيزيولوجية من جهة ، وتخضع لشروط يمليها رد فعل الانسان على الحوادث الاجتماعية من جهة ثانية . في علم النفس يكتسب هذا تعبيرا موحدا . فاذا قلت مثلا ، ان نفسي تشمئز من هذه الرائحة ، فالاشمئزاز هذا لم يعد فيزيولوجيا محضا ، لأنك تعلم مدى خضوع الروائح بأنواعها لموضة العصر ، والى اي مدى تعد استجابة المرء لروائح معينة ، أمرا اجتماعيا . أعتقد أن مثالي هذا ليس بالمثال الموفق ، غير اني أردت أن أشير الى انه لا وجود لأي استجابة نفسانية ليست هي في آن واحد فيزيولوجية واجتماعية بشكل ملتحم لا يمكن فصله . وأذهب الى أن باب الامكان مع مر الزمن مفتوح على مصراعيه لنشوء انثربولوجيا تركز اهتمامها بالتأثيرات المتبادلة بين هذين العاملين . أما أن نعتقد ، أنه بنشوء هذا العلم سنتمكن من حل المشكلات الجوهرية للتطور الاجتماعي ، فاعتقادنا ضرب من الوهم ، ذلك أن التطور الاجتماعي يتم ، ــ على الرغم من أنه مرتبط بالانسان ــ على أساس مجموعة من القوانين الخاصة بعلم الاقتصاد . وكي أعود الى مثالي السابق ، أقول ، اني جد متشوق الى معرفة الطريقة التي ستتبع لتفسير هبوط معدل الربح تفسيرا انثربولوجيا .

كوفلر ــ أرى أن بامكاننا متابعة النقاش في هذا المجال الى ما لا نهاية . أقدم لك ، يا سيد لوكاتش ، شكري العميق لأناتك .

الحديث الثالث

جورج لوكاتش ـ فولفغانغ آبندروت

نظرات أساسية في سياسة عَمَلية

آبندورت : سيد لوكاتش ، قد عرضتَ لنا بالامس ، أن الفرق الجوهري الكامن في تطور المجتمع الصناعي الحديث ، مجتمع الرأسمالية المتأخرة ، يتميز ، بالنظر الى المرحلة السابقة ، بأن المشكلة المحورية التي تعانيها الطبقات في نزاعها ، لم تعد الآن منحصرة في مشكلة فضل القيمة المطلق ، بل في مشكلة فضل القيمة النسبي . ولا حاجة بنا الى ذكر الاسباب . وقد استخلصت أيضا النتيجة التالية ، الا وهي أن مشكلة النضال في سبيل التقدم قد تحولت ، من الآن وصاعداً ، وبشكل معمق ، الى مشكلة كفاح من أجل قضاء وقت الفراغ قضاءً حراً ، بعيداً عن العقلية المناورة الموجهة ، والى التساؤل عن امكان الاستفادة من تخفيض ساعات العمل . واعتبر هذه النتائج مقنعة وصحيحة كل الصحة ، على الرغم من أن مشكلة النضال من أجل رفع الاجور ما زالت بالطبع تلعب دوراً أيضا في بلدان الرأسمالية المتأخرة ، ونراها قد تبرز للعيان ، في مراحل الكمون ، على رأس الخلافات . وهذا يطرح علينا سلسلة من مشكلات ، لست بمقتنع بعد كل الاقتناع بأننا نختلف في تقويمها ، لكن من واجبنا صياغتها في قالب واضح . أنت على علم ، بأن العلوم البرجوازية السائدة ، والعلوم الاجتماعية الوضعية المستحدثة (١) أيضا

---

(١) تعريب لفظة (Neopasitiviswus)

راحت تستنتج ، استناداً الى مراقبتها الظاهرات الخارجية لمجموعة هذه المشكلات ، بأن مشكلة الصراع الطبقي قد لفظت آخر انفاسها ، وقضي عليها في الوقت الراهن ، ذلك أن الصراع الطبقي ، في زعمهم ، لم يكن إلا صراعاً من أجل فضل قيمة مطلق ... ويفترضون بالتالي ، أن الطبقة العمالية ، الطبقة العمالية التي اتسعت بانضمام شرائح أخرى اليهـا ـ الموظفين بخاصة ـ فقدت دورها كحاملة لواء الكفاح في سبيل التقدم . أتشاطر وجهة النظـر هذه ؟

لوكاتش : لا ،طبعاً لا . إن التحليل الموضوعي للوضع الحالي للطبقة العمالية يشير الى ان هذا التصور خاطىء تماما . مما لا شك فيه أننـا نستطيع أن نلحظ هبوطاً في مستوى وعي الطبقة العمالية في جميع انحاء العالم ، إن تأخر الوعي هذا ، إن تدهور العامل الذاتي وجد تعبيره الادق ، على الصعيد العالمي ، في الديمقراطية الاشتراكية ، التي لم تتجه ضد الاشتراكية فحسب ، كما حصل عام ١٩١٧ ، لا بل تقف الآن وقفة كاملة فوق أرضية الديمقراطية المناورة ، بحيث اننا لا نملك اليوم ، إلا بشق النفس ، تمييز خطاب يلقيه ديمقراطي اشتراكي الماني عن خطاب يلقيه عضو من اعضاء حزب الاتحاد الديمقراطي(Cdu) فلا يقتصر الامر بالتالي على رفض الديمقراطية الاشتراكية الحالية للاشتراكية ، بـل يتجاوزه الـى تنازلها عـن كـل ديمقراطية حقـة . فالمشكلات المتعلقـة بنشر الديمقراطية الاشتراكية وبالتالي الديمقراطية الحقة ليس لها من اهمية تذكر في نظر الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني (SPD)(١) . وهـذا يمكن ملاحظته بدقـة ، ابتداء مـن سن قوانين أحـوال الطوارىء الى المشادات السياسية التي دارت رحاها بشأن الوضع العسكري . إن مشكلات الديمقراطية الحقة ، التي تبناها ، بحماس منقطـع النظـير ، الديمقراطيون الاشتراكيون القدامى ـ يكفي أن تتذكر موقف **جوره** فقط (Aurés) ابان قضية **درايفوس** (Dretus) لم تعد تلعب في نظرهم أي دور يذكر ، وتكاد تتوارى كلياً . لكن من الواضح مع ذلك ، أن صراع الطبقات مافتىء قائماً على المستوى الاقتصادي . والهام في الموضوع ، أن النقابات أو قسماً من هـذه النقابات ، يقف بصورة عامـة موقفـاً

---

(١) هما الحزبان الحاكمان في المانيا الاتحادية .

يسارياً من الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، ولم تكن الحالة كذلك في الحركات السابقة على الاطلاق . والتصور ، أن الطبقة العمالية قد انتهى دورها كعربة تحمل الكفاح ضد أشكال الاستغلال الرأسمالية ، لهو بالتالي تصور زائف . لا يسعنا أن نقول إلا أننا قد وصلنا في خضم هذه المسألة الى أعمق أعماق موجة الوعي ؛ والاحوال لا تدوم على حالها أبداً . لكن من المؤكد في الوقت ذاته ، أنه بظهور مشكلة قضاء أوقات الفراغ واوقات التأمل والخلوة طالعتنا مشكلات جديدة على رأس الحركة . فضروب الكفاح المنصرم الدائرة حول أوقات الفراغ ما أولت اهتماما الا للمطالبة بأوقات عمل ، تفسح للعامل مجالا ليعيش الى حد ما عيشة انسانية . واليوم تعقدت الامور أكثر بكثير مما مضى . ان تخفيض عدد ساعات العمل أدى بالفعل الى خلق فسحة ، قد تنقلب فيها أوقات الفراغ الى أوقات تأمل وخلوة . الا أن الرأسمالية الراهنة تبذل ما في وسعها للحيلولة دون ذلك ، وسعيها هذا لا ينبثق من أسباب ايديولوجية ، بل يعود بكل بساطة ، الى أن بيع المواد الاستهلاكية ، المعتمد على المناورات في السوق واللعب بالاسعار ، لا بد له من أن يرتبط بايديولوجية تتمشى مع أسباب المتع وترف الحياة . وهنا تطالعنا ، في اعتقادي ، مشكلات غريبة لم نعهدها سابقا ، ولا تنبع توا من بنية العالم الاقتصادية فقط . انها تشير بالاحرى الى ضرورة الانتقال الاشتراكي ، اذ انها تشكل امورا جديدة نوعيا في مضمار التطور . ان أسس أي حركة من الحركات الاقتصادية والاجتماعية هي أبدا ضروب الاختيار الغائي للانسان ؛ والامر سيان أكان هذا الاختيار مصطبغا بصبغة اقتصادية أو علمية أو خلقية . الامر يدور أبدا حول اختيار غائي فكري ، وهذا بدوره لا يغدو من ثم اختيارا حقا ، ما لم تبذل المحاولة ، لتحويل هذا الاختيار الى واقع مادي ، الى تطبيق عملي . بيد أن البنية العامة التي يتسم بها كل مجتمع من المجتمعات قد وجدت ، كما يقول **ماركس** بحق ، بدون علم الناس ومن خلف ظهورهم . على هذا فان أشكال الحياة الانسانية ، سيان أكان شكل المدينة الاغريقية القديمة ، أو الشكل الاقطاعي أو الرأسمالي ، قد فرضها التطور الاقتصادي على الناس ، ومن ثم استجاب هؤلاء لهذا

التطور بضروب من اختيارهم الغائي . وفي فيض التساؤلات المتعلقة بالاستفادة من الوقت الحر ، الملوح بها في الافق الراهن ، يطالعنا للمرة الاولى ، أن الاقتصاد غير قادر على فرض مضمون الاصطفاءات الغائية ، التي يقع أمر تقريره على الناس أنفسهم . واليك بعض الامثلة على ذلك : ظهرت حاليا صناعة ضخمة لانتاج الاسطوانات ونشر الموسيقى . والامر سيان ، بالنسبة الى المنتج المناور ان ابتاع أحدهم موسيقى الجاز أو معزوفة لبيتهوفن . انه لن يستخدم وسائل دعايته ليبتاع الناس موسيقى الجاز ليس الا ، ذلك أن الاحصاءات قد بينت ، أن الاعمال الفنية الكلاسيكية أيضا تلقى رواجا في السوق . ففي هذا المناخ يتوقف اذا التوجيه الدعائي المباشر الدائر حول الرديء من الامور من الوجهة الثقافية . ويتحتم على الانسان بالتالي أن يتخذ قراراته اعتمادا على ذاته نسبيا . وهذا يعني ، المعنى اقتصادي أشمل ، أن الاشتراكية تمثل قفزة نحو الامام ازاء المجتمعات الطبقية السابقة، ذلك أنها تطالب باخضاع الاقتصاد برمته لاصطفاءات غائية واعية من الوجهة الانسانية . وهذه لخطة جديدة كل الجدة في التاريخ البشري . وليس من المدهش ، أن نجد ، أنه يصعب على الناس ، الذين اعتادوا على العيش طوال قرن من الزمن في ظل نظام حياتي معين ، أن يتخلوا عن هذا النظام ، ليتبعوا التطور الجديد ، ولعلهم سيلقون صعوبة اكبر ، ان وجدت ثمة أشكال انتقالية مغرية للغاية تجذبهم اليها ، أشكال تتبدى لهم للوهلة الاولى وكأنها جديرة بالعطاء قادرة على الانجاز ، على الصعيد الاقتصادي . وطالما يصمد فضل القيمة المطلق ، سيظل الاستغلال السافر هو المبدأ السائد للراسماليين والجماعات الرأسمالية ، هذا اذا استثنينا ألوان التهديد الثوري المباشر المسلط فوق المجتمع الرأسمالي . ونرى في اللحظة ، التي يغدو فيها الاستهلاك الجماهيري ، إثر نشوء فضل قيمة نسبي ، مشكلة أساسية في الانتاج الرأسمالي ، أن الاهتمام بالاستهلاك الجماهيري ينبع في صميم الرأسمالية . وعلى هذا تولد هذه المشكلة نوعا من الاهتمام المباشر بمجمل الرأسمال ، اهتمام يتجه شطر رفع مستوى معيشة الجماهير نسبيا . أنا لا أدعي ، أن هذه الامور تتحقق بدون قيد أو شرط ، الا أننا اذا تأملنا

في شخصيات كشخصية **روزفلت** ، او بشكل اقل **كنيدي** ، نجد أن ما يميز هؤلاء عن الآخرين هو انهما لا يقومان بدور ممثلين عن فئات نفعية ليس غير ، بل يحاولان أن يحققا مصالح مجمل الرأسمال . هذا بالطبع أمر لم يبحث بعد نظريا ولم يعمل به استتباعيا . في ودي أن أقول فقط ، أننا نتواجد ، في مرحلة انتقالية وفي خضم هذه الامور كلها ، ازاء علاقة الانسان الفرد بالقاعدة الاقتصادية وبالنتائج الايديولوجية الناجمة عن هذا الوضع . والآن نجد أن تطور الماركسية يجعل المرحلة الانتقالية هذه غير قادرة بعد على اعطاء ردود نيرة واضحة مبنية على أسس علمية ، على الاسئلة الجديدة المطروحة ، وهذا يعود الى طول مرحلة الحكم الستاليني ، وردة الفعل التي مارسها هذا التطور على العالم الرأسمالي . فمن واجبنا ، كماركسيين اليوم ، أن نضع نصب أعيننا مهمة دراسة المشكلات الجديدة الكامنة في المجتمع دراسة نظرية وايجاد نقاط ارتكاز حديثة للاجابة عنها انطلاقا من العمل النظري هذا .

آبندروت : اني أوافقك على ما تقول . لكن لابد لنا ، كما يبدو لي ، من أن نرقب لحظة كامنة في هذا التطور ، تثقل وضعنا كل الثقل . فطالما أن مشكلة الصراع الطبقي تقتصر على أرضية نضال في سبيل فضل قيمة مطلق، كان أمر توحيد مصالح الطبقة العمالية مع مصالح مقارعة الرأسمالية وتحويل بنيتها وبناء مجتمع جديد ، امرا واضحا كل الوضوح لاي كان عبر تجارب مباشرة الى حد ما . ويبدو ان جلاء هذا التوحيد بين المصالح قد علاه الضباب في الظاهر ، ويبدو ان عملية تكوين وعي طبقي غدت عملية مثقلة بالصعاب . ومايزيد في صعوبتها بنوع خاص هو ان توجيه العقلية المناورة لاوقات الفراغ ، وصناعة المواد الاستهلاكية ، على سبيل المثال ، في المجال الادبي ، كلها تقود الى خفض مستمر لمستوى الامكانات الفكرية في السواد الاعظم من الشعب . وهذا يتأتى من سبب بسيط للغاية ، وبدون تدخل ذهنية مدراء شركات الرأسمالية المتأخرة ، تلك الذهنية السياسية المدبرة المناورة ، يتأتى من ان السوق الاوسع تفسح المجال أمام مستوى ارباح أعلى . فالدافع الرئيسي ، الذي هو دافع الربح والذي يسير دفة كل مجتمع راسمالي ، وكذلك مجتمع الرأسمالية المتأخرة

يجر الوعي بالتالي ، بصورة مستمرة ، الى التكيف مع اخفض مستوى فكري ممكن ، ويؤمل بذلك تثبيت هذا المستوى ، هذا اذا لم نقل ، الى الاستمرار في خفضه . وتعتبر مجلة « بيلد تسايتونغ » التابعة للناشر شبرنغر (Springer) مثال نموذجيا على ذلك . وهكذا يعمل على تثبيت هذا المستوى المنخفض قدر الامكان ، او بالاحرى يعمد حقا الى تخفيض مستوى سواد الجماهير الفكري تدريجيا . والتفكير الذاهب الى ان تحويل المجتمع أمر لابد منه ، يفترض مقدما الاعتماد على الذات في التفكير ، يفترض استقلالا فكريا . وليس من مدعاة للشك على الاطلاق ، ان العامل لم يعان في نهاية القرن المنصرم ومطلع القرن الحالي مثلا الضغط الذي تمارسه حاليا صناعة المواد الاستهلاكية بهذه الوطأة ، لهذا كانت الفرصة امامه اوسع من عامل اليوم ، ليتجه شطر تكوين تفكيره تكوينا ذاتيا مستقلا ــ رغم الثقافة المدرسية الاسوأ ــ .

على هذا غدا اكتساب وعي طبقي مثقلا بالصعاب . لكن ، اذا سعت النقابات الى اثبات وجودها ، فلابد لها من ان تحافظ على البقية الباقية من التفكير الطبقي ، ولابد لها من ان تحيط علما بأن الكفاح النقابي لاتقوم له قائمة الا اذا غدا كفاحا نقابيا كذلك ، والا اذا قيض له الحفاظ على الحرية الثقافية في بعض الاحيان بصفته كفاحا سياسيا ايضا . وعلى هذا راح يتجلى في افق البلدان الرأسمالية اجمع اتجاه جديد غريب ، يتمثل في ان الحركة النقابية اضحت أكثر جذرية من تلك الاحزاب السياسية ، التي مثلت في وقت مضى المصالح العمالية ، لكنها اندمجت الان في نظام الحكم القائم . لقد انحدر مستوى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الى مستوى مؤسسات ترمي باتباع اسلوب مناور كذلك الى استهواء الجماهير العريضة ، والبت في امر طاقتهم الانتخابية من الوجهة السياسية . وعلاوة على ذلك ، فهي تسعى ، كما تسعى صناعة المواد الاستهلاكية ، الى التحريض على المحافظة على مستوى فكري منخفض قدر الامكان ، ومن ثم ترسيخ هذا المستوى ، مما يعود بالنفع على مصالحها ، مصالح العقلية المناورة المتسلطة . لهذا فان فساد الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، كفساد الحزب الاشتراكي الديمقراطي مثلا، لايفسر مطلقا من خلال الخيانة

القيادية بصورة واعية مباشرة ، انما وببساطة من خلال هذا الوضع . وبناء على ذلك ، فالمشكلة الاساسية تنحصر في التساؤل عن الطريقة التي يمكن ان نتبعها لتطوير الوعي النقدي في خضم هذه الظروف المعقدة . ولايسعنا بعد الان تكوين صورة واضحة عن هذه الظروف المعقدة على ضوء تجارب العامل المباشرة ، انما استنادا الى مختصين في شؤون الفكر، وممن خاضوا غمار التفكير المجرد .

ويولد من جديد مما تقدم ظاهرة جديدة غريبة كل الغرابة ، وهي ان أهمية الحركات الفكرية المستقلة تزداد في البلدان الصناعية المتقدمة أكثر من غيرها، تلك الحركات التي تبذل جهدها لحماية التراث الانساني والدفاع عن التقاليد الديمقراطية في وقفتها المعارضة ونقدها الحاسم للسلطات الحكومية الجانحة نحو الاستبداد والتسلط أكثر فأكثر ، ولسياسة الحكومة المصطبغة بصبغة امبريالية واستعمارية مستحدثة ، وبخاصة أيضا نقدها اللاذع الموجه ضد توجيه الحياة الفكرية واستهواء العقلية الجماهيرية . وتتجلى هذه الوقفة ، في الولايات المتحدة ، في تمرد الطلبة والجامعيين الشباب ، الذين ما فتئوا يشنون هجومهم ضد سياسة الحرب في فيتنام ويقفون الى جانب الزنوج في نيل حقوقهم الشرعية . ونرى أن الطلبة الاشتراكيين وأدباء وأساتذة ديمقراطيين قد أخذوا على عاتقهم مهمة مماثلة في أنحاء المانيا الاتحادية ، حيث تشابه بنيتها الاقتصادية الى حد بعيد بنية الولايات المتحدة الاقتصادية ، الا أن الارتباط بالطبقة التي تملك وحدها القدرة على تغيير الوضع تغييرا فعليا ، الارتباط بالطبقة العمالية كان مبتورا في مناخ هذا التمرد . ولن يكون في وسع الفئات المثقفة الناقدة أن تؤثر أيما أثر ، الا اذا تمكنت من تحريك قوى الطبقة ضد شبكة النفوذ الجامعة بين رجال الاقتصاد ورجال الحكومة ، الطبقة التي تضم السواد الاعظم من الشعب . ان مدى العمل على حل هذه المشكلة ، سيقرر امكان وجود مستقبل يشع انسانية لما يسمى (بعالم الغرب) أو لا ؟ لكن ، هل ستتمكن الفئات المثقفة الناقدة من حل هذه المشكلة ؟ فالطبقة العمالية في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الاتحادية ما زالت غارقة في سبات اللامبالاة ، وقد شل وعيها

بأساليب العقلية المناورة ؛ طالما أن ليس ثمة من كساد في السوق أو كمون في الميدان الاقتصادي ، يعترض سبيل الرفاه الظاهر ويعرقله ، نجد أن من الصعوبة بمكان أن يلوح في أفق حياة الرفاه هذه بوادر عفوية تتخذ سبلا جديدة للكفاح الطبقي ومقارعة اللاانسانية وعملية استهواء عقلية الجماهير . لذا فالفئة المثقفة المنعزلة ، غالبا ما تهدد ، بأن تكون عرضة لفقدان صبرها ، فتتقوقع عبر ذاتية تتسم بتفكير شبه جذري ، وذلك قبل أن تزودها الدراسات الدقيقة حول الوضع بالنضج الفكري اللازم وبالتغييرات الطارئة على الحالة الاقتصادية ، بامكانية كسب العمال من جديد في الكفاح من أجل تحقيق المهام التاريخية . الا يمكن أن ينشأ وفقا لما تقدم وضع لا منفذ فيه ولا يدعو الى التفاؤل ؟

لوكاتش :اتسمح لي أن أبادرك الآن الاجابة، اذ طرحت أسئلة عديدة، من الصعب لم شتاتها . أنا لا أفضل بصورة عامة ، أن ألوذ الى استخدام المقارنات . رغم هذا فثمة أوضاع اجتماعية محددة لا تتكرر فيها بعض الامور بتفاصيلها ، بل تعاد بمشكلاتها الاستراتيجية . وكما قلت في يوم مضى ، أرى ، أننا لم نتوصل بعد الى اصلاح الاخطاء التي تقع في مجرى القرن العشرين ، ونتابع البناء اعتمادا على هذا الاصلاح ، بل نقف بالحري في باب منطلق بسيط للغاية ، يتمثل في حركات تمردية تشابه من الوجهة الاجتماعية حركة تحطيم الآلات في بعض النقاط . وما هو الشيء الهام الكامن في النظرية ؟ لقد قلت وبحق ، أن مقدار رغبة الطبقة العاملة في القيام بالثورة ابان سيادة فضل قيمة مطلق كان أضخم بكثير مما هو عليه اليوم . وهذا صائب لا مراء فيه . لكن ، اذا عدنا القهقرى حتى أيام **ماركس** ، نجد أن النظريات الثورية لم تنبثق مباشرة ، وحتى في تلك الحقبة ، من خضم صراعات الطبقة العاملة . واستنادا الى فقرة عند **كاوتسكي** ، أثبت **لينين** بحق ، أن نظرية الثورة قد جلبت من الخارج الى داخل الحركة العمالية . وفي تقديرنا ، أن أهمية هذا «الجلب من الخارج» قد ازدادت للغاية في أيامنا الحاضرة ، حيث نجد أن المناخ الموضوعي غدا ، في أوجه متعددة ، أقل ملاءمة بكثير ، من المناخ الذي كان سائدا في الرأسمالية سابقا .

لذا ليس من سبيل آخر ممكن ، غير سبيل جلب الوعي الطبقي من الخارج ونشره في صفوف الطبقة العاملة ، واعتقد أن الفئة المثقفة المعاصرة ، الفئة المثقفة الراديكالية تقف أمام مهام جسام تنحصر في اعداد المبادىء وارساء أساليب العمل . وتلاحظ انني لا أزال أتحدث مؤقتا عن المبادىء بعد ، وليس عن الشعارات التنظيمية التي تنبثق عن هذه المبادىء . يضاف الى ما تقدم ، نقطة هامة ، في اعتقادي ، اننا لا نقيم لها بعد الوزن الكافي ، نظرا لوطأة بعض ترسبات ومخلفات ؛ ألا وهي أن الفصل الكامل بين كادح عادي وكادح يضع ياقة بيضاء هو في طريقه الى الزوال من الوجهة الاقتصادية الموضوعية . وأرى أن ثمة عاملا يلعب دورا هاما في هذا المجال ؛ ألا وهو أن الرأسمالية الماضية ، الرأسمالية قبل وقوع الازمة الكبرى واندلاع الحربين العالميتين ، كانت قد ضمت قاعدة جد عريضة من شرائح أصحاب دخل يتراوح – وينقل – بين ٢٠٠ ألف وحتى ٦٠٠ – ٧٠٠ ألف مارك ، وقد وجدت في تلك الحقبة شريحة عريضة من أهل الفكر تضم بشكل خاص أولئك العاملين في الحقل الجامعي ، والذين كونوا كيانهم بفضل استقلالهم المادي نظرا لاعتمادهم على ايراداتهم ، وهذا يشكل ، من وجهة اقتصادية ، الاساس الاجتماعي للفئة المثقفة التقدمية حسبما يرى **مانهايم** (Maunheim) . والآن بدا وجه جديد للوضع ، يتمثل في أن شرائح جديدة تنازلت عن فكرة تكوين رؤوس أموال من ايراداتها ، لتنفق المبالغ في سبيل تربية أطفالها ، بحيث أن شرائح أصحاب الدخل الادنى أضحت في طريقها الى الزوال ، بيد أني لا أزعم ، انها زالت تماما ، ومرد هذا الى هبوط قيمة الاموال والى ازدياد أهمية الدور الذي يقوم به أهل الفكر في ظل الرأسمالية المناورة . لكن المهم في الامر ، أن المرء الذي كان في وسعه أن يدخر ٥٠٠ ألف مارك مثلا ، بات من الافضل والاهم بالنسبة اليه انفاق قسم من دخله في استهلاك خاص ، والقسم الآخر من أجل تربية أطفاله تربية جامعية . ويعد هذا ، في رأي ، أثرا اضافيا له أهمية بالغة ، يتجلى في أن نظام الطفل الفريد في العائلة لم يعد تمشيا مع هذه الظروف ، عادة سائدة . ونلاحظ في فرنسا اليوم ظاهرة ازدياد في عدد السكان اكثر بكثير مما في السابق . وقد تعود

هذه الظاهرة الى أن صاحب الدخل النموذجي في فرنسا ، حسب الصورة التي رسمها له **موباسان** ، في طريقه الى الزوال . هذا يعني ، مع أن هذا لم يظهربعدمن الوجهة البيولوجية ، ان ثمة قرابة معينة ماثلة بين العامل المأجور والموظف الذي يعيش من راتبه . ان هـذا الفرق بين العامـل والموظف ، الذي كان يتمتع بأهمية في الرأسمالية السابقة ، راح يضمحل شيئا فشيئا من الوجهة الاقتصادية . واني لمقتنع كل الاقتناع ، أن زوال اختلاف ما في الوجود الاجتماعي سيقود عاجلا أم آجلا الى تغيير في الوعي. أريد بذلك أن أنوه ، أن ثمة في البنية بكاملها فروقا شاسعة قائمة . وقد بين **ماركس** قبلا ، أنه لا بد من وجود حد أدنى من المال لخلق رأسمال . بيد أن هذا الحد راح يتصاعد باستمرار ، لذا فالسؤال ، عن اعتماد المرء في حياته على رأسمال أو على عمل مأجور ، العمل المأجور بالمعنى الواسع للكلمة ، يتخذ شكلا آخر ، يختلف عما فكر به الانسان سابقا . وأكد هذه الحقيقة الاقتصاديون والاجتماعيون البرجوازيون أيضا ، بيد أنهم ربطوها بفكرة ، أن العمال سيتحولون الى موظفين ، وهـذا ، في اعتقادي حلم من أحلام الرأسمالية ــ وأعتقـد أن ثمة تطورا معاكسا سيفرض نفسـه ، لا سيما عندمـا نشاهد ، ان مـدة العمـل ومسائل الاجور لم تعد لتحتل محور البحث ، انما مشكلات أوقات الفراغ وأوقات التأمل والخلوة ، وعندها فقط ستتضاءل تدريجيا وبصورة موضوعية ، الفروق الاجتماعية الماثلة بين الموظفين والعمال ، وهذا لا يدلل اليوم بعد ، من الوجهة الذاتية ، على النتائج الناجمة برمتها ، لكن أود أن أكرر قولي، بأن تطورا موضوعيا لا يمكن أن يتم مع مر الزمن بدون نتائج ذاتية . هنا تكمن النقطة الهامة ، التي لا بد من أن ننطلق منها . أما انطلاقنا ، انطلاقا ايديولوجيا صرفا ، حين تشعر الجموع ــ وأعني بها هنا العمال والموظفين على حد سواء ــ المسيرة بأساليب العقلية المناورة ، بأنها جد هانئة في ظل هذه العقلية المتسلطة ، لهو مجازفة لا أمل فيها على الاطلاق . واذا قدر للرأسمالية ، لا أن تتوصل الى أن يبتاع الناس السيارات والبرادات والاجهزة التلفزيونية فحسب ، بل أن تتمكن أيضا من جعل هؤلاء الناس راضين كل الرضى عن العالم الذين يعيشون في مناخه حاليا ، لن يكون

من أمـل يرجى . الا أن الحالة خـلاف ذلك . فنحن نجد أن الاعمال الادبية ، البعيدة كل البعـد عن الادب الاشتراكي ، تشير الى أن ثمة سخطا يتزايد أواره يسري في أعمق أعماق شرائح اجتماعية جد ميسورة ، سخطا ينصب فوق التوجيه الدعائي المناور المستلب أوقـات التأمـل والخلوة . وقطاع كبير هام من الادب والفن المعاصرين يبذل مسعاه في التعبير عن عـدم الرضى هـذا وتصوير فراغ الوجود الانساني ؛ ومرد شعبية كاتب مثل **بيكيت** (Beckett) ، في اعتقادي ، تتمثل في اظهار عبث الوجود الانساني وافلاسه التام كقدر مشؤوم مسلط فوق رأس الانسان ، بيد أن هذا يشير أيضا الى النقطة ، التي يجب أن ننطلق منها ، لنعلن الكفاح ضد عالم واقع في شبكة التوجيه المناور . يتحتم علينا أن نتعلم استخدام القلق وعدم الرضى السائدين بشتى الوسائل . اسمح لي أن أدلي مجددا بمقارنة بين حقبات مضت وبين الوقت الراهن . اننـا نصادف في المانيا ، حتى في ذروة أيام الطبقة العاملة القديمة البطولية ، ولنقل في عهد نضالها ضد القانون الاشتراكي الالماني ، شرائح عريضة من الطبقة العاملة الذين قد طالعوا مجلة (garten laube) ، كانوا يؤمون الكنيسة ، غير مكترثين بالنضال الطبقي الدائر حولهم على الاطلاق . فمن الوهم أن نعتقد أن الطبقة العاملة برمتها قد اشتركت في الكفاح البطولي في تلك المرحلة البطولية . فلا جدال في الامر أبدا . لذا فأرى أن أولئك الذين لا يزالون مغرمين بمطالعةصحيفة «بيلد تسايتونغ» (Bildzuitung) كما نوهت ذات مرة مجلة « اشبيغل » (Spicgel) بفطنة ، يترعرعون ليكونوا أقزاما في رياض تلك الصحيفة ، بحيث يصعب عليهم الاقدام على قفزة تحولهم من مجرد أقزام الى عمالقـة تقارع العقليـة المناورة واستهواء الجماهير . بالمقابل لا ينكر أبدا ، أنه من الممكن التشبث بزمام بوادر حركة جماهيرية ، تأخذ أي شكل من الاشكال ، تثار في صلب شرائح عريضة نسبيا ، طفق يستشري فيها عدم الرضى وتنتشر موجة السخط ماهي طبيعة الاشكال التي يمكن للحركة ان تتخذها ، هذا ليس في وسعي تقديره . انني مع الاسف فيلسوف ولست بسياسي . ولعلنا في امس الحاجة الى لينين معاصر يتمكن من تحويل مستوى النظرية الماركسية

اليوم الى افعال سياسية . هنا لابد لي شخصيا من ان اعلن استسلامي مصرحا ، ان مثل هذه المهمة تفوق طاقتي . ذلك انها لمصادفة سعيدة ، لكنها مصادفة نادرة المثال حدثت في صالح حركة الكادحين، الا وهي تعاقب ظهور أشخاص من طراز **ماركس وانغلز ولينين** ، هؤلاء الذين استطاعوا ان يجمعوا بين الجانبين : النظري والعملي . وهذا يجر معه اليوم ويالاسف تبعة ان اي امين سر لحزب من الاحزاب يتصور ذاته خليقا بأن يكون خلفا شرعيا **لماركس او لينين** . وينبغي ان نكون على بينة من ان اتفاق ظهور مثل هذه الشخصيات ، كان بمثابة فرصة سعيدة غريبة من نوعها بالنسبة الى حركة العمال . وانه من الصعب ان يظهر التاريخ كرة اخرى امثال تلك الشخصيات . وكي ادلي بمثال هام فعلا ، أقول ان تولياتي الراحل ، يعد في نظري فلته موهوبة ومرموقة من فلتات الزمان على الصعيد التكتيكي ، انجبتها الحركة العمالية ، لكن لابد ان اضيف ، انني لا أبجل افكار تولياتي النظرية . لقد اتصف تولياتي بأنه كان سياسيا تكتيكيا ماهرا ، لكنه لايعد لينين الحركة العمالية المعاصرة ولايسعنا في هذا المجال اطلاق اسم لينين على احد ، ولايسعنا من جهة اخرى الانتظار حتى يشرق فجر لينين جديد ، بل علينا ان نحاول ، على قدر ماتسمح طاقاتنا ، انجاز حل ملائم للمشكلات القائمة . فالنظرية تستطيع اولا ان تشير الى ماجد من جديد على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي لاغير . وهذا القدر من الاشارة يعد في رأيي الشيء الكثير ، ذلك ان هذه التأملات تدلل على ان الظاهرة الاقتصادية في الواقع تختلف عما يحاول الاقتصاد البرجوازي اثباته . ثانيا تستطيع النظرية ان تستخلص من دروس التاريخ استنتاجات تجعل امكان القيام بحركة من الحركات امرا معقولا . ان فكرة نشوء حزب اشتراكي راديكالي في مكان ما في الغرب اعدها فكرة وهمية . فالمهم في الامر هو ايجاد حركة تضع هذه المسائل باستمرار نصب عينيها وتحرك بلا هوادة شرائح تزداد اهميتها لحمل مواد الكفاح ضد العقلية المناورة والاستهواء الجماهيري . على هذا فليس من المستبعد مطلقا ، ان يغدو قارىء **بيكيت** اليوم ، مناضلا ضد العقلية المناورة الموجهة في الغد ، لكن هذا لايعني ، انه علينا

ان نعتبر بيكيت نصيرا لنافي الكفاح، بل خلاف ذلك ـ وفي هذا الصدد لا اعني شخص **بيكيت** أو فنه على الاطلاق ـ فان تغيير الشكل الاجتماعي للمناورات واستهواء الجماهير وتحويله الى شكل انساني يعد زيفا ويتصف بأنه شكلا لايديولوجية تدعم واقعا سيئا . ولا يخلو الامر في المراحل الراسمالية الماضية ايضا من محاولات قام بها مفكرو تلك المراحل ، ترمي الى اظهار الامور التي أدت الى دفع عجلة الصراع الطبقي اقتصاديا ـ موضوعيا ، في صلة انسانية عامة . واسوق الان مجددا مثالا واحدا لاغير . فكلما طرق موضوع امر سيء لابد لي من ذكر **نيتشه** . فقد اختلق نيتشه مثلا فكرة ان وعي الكادحين الطبقي برمته لاينأى عن كونه مجرد حقد الارقاء وعدائهم ، واعلم جيدا منذ عهد شبابي ، ان هذه الفكرة وقفت في تلك الاونة حائلا دون انضمام عدد وفير من مثقفين حميدي الخصال ولاغبار عليهم الى الحركة العمالية . ذلك انه لم يكن في مقدورهم ، وحسب مايقتضيه وجدانهم ، ان يتوقعوا لدى انسان اخلاقي كريم الشمائل وجود اي شعور بالحقد والضغينة أو مساندة هذا الشعور . على هذا فالواجب يملي علينا ، ازالة هذه العوائق وشق سبيل جديد . ولايتطلب الامر اظهار عبثية العقلية المناورة على نحو مجرد للجماهير فحسب ، بل ان نلامس بدعوتنا هذه شغاف شرائح وفيرة من الجماهير ، التي تعاني شيئا من الروع والقلق والسخط وغيرها في ظل نفوذ العقلية المناورة ، التي هي ضحيتها .

اعتقد ان الوقت قد حان هنا للتحدث عن احاسيس الجماهير . كم هي ضخامة هذه الجماهير ، لست أدري ، ولا غرو أنها اضخم ، اضخم بكثير من الجماهير التي أحطناها حتى الان ، بحيث ان ثمة واجبا هاما ينتظرنا ، يقضي بتحريك هذه الجماهير وتجنيدها . فان نفخ في جمر السخط ، ستستقر ناره لتشمل ملايين القلوب . لنتأمل مثلا في جمهورية ألمانيا الاتحادية . لا ازال أذكر بوضوح ذلك الوقت ، حيث جذبت الحركة الداعية الى عدم اعادة التسليح المسماة « حركة بدوني » ، ولا شك ، ملايين الرجال ، لكن بما أنها افتقرت الى روح الثبات والصلابة ، تحطمت بعد فترة وجيزة . ومن ثم بزغ تفجير ديمقراطي ابان القضية التي

اثارتها مجلة « اشبيغل » (Spiegl) ما لبث ان اضمحل دون أن يترك أثرا . فمن واجب الحركة اسباغ ديناميكية مستمرة على شدة التفجير التي تحدثه مثل هذه الحركات المعارضة . هنا تكمن ، كما أرى ، المشكلة الاساسية التي تقضي اليوم ــ وبقدر ما تتسع رؤيتي للامور ــ باضفاء شكل واحد على حالة الاستقرار هذه ، هو شكل حركة من الحركات لا غير . لكن لا تحتاج حركة من هذا النوع أن يحكم عليها بأن تكون حركة مشلولة الاثر . ولا شك اني اذا شرعت أحلم بأنه من الممكن تأسيس حزب رابع في المانيا الاتحادية ، فلا مراء أن حلمي هذا ضرب من العبث والوهم . لكن ، رب حركة تتمكن ، بعد وقت وجيز ، من أن تمارس أثرا على تعيين الناس لنائب دون اخر في بعض المناطق . وهذا ليس مجرد وهم على الاطلاق . وعليك ألا تنسى أن الاحزاب الكبرى في اميركا غالبا ما تجد نفسها مضطرة للاخذ بهذه التساهلات في بعض الظروف .

أرى أنه ينبغي طرح الاوهام جانبا ، ولا نعتقد أنه بامكاننا القيام بفتح ثغرة في فترة وجيزة ، لكن علينا من جهة ثانية الا نرتمي في احضان التشاؤم ويخامرنا الظن أن ممارسة اي اثر ما أمر محال . ولا جدال في أن بعض الاوساط في اميركا ، تميل الى تصعيد حدة الحرب حتى ذروة استعمال القنبلة الذرية ، الا أن عدم جراة هذه الاوساط على ابداء رايها بصراحة لدليل واضح على أن ثمة حركة ماثلة هناك تذود عن هذه النقاط ، وهي وان كانت حركة تفتقر كليا الى التبلور والتماسك لكن لها كيانها وتمارس أثرا ما . ولا يسعنا أن ننهج نهجا ميتافيزيقيا ونطالب بقول نعم أولا . فالامر يدور حول الكشف عن آفاق النضال ضد العقلية المناورة في مثل تلك الحركة ، التي تعلم ، أن عليها الا تستخلص ايديولوجيتها من صميم الحركة ذاتها ، بل عليها أن تجلب ايديولوجيتها من الخارج وتسكبه داخل الحركة ، وفي أعماق وعيها . وهذا التطلع نحو الخارج لا يعني عدم ربط الحركة بالمشكلات الواقعية والبعد عن جسم القضية ، ذلك أنه من المؤكد ، كما أرى ، أن مثل هذه الحركة

لا تسعى خلف مستقبل ظافر ، خلال ثلاثة اشهر ، انما تطمح نحو ظفر يمتد عبر عشرات السنين .

آبندروت :

اني اوافقك كل الموافقة ايها السيد لوكاتش على تقويمك الستراتيجي بكامله ، وخاصة فيما يتعلق بالاسس الاقتصادية لعملية التحويل برمتها، أي التحويل الفعلي للمثقفين الجامعيين وما ينتمي اليهم ايديولوجيا من شرائح موظفة متمتعة بمرتبة عالية ، الى وضع اجتماعي يتمشى ووضع الطبقة العاملة .

لوكاتش :

اجل .

آبندروت :

أود أن أسجل اعتراضا على نقطة اخرى . ان التناقص الذي ينجم عن الوضع ، كما نلمسه ، بأبعد صوره ، في بلدان الرأسمالية **المتأخرة** المتمتعة بتصنيع عال ، كالولايات المتحدة الاميركية والمانيا الاتحادية ، لهو كما يبدو لي ، أضخم بكثير مما نتصور . ويكمن هذا التناقض في تعدد الحركات التي تعلن عن ذاتها أنها في عداد قائمة المناضلين ضد العقلية المناورة ، منطلقة ، حسب كل ظرف راهن ، من نقطة ستراتيجية مركزية ، متمشية مع منطلقات الشرائح المثقفة المرتبطة موضوعيا بمصالح العمال كافة ، بفضل عامل التحويل الاقتصادي ، الذي تحدثنا عنه آنفا ، لكن من جهة اخرى تطالعنا ارتكاسات عفوية لا عقلانية تتوالد باستمرار وتبدو أكثر حدة ، على أي حال ، في الجمهورية الالمانية الاتحادية منها في الولايات المتحدة ، بسبب التراث الاجتماعي الذي تنفرد به المانيا وحدها ، والذي تحدثنا عنه سابقا ـ انطلاقا من تقليد هذه الشرائح المثقفة وعودة الارتكاسات الايديولوجية الى وعي مأساوي ، بحيث تبدو كل معارضة تقام معارضة لا أمل فيها. فكل نكسة ، وكل فشل يصيب الحركة التقدمية ،يعني ، في نظر جيل بكامله ، تخطي جسر الوعي المأساوي الى حضن الخمول والسبات . بامكاننا ان نقتفي آثار

هذا التخطي في تاريخ المانيا الاتحادية ، لا سيما في تتبعنا لتاريخ « حركة بدوني » مثلا ،التي نادت بنزع السلاح ، وعلى مستوى أقل حدة، الحركة التي نادت باستعمال الذرة للاغراض السلمية . على هذا أرى أن الكفاح ضد الوان **الاغتراب** ، من الوجهة الايديولوجية الصرف ـ لا اضمن اللفظة ايديولوجيا » ففي ايديولوجية خاطئة ، بضرورة وفي آن واحد كما تفعل المدرسة الفرانكفورتية ـ في اتجاه الوعي المأساوي ، الذي ينفذ مع الاسف نفاذا هائلا ايضا الى اتجاهات علم الاجتماع ، التي تدعي انها اتجاهات جدلية ، لهو مشكلة في منتهى الاهمية ، خلافا للاستنتاجات التي توصلت اليها المدرسة الفرانكفورتية ، المتشائمة في تلك الاستنتاجات أم ميالة للدعوة الى اللافعالية .

لوكاتش :

اني اوافقك على ما تقول تماما . ولعلي اقول ان ما ندعوه الان بصورة عامة ، بداية أزمة العقلية المناورة ، يتجلى بالطبع على الصعيد الوطني في أشد الصور اختلافا . ويتخذ هذا التطور في التاريخ الالماني شكلا خاصا تماما . لهذا عمدت الى نشر جزء من مؤلفي « تحطيم العقل » لدى الناشر فيشر ، ووضعت له مقدمة بعنوان « التغلب على الماضي » ذلك أن السواد الكبير من المثقفين الالمان ، لن يتمكنوا من شق فجرجديد، لا في اطار مسألة العقلية المناورة فحسب ، بل في تفسير هذه العقلية المناورة الى حد ما ، ما لم يتم التغلب على الماضي وتصفيته ، أي ما لم يدرك الالمان ، أن لابد لهم من أن يكونوا فكرة جديدة عن تطورهم . انا لا انادي بالعودةالى حرب الفلاحين، كما كان ينادي همبولد(Humbold) في زمانه ، بل ان ننطلق مظهرين ، أن فرصة شق سبيل صحيح لم تنهز عام ١٨٤٨ . وليس هذا الوعي المأساوي ، كما قلت ، من اختراع مدرسة فرانكفورت ، انما ينبعث من الانشقاق الغريب الذي مني به التطور الالماني ، بعد عام ١٨٤٨ . أود الان الادلاء بمثال أدبي واحد . يتردد في كتب تاريخ الادبويتردد بحق ، ان المشكلات ، التي يطرحها **هيبل** (Hebbel) في « هيرودس وماريان » وفي «جيج وخاتمه » ، انما كانت بمثابةبداية لقضية نورا. مع فارق كبير، وهو ان **هيبل** يطرح هذه المشكلة

كمشكلة مأساوية عامة ، وبطرحه هذا لبث ذلك الانسان المحافظ ، المناهض لثورة ١٨٤٨ ، بينما نجد ان « نورا » عند ابسن (Ibsen) كانت بمثابة اداة لتحرير حقيقي للمرأة . يضاف بالتالي الى طاقة هذه المشكلات المعقدة نقد ادبي يتناول الماضي الالماني وهذه المسائل برمتها . لقد عرضت هنا مثالا هامشيا نوعا ما . بيد أن هذا المثال يشير بدقة ، الى أن التطور الالماني ، حتى حين يبدي لحظات جد راقية وجد تقدمية ، مصبغ دوما بصبغة محافظة تحترم السلطة العليا ، وميال الى الموافقة على هزيمة ثورة ١٨٤٨ ، لا بد اليوم من استيعاب مثل هذه الامور . واجد أن المثقفين الراديكاليين الالمان يشنون في هذا المضمار نقدا موجها ضد التطور الالماني نقدا هزيلا رقيق الحاشية . فان تقارن كتاب **ياسبرز** (Yasprs) المترع بالفائدة بمقالتي القصيرة ، يمكنك ان تلمس الفروق التالية في عديد من الحالات ، الا وهي أن **ياسبرز** يسحب طوال نقده لحظات محافظة مأساوية متسمة بطابع مشؤوم .

آبندروت :

مع هذا فكتاب **ياسبرز** هو ...

لوكاتش :

كتاب عميم الفائدة ، اني انطلق من انه لا بد لهذا النقد ، الذي يتوجب علينا اجراءه في هذا المضمار ، ان نخوض أيضا غمار مجالات ، حيث تبدو القضايا ، في نظرنا ، قضايا عميمة النفع والفائدة . ولعلي أقول ، لا بد لنا من ان نعد ياسبرز لنشرته هذه حليفا لنا .

آبندروت :

بدون ريب .

لوكاتش :

على الرغم من ذلك فان التكتيك اللينيني ، الذي اعتقد اننا تحدثنا عنه ، هو تكتيك صائب . لقد اعتبر لينين منذ عام ١٩٠٥ الثوريين الاشتراكيين حلفاء في الكفاح ، ومع هذا فقد شن نقدا لا هوادة فيه

ضد مفهومهم الاجتماعي ، من خلال رؤية تكشف أن مثل هذه الحركة التي نحلم بها الان ، لا بد لها ان تتمنطق بهذه الجدلية : لا أن تأخذ بالمفهوم التعصبي ، الذاهب الى أن من واجب المرء أما أن يكون مؤيدا مئة بالمئة أو معارضا مئة بالمئة . وهذا يصح أيضا على النزعة الى ما هو مأساوي . وارى أن الامر مماثل ، ان قلت ، أن الظاهرات الاجتماعية تحول الى وضع انساني . ولمجابهة هذه النزعة لا بد من وجود حركة مناوئة للعقلية المناورة الاستهوائية تقود نضالا ضروسا يمتد من الفكرة القائلة بعدم امكان الصمود في وجه التقنية وبالتالي عدم امكان تجنب قيام حرب ذرية وحتى المشكلات الاخلاقية الحساسة . لا بد لنا من انجاز خطة نظرية صرف في هذا المجال ، يمكنها ان تعتبر كل رجل ينضم الى الحركة رجلا حليفا من جهة ، وتوجيه نقد نزيه الى هؤلاء الحلفاء ، التوصل الى تكوين نواة قادرة على حمل عب الكفاح الايديولوجي ضد أساليب المناورة والاستهواء وقادرة على كسب شرائح ترفض الحاضر بعناد ما بعده عناد ، على شكل سخط مبهم ، وحيث نجد لديها الشعور بأن السعادة المناورة هي في الواقع ليست بسعادة .

آبندروت :

اني اشاطرك الرأي تماما ، وخاصة فيما يتعلق بوجهة النظر الاخيرة. ان مهمتنا الاساسية تنحصر في تكوين وعي استراتيجي انطلاقا من زاوية تحليل ماركسي ، ساعين بادىء الامر الى قبول تلك القوى المتمردة على العقلية المناورة ، تمردا مبهما ، حتى وان كان منطلقها الايديولوجي يغاير منطلقنا ، شريكة لنا في الكفاح ، وأن نعمد ثانيا الى نقدها نقد الصديق للصديق . وينجم عن ذلك مشكلة أخرى ، حيث ان رأيي يختلف فيها عن رأي لينين . انك تعرف ولاشك الاطروحة اللينينية ، حيث يرى **لينين** في نشرته حول الامبريالية على سبيل المثال ، وعلى نحو يفتقر الى النقد نسبيا ، يرى في الارستقراطية العمالية العمال الذين يتلقون أفضل أجر ، والذين كان يظن أنهم يكونون قاعدة لاختراق الايديولوجية البرجوازية في الحركة العمالية ، ان صح التعبير . بيد أن الحقيقة

آنذاك نطقت في بلدان أوربا الغربية بلسان آخر ، ذلك اننا اذا تتبعنا الوضع الالماني عام ١٩١٤ تتبعا مشخصا ، ودرسنا أية قطاعات من الطبقة العاملة كانت في طليعة من ناضل ضد الحرب العالمية الاولى . لشاهدنا أن هذه الطليعة تمثل قطاعات من طبقة عمال ذوي كفاءات ويتلقون أجرا جيدا . وهذا يعود الى سبب بسيط وهو انهم كانوا يتحلون بأفضل كفاءات فكرية أيضا ، وكانوا بالتالي في عداد الاوائل الذين تمكنوا من كشف نقاب الزيف عن الحرب الدفاعية ، حرب الدفاع عن الوطن المزعومة . هنا تطالعنا اذاً مشكلة نقل الوعي الصحيح الى صفوف الجماهير . وفعل النقل هذا يتطلب نواة ، نواة تنقل . ومما لا شك فيه أن الوضع الملموس في جمهورية المانيا الاتحادية لا يفسح لهذه النواة مجالا بعد لتنتظم في اطار حزبي . لكنها نواة ، هويتها مع ذلك هوية الوحدة ، وتعمل على تنمية وعيها في حوار مستمر . وهذا يعني نواة تبلورها نزعتها نحو التنظيم .

لوكاتش :

أوليس التنظيم بالضرورة عبارة عن تكوين شيء يشبه حزبا ما ؟

آبندروت :

ليس بالضرورة . لا شك لم نقع على الاشكال المشخصة حتى الان . ان الاشكال المشخصة لاتزال تتخذ بعد ، ان شئت ، اشكالا ايديولوجية عادية لحوار مستمر .

لوكاتش :

الا انظر ، ان أجزت لي أن اقاطعك . فكرت غالبا في أنه من الممكن ادخال شكل تنظيمي الى الحركة ، يتسم بطابع رجعي . فنحن نجد مثلا أن الطلاب يقفون مواقف راديكالية ، بيد أن قواهم لا تفتأ تذهب هدرا بعد انتهاء دراستهم الجامعية . وكيف سيبدو الامر ، اذا عمل على ادخال ظاهرة ، تشبه ما كان يمثله « السادة القدامى » في الاتحادات القديمة ، الى صلب حركة الطلاب الراديكاليين ، ومن ثم يتبدى من

المستطاع الاحتفاظ بالنخبة الطلابية الراديكالية على الاقل ضمن اطار تلك الحركة . انها ليست سوى مجرد فكرة لا اقيم لها وزنا كبيرا ، وخاصة لا أقيم وزناللتعبير « أسياد قدامى » انك تفهم ، ولا شك ..

آبندروت :

حتى اننا حاولنا وضع هذه التجربة موضع التنفيذ في المانيا الاتحادية ، تشبها باتحاد الطلاب الاشتراكيين الالمان ، الذي يعد أوسع حركة طلابية معارضة ، لكنه ليس الاتحاد الوحيد في هذا المجال ، الا أنه يشكل أوعى نواة ضمن المعارضة الطلابية ـ على الرغم من ظهور نظريات راديكالية متطرفة لا مناص منها ، تتجدد بلا انقطاع ـ . وقد أسسنا بشكل مواز لاتحاد الطلاب الاشتراكيين الالمان هذا اتحاداشتراكيا بمثابة منظمة قاعدية . ونتيجة عملنا هذا تتلخص في أننا فصلنا جميعا عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي . بيد أن هذا الشكل من التنظيم له بالطبع حدوده ، ولا يقدم حلا للمشكلة . وعلى هذا المنوال فالمشكلة هي مشكلة تخص المانيا الاتحادية . مع هذا يكمن خلف هذه المشكلة شيء اكثر من كونها مسألة المانيا اتحادية خاصة ، ان مجتمع الجمهورية الاتحادية ليس سوى شكل من أشكال المجتمع القائم على الرأسمالية المتأخرة . ولعل الالتجاء الى مثل هذه الحلول ممكن في بلدان اخرى . فنحن نشاهد تكوين تجمعات في عدد من البلدان ، حتى انها تجمعات تحمل طابعا حزبيا ، مع ماتبرزه هذه التجمعات من تناقضات بالضرورة .

لوكاتش :

ان امكان تكوين حزب في ايطاليا أو فرنسا يطرح بشكل يختلف تماما عن امكان تكوينه في المانيا أو انكلترا او الولايات المتحدة .

آبندروت :

يتضح هنا ، ان شئنا استخدام مفهوم تعدد المركزية المغلوط والمنطوي على تناقض اصطلاحي ، جانب المشكلة الصحيح ، الا وهو أنه ينبغي ايجاد

الاشكال المشخصة انطلاقا من المعطيات الوطنية ، وبصدد هذه المعطيات على المرء ألا ينسى قط ...

لوكاتش :

واعتقد ، أن الامر ينطوي هنا على حالة في غاية الاهمية . وانتقل مجددا الى فكرتي الراسخة الهيغلية عن مبدأ الهوية ، وهي ان ثمة مشكلة عالمية قائمة فيما يتعلق بالعقلية المناورة والسمات العامة لهذه العقلية هي واحدة في جميع البلدان .

آبندروت :

لكن الحقيقة هي ملموسة .

لوكاتش :

بيد أن ثمة في كل بلد على حدة مشكلات جديدة كل الجدة . فاذا اتخذنا مثلا الولايات المتحدة ، نجد أن الوهم الذي ساد أرجاءها عام ١٩٤٥ ، النازع الى المناداة بمسيرة مظفرة « لنمط العيش الاميركي » (American way of Life) قد تبدد ، ومع تبدده انهارت دعائم سياسة تخفيض أسعار السلع ، بحيث نشاهد اليوم في أميركا ، أن عالم تصورات النصر لعام ١٩٤٥ برمته لم يعد له من أثر يذكر ، على الرغم من القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ونجده انه بات من الضروري البت في الوضع الجديد الناشيء. وما يعبر عنه عدد من الصحفيين الاميركان وبعض أعضاء مجلس الشيوخ مثل **مانسفيلد وفولرايت** وغيرهما ، ان هو الا ارتداد موج ناجم عن هذه الازمة العميقة ، التي هي من جهة أزمة قائمة على أساس أزمة العقلية المناورة ، لكنها من جهة ثانية تتخذ طابعا خاصا بالولايات المتحدة . لا أود الان الدخول في التفاصيل . ان الاشكال الانكليزية المعاصرة لها أسبابها الخاصة بانكلترا ، شأنها شأن الاشكال الفرنسية المعاصرة وهكذا ....

آبندروت :

نعم ، اني أشاطرك الرأي ، اذ لابد من مشاهدة الفروق الكامنة ،

لكن لابد ايضا من مشاهدة جانب العلاقة الآخر ، والنظر الى المشكلة بطابعها العام . سأضيف كلمة بعد . لقد تحدثت بحق ، عن أن الحظ قد حالف الحركة العمالية العالمية ، اذ انها حظيت في البدء **بماركس** ومن ثم **بلينين** . وبهذا أكدت دور الشخصية في التاريخ ، ذلك الدور الذي لا ينبغي أن نحط من شأنه . لقد اختار مجرى التاريخ في الحالتين شخصياته وبعد **لينين** ، مابين صدور كتيبه ما العمل وبين عام ١٩١٧ ، في نظر الحركة العمالية العالمية وانطلاقا من مستوى وعي تلك الحركة آنذاك ، واحدا بين كثيرين ــ واحدا في عداد منافسين كثر ...

لوكاتش :

طبعا . لكن ثمة أشياء تتعلق **بلينين** لم تستوعب اشياء كان من الممكن ان تكون مجدية للغاية ،لو أنها أدركت في تلك الآونة . بصورة خاصة أعتقد ، أن التكتيك اللينيني ، القائم على التأييد والنقد ، يعد مجديا للغاية . لو اتبعه الحزب الفرنسي ابان وقوع قضية درايفوس ، حيث وجد آنذاك استقطاب زائف ، مما الحق ضررا جسيما بطاقة عمل الحزب .

آبندروت :

وخلال سنوات طوال . ونلقى حول هذا الموضوع الان دراسة حديثة، اطروحة لنيل الدكتوراه قدمها **تسمبل** (Czempiel) . ومن المرجح ، أنها ستنال جل اهتمامك . وهذا يصح على الحركة العمالية الالمانية ، كما يصح على حركة العمال العالمية كافة . الا انه ليس من سبب يدعونا حقا . الى بث روح التشاؤم لكوننا لا نصادف **لينين** اليوم ــ ان شئت التعبير ــ ، لكن لابد من أن نقيم حسابا لمسألة استراتيجية وأعتقد أنها مسألة تتجاوز حدود جمهورية المانيا الاتحادية بصورة عامة ــ وتنحصر في وجود اتصالات سليمة بين الحركة العمالية ذات الاسلوب القديم وبين الحركة العمالية النقابية وجميع التيارات المثقفة المناهضة للعقلية المناورة ، والميالة نحو التحول الى حركات ، لكنها لم تلق بعد العوامل التي ترسي لها دعائم الاستقرار . ان هذه المسألة لم تجد لها

حلا كمشكلة قائمة في اي بلد من بلدان الرأسمالية المتأخرة . وهنا يكمن في الواقع مفتاح القضية . فمن الممكن تغيير وجه هذا الوضع في حالة واحدة وهي ايجاد حل لمشكلة الاتصال هذه . بدون اقامة اتصال سليم مع المنظمات العمالية العريضة لن يكون لدى المثقفين طاقة عمل كافية ليتمكنوا من فرض انفسهم على تلك المنظمات .

لوكاتش :

هذا صحيح تماما . وأود طرق مسألة لينين كرة اخرى ، من حيث أنها تطرح مشكلة جديدة تتعلق بالتنظيم ، وتبرز اليوم دوما وابدا ، وبشكل مثير في العالم الرأسمالي ، بمجرد أن تتبلور اتجاهات ما لا تمثل مصالح شخصية لفئات تمارس ضغطها في ردهات المجالس ، بل تمثل مصلحة مجمل رأس المال ، ويطوف في ذهني ما اعتاد المرء في الغرب ان يطلق عليه اسم هيئة الخبراء (Blain - Trust) . ان رجل سياسة من طراز كنيدي كان قد ايقن تماما ، أنه ليس بمنظر ولا بعالم ، لكنه خلافا لما يحصل في أوروبا ولا سيما في ألمانيا ، لم ينظر الى الخبير نظرته الى موظف كبير . ذلك انه أدرك أنه لن يتمكن من استقاء امور جوهرية من رجل الاختصاص هذا وحده ، بل يستدعي الامر وجود نخبة من المفكرين والمنظرين . والامر سيان الان ، ان كان اختيار كنيدي صائبا اولا . فالواجب الملقى على عاتق هؤلاء المنظرين انحصر في توظيف عملهم وتفكيرهم في سبيل الكشف عن المشكلات العامة ، كي يستقي السياسي منطلقات من أجل الحركة في ضمن هذه المواد ، والان اعتقد أن المنزلة المميزة التي يحتلها كل من **ماركس ولينين** في البلدان الاشتراكية قد ادت الى مبالغة خيالية في تقدير القيمة النظرية للسكرتير الاول في الحزب فعندما نجد **راكوزي** عندنا يتقمص دور خليفة لينين ، نرى ان تقمصه هذا يتسم بسمات هزلية عديدة ..

آبندروت :

وسمات مأساوية عديدة أيضا للاسف ..

لوكاتش :

أجل ، لكنها تكمن أبعد من ذلك مشكلة تنظيمية هامة ، وهي هامة بالنسبة لحركة العمال في المستقبل أيضا . ان لم نقدر ان يكون القائد السياسي العظيم ، وقديكون قائدا سياسيا مرموقا ــ أدلل فقط على شخصية من طراز **توليياتي** مثلا ــ منظرا عظيما في الوقت ذاته ، عندها يتطلب الامر شكلا ، علينا أن نلقاه اول ما نلقاه في خضم الحركة الراديكالية وفي الحركة العمالية . لذا فاني استخدم التعبير « هيئة خبراء » (Brain - Trust) دون أن أولي علم المصطلحات اهتماما مبالغا . وأريد أن أقول فقط ، ان ثمة مبدأ تنظيميا جديدا قد لاح في الافق ، ألا وهو تلك الثنائية ، ذلك التفاعل بين النظرية والممارسة السياسية ، وهذا المبدأ لم نعد نلقاه يتوفر في شخص واحد من الاشخاص ــ وقد يتوفر بأقصى تقدير مصادفة ــ بيد أنه ليس من الممكن ، بسبب من اتساع المهام اتساعا فائقا ، ايجاد حل له اليوم الا في شكله الثنائي . أود الادلاء بمثال واحد لا غير . مثال يتعلق **بلينين** مجددا . في مستهل العشرينات كان ما ألم به لينين عن الحركة الاستعمارية كافيا تماما لتحديد الموقف الدعائي للاحزاب الشيوعية من الحركة المناهضة للاستعمار تحديدا صائبا لا غبارعليه . واليوم، حيث تعترض مشكلات اقتصادية وسياسية خاصة سبيل النضال التحرري في كل بلد صغير ، وليكن غانا أو زامبيا أو غيرها ، لا نجد في مقدور أي انسان ، حتى وان احتل مكانة ماركس أو لينين ، التغلب على هذه المسائل برمتها . لا شك تدرك لماذا اقيم وزنا كبيرا لمشكلة هيئة الخبراء ، كمشكلة تتخذ شكلا تنظيميا . وأود أن أؤكد ، أنه ان وجدت فئة لا تصلح للقيام بهذه المهمة ، فهي البيروقراطية الحكومية والعمالية . ذلك أن هذه الشرائح قد اعتادت على العقلية المناورة التي تكتنفها وتستهويها ، فهي بالتالي عاجزة أصلا عن النظر الى ما هو غير موجود نظرة علمية نزيهة . وهذا له أهمية كبرى بالنسبة الى الجانب الفكري لتلك الحركة ، التي نحلم بها الان كلانا ، مفادها أن الحركة الفكرية هذه قد تكون مركزا يعمد الى ادخال الحركة الثورية من الخارج الى صلب الحركة العمالية من جهة ، ويمكنها من جهة ثانية أن تكون ركنا من أركان مجموعة الادمغة أو هيئة الخبراء ، حيث بصددها

قد لا يقع على عاتقها في البدء سوى مبادرة أحدهم الى تأليف كتاب جيد عن مصر او سوريا ، يمارس أثرا غير مباشر على السياسة المناهضة للاستعمار التي يسلكها الحزب الفرنسي أو الانكليزي . لست أدري ان كنت على بينة مما أرمي اليه هنا بقولي ، من ان ثمة مهمة كبرى واقعة اليوم على عاتق المثقفين . واذا أخذت حركتنا تفهم ، ان اشعال حرب كلامية صائبة ـ ولنقل ـ حرب في وجه نظرية المعرفة المناورة التي تضع أسسها الوضعية الحديثة ، قد تكون فاتحة قضية ، تطلع علينا في غضون عقدين من الزمن بنتائج سياسية باهرة ، قد تسلب من أحضان الاتباعية الاكاديمية السيئة أفضل فئة من الفئات المثقفة . أعني بها تلك الاتباعية الاكاديمية ، التي تحدثت عنها آنفا ، وقلت بحق أنه ينبثق عن المدرسة الفرانكفورتية مثل هذا النمط من الاتباعية الاكاديمية المثيرة ـ ان صح التعبير ـ أو الاتباعية الاكاديمية المنشقة .

آبندروت :

أرجو الا يساء فهمي : أعني أن المدرسة الفرانكفورتية بالنسبة الى المثقفين الشباب ، لاسيما في المانيا الاتحادية ، هي جد مجدية رغما عن طابعها المتناقض .

لوكاتش : طابعها المتناقض ، بمعنى أن المرء يستطيع أن يتعلم شيئا ما . لكن اذا أراد المرء أن يتعلم شيئا ما ، لا بد له أن ينفك عن المدرسة الفرانكفورتية .

آبندروت : اجل ، لكن بعد أن يقضي غالبا مرحلته الاولى في فرنكفورت . ان قضاء هذه المدة هناك شكل في نظر جيل بكامله من الطلبة الاشتراكيين ، مرحلة اجتياز ، مرحلة من أهم ...

لوكاتش : أجل ، أنا لا أريد انكار هذا على الاطلاق . وشخصيا لا يسعني إلا أن أقول ، انني غير متأسف اليوم أبدا ، لكوني قد تلقيت الدروس الاولى في علم الاجتماع عند **سيمل** (Simmel) وماكس **فيبر**

(weber) لا عند **كاوتسكي** (Kautsky) . ولست ادري ، هل من الجائز أن يقال اليوم ، أن هذا يعد بالنسبة الى تطور أفكاري ظرفا ملائما .

آبندروت : أجل . لكن علينا ألا نغفل أمرا واحدا ، وهو أن **كاوتسكي** ، لاحقا ، شكل العامل الحاسم بالنسبة اليك ، أما **كاوتسكي** ، بداية ، فكان لا يزال يتضمن مهمة أعمق ايجابية .

لوكاتش : أجل ، طبعا . وليس في ودي أن أنصب من سيرة حياتي قانونا للتطور الفكري . هذا أبعد ما يجول في خاطري . أردت فقط دعم ما قلته ، وهو أنه من الممكن حقا ، أن يقضي الطلاب سنواتهم الاولى في فرانكفورت ، ومن ثم لا بد لهم من أن يرحلوا عنها .

آبندروت : انني اشاطرك الرأي . بيد أن المشكلة الاستراتيجية تظل قائمة . وفكرتك عن « هيئة الخبراء » تعد ، في تقديري أيضا ، مفتاحا رئيسيا لحل المشكلة . على هذا المستوى من حيث الدقة والمنهج يراودنا التفكير في صفوف القوى الاشتراكية التقدمية ، في ألمانيا الاتحادية على سبيل المثال ، لكن هنا في ألمانيا الاتحادية تعترضنا صعوبات جمة هائلة ، لا نلقاها بهذا القدر في بلدان العالم الغربي الاخرى ، حيث نجد هناك حركات عمالية تدير أمورها على نحو سليم . ولا أود أن أرجع الامر الى الحزب الشيوعي في ايطاليا أو في فرنسا ، مع ما ينوء به هنا من تناقضات . لنتأمل مثلا في الحزب الاشتراكي الشعبي في الدانمارك أو أمثاله . أما في ألمانيا ، فليس من امكانية ماثلة في البدء ، فيما يتعلق بتكوين هيئة مثل « هيئة الخبراء » هذه ، الا امكان التقوقع ودفن الرأس ، كالنعامة ، في الرمال . فالمشكلة الستراتيجية الحاسمة تنحصر في العمل على ربط « هيئة الخبراء » المتكونة عفويا ــ إن شئت ــ بالمنظمات العمالية القائمة ، بالنقابات . بيد أن ايجاد اتصال كهذا لا يكفي ، ما لم تلق تلك الهيئة مكانها السياسي .

لوكاتش : وأرى ، في هذا الاطار ، أنه إن قدر لمثل هذه الحركة الظهور في المناخ الالماني أيضا ، فعليها الا تنسى طبعا إجراء تصفية لفكر

المانيا القديمة . إن الاشتراكية الديمقراطية تشكل ، ولا شك ، جزءا في هذه التصفية . أعني ان ثمة نقدا لا هوادة فيه فيه منصب على الشيوعية في المانيا ، إلا أنه يندر التحدث الى حد بعيد عن معضلة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية قبل ١٩١٤ وعن الحوادث التي ادت الى الا يكون عام ١٩١٤ مجرد مصادفة .

آبندروت : لا بهذا القدر النادر الذي تتصوره ، ذلك اننا نجد الان حتى في الاجواء البرجوازية المثقفة ، بعض مؤرخين يستقون معلوماتهم حول هذا الموضوع من دراستهم الوثائق دراسة موضوعية ليس الا . أذكر مثلا فريتز **فيشر** (Fischer) ودراسته عن أهداف الحرب الامبريالية الالمانية في الحرب العالمية الاولى ، وتشير هذه الدراسة الى فشل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني (Spd)

لوكاتش : أجل ، إن **فيشر** ليعد رائدا للقضية ، وهو يشير الى أننا نقف فوق ارضية واقعية صلبة ، ولا داعي للقول ، بأننا قد اختلقنا ، في هذا المضمار ، بشكل من الاشكال ، ايديولوجية مزيفة للاشتراكية الديمقراطية القديمة ، بل بأن الامر يدور حول حركة واقعية ؛ أعني ، ينبغي أن نشير فقط ، ــ وهذا ما اسعى اليه دوما ــ الى اتساع رؤية **انغلز** وحدة نقده لهذا الوضع منذ عام ١٨٩٠ في مؤلفه « نقد برنامج ايرفورت » ، حيث يتكلم عن القذارة التي تتسرب الى الاشتراكية ، غضة عذبة حرة . لقد عاين **انغلز** هذه المشكلة اذا منذ عام ١٨٩٠ ، ولا بد لهذه المشكلات من أن تطفو مجددا على سطح وعي الناس ، لدى البحث عن ارتباط ما بالحركة العمالية .

آبندروت : أجل ودون أدنى شك . لكن البرنامج الاستراتيجي عامة لم يجد بعد لفكرتنا المكونة عن « هيئة خبراء » ، مع أن الانظار قد اتجهت نحوها . ذلك أن عائقا ضخما يعترض سبيلنا ، عائقا يبلغ ذروته القصوى في الوضع السائد بألمانيا الاتحادية ، وبشكل مواز يبدو هذا العائق أخف وطأة في البلدان الرأسمالية الاوربية الاخرى . كنت على أتم حق ، إذ اشرت الى المناخ السائد هناك المعادي للشيوعية ، والذي راح ينجلي في

الواقع رويدا رويدا ، إلا أن العداء ما زال يلقي ظله مسيطرا على الوضع في ألمانيا الاتحادية . في الحقيقة ، ينبغي ألا يغرب عن بال أحد ، أن الجوانب السلبية التي طبعت الدكتاتورية الستالينية البربرية الشرسة قد أثرت في أوضاع الحركة العمالية في البلدان الرأسمالية ، أثرا بلغ أشده في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وذلك لحقيقة وجود دولتين ألمانيتين متجاورتين . انها لمشكلة مادية من جهة ، مشكلة لا تتعلق حاليا بالجماهير العريضة للطبقة العاملة فحسب ، بل تتعلق في الوقت ذاته بالمثقفين الاكاديميين العاملين في حقل البحوث والمشاريع . وهذه المشكلة تنحصر ، ولا شك ، في أن مستوى المعيشة ، (الحاصل على كل بسبب الضغط على النقابات ، لا بسبب تساهلات من جانب النظام الرأسمالي) الذي أتيح توفيره ، بفضل الآلية الاقتصادية لاعادة التشييد ، آلية حالة الاقتصاد ، لسواد العمال في الجمهورية الاتحادية مع اختلاف أعمالهم والفوارق التي تفصل بينهم ، هو أعلى بكثير من مستوى معيشة الفئات العمالية المقابلة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية . انها لازمة خفت حدتها بعض الشيء ، بيد أنها لم ترفع بعد ، ومنذ تخلف ركب الازدهار الاقتصادي في ألمانيا الديمقراطية عنه في ألمانيا الغربية ، وهذا ما يمكن تعليله طبعا ، من الجانب الرأسمالي ، تعليلا مشوها ـ لكنه تعليل يشوه مفلح يقوم على الرغم بأن الاقتصاد الرأسمالي متفوق على الاقتصاد الاشتراكي ، مع عدم الالتفات الى العوامل التاريخية الملموسة لهذه الازمة ، بل يضعونها ضمن قوسين . فشن الهجوم ضد هذا التفسير المشوه ليعد مهمة من مهامنا الايديولوجية .

لوكاتش : أجل ، وبهذا الصدد أود أن أشدد على أهمية الدور ، الذي تقوم به التصفية الحقة للستالينية في البلدان الاشتراكية ، بالنسبة للحركات القائمة في البلدان الرأسمالية .

فما جرى حتى الآن يعد بداية عملية ـ وان جاز لي أن أعبر تعبيرا فظا ـ بداية عملية غزو الستالينية اعتمادا على اسلوب ستاليني . ولا أنفك عن القول ، باننا نقوض الستالينية ، في هذه الآونة ، بطريقة

ستالينية ، ولن يتم تقويضها تقويضا حقا ، إلا اذا قطعنا صلتنا بالاساليب الستالينية قطعا جذريا . ولا يسعني أن أقول الا ان ما يجري لا يشاراليه كفاية بجلاء . لنأخذ هذين المثالين : أولا قد تمت تصفية الشرطة السياسة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٣ لكونها لعبت دور دولة ضمن دولة ، وكان لا بد من الحكم على بريا (Berila) بالاعدام ، ليتسنى اجراء تلك التصفية . ثانيا ، قد عزل **رانكوفيتش** في يوغسلافيا من منصبه عام ١٩٦٦ والغي حق الاستقلال الذي تمتع به تنظيمه . لذا ، لن نتمكن من التحدث عن تصفية الستالينية ـ من هذه الناحية ـ تصفية حقة ، ما لم تنفذ تلك الخطا الاولى بجراة وحزم في الدول الاشتراكية أجمع . ولا بد من الاشارة حقا الى أن التنظيم السري للشرطة السياسية في الغرب لم يول الاهتمام الكافي لكونه يلعب أيضا دور دولة ضمن دولة ، حتى اننانجده يلقى آيات التمجيد في صورة الافلام البوليسية ، ولا بد من الاشارة الى أن نظام الدولة ضمن دولة يتابع مسراه بأشكال متعددة ، في اعتقادي ، في الولايات المتحدة . وأرى أن هذا التنظيم لا يملك السلطة التي كانت في حوزة (Nkwd) مثلا في غضون الثلاثينات إبان محاكمات موسكو ، لكن ثمة أمور حصلت في أميركا الجنوبية ، وثمة قضية سانتو دومينيكو وغيرها ، هي ، ولا شك ، أعمال مستقلة قام بها التنظيم السري لاميركي، شأنها شأن المحاكمات الكبرى ، التي هي عبارة عن عمليات مستقلة خاصة قام بها التنظيم السري الستاليني ...

آبندروت : وربما أقول ، تمت هذه العمليات في سانتو دومينيكو ، وإن في مجال أضيق ، بوحشية لا تقل ...

لوكاتش : أجل ، إني أرى ، وأدلي بهذا هنا عرضا فقط ، بأن مشكلة الكفاح ضد العقلية المناورة لا تتضمن مقارعة التوجيه المناور للاستهلاك بل تتضمن أيضا مقارعة الاسلوب المناور للتوجيه السياسي ، حيث ينتهي هنا نهج النظام الديمقراطي المزعوم عن أن يكون نهجا ديمقراطيا ، ولنقل مثلا ديمقراطية سياسة الولايات المتحدة الخارجية . ومن الممكن متابعة الامر تماما في موقف كيندي من قضية كوبا ، مع

العلم ان **كنيدي** قد شن هجوما لا هوادة فيه ضد تدخل المنظمات السرية غير الشرعي ، بينما نجد اليوم ان نفوذ التنظيم السري والبيروقراطية العسكرية أشد وطأة في ظل حكم **جونسون** منه في ظل رئاسة **كنيدي** بشكل لا يقارن . في وسعك ان تلمس هنا ، كيف ان المشكلات المتعلقة بالعقلية المناورة تمارس أثرها على السياسة الخارجية كذلك . وهنا أعتقد ، ان مهمة الفئات المثقفة في الغرب لا تنحصر في متابعة السير على خطا **كوستلر** (koestlcr) في نضاله ضد (Nkwd) في الاتحاد السوفياتي ، ليستخلص منه نموذجا فحسب ، بل في الا يكتفي بالاشارة الى ان مثل هذا قائم ، انما الى انه قائم وبأشكال متعددة في بلدان أخرى أيضا . وكون هذا النظام اليوم لم يستشر بعد في المانيا الاتحادية الى مثل ذلك النفوذ ، يعود جزئيا الى تفجر الرأي العام وردود فعله . وأعتقد ، انه كان من الممكن أن يستتب في المانيا الاتحادية نظام حكم مكارثي معتدل من الوجهة السياسية ، لو لم يتفجر الراي العام ابان قضية مجلة اشبيغل ، مما أدى الى سقوط **شتراوس** (Straug) .

آبندروت : أرى ، أنه ، إن وجد ، لن يكون معتدلا كما نتصور .

لوكاتش : أعتقد انك تعي ما أرمي اليه ، وانه من الضروري تبيان بعض سمات عامة لاساليب العقلية المناورة وما يتوقف عليها من نتائج خطيرة . وهذا يؤدي بنا الى استنتاجات تلامس الحياة العامة في الجمهورية الاتحادية . اني أغمز الآن من قناة أمر ، لم أحط به علما الا من باب حوادث متفرقة ، وليس في وسعي الادلاء بحكم شامل نهائي عليه ، الا وهو ممارسة القضاء في الجمهورية الاتحادية ، حيث يجعل من حكم القاضي وتقرير أحد المحامين المختصين تميمه مقدسة أو أحكاما منزلة ، حيث يصعب جدا اعادة النظر في الاحكام الخاطئة خطأ جليا . أعتقد أنك على علم بهذه الاشياء ، ومن المؤكد انك على بينة منها أفضل مني بكثير ، إلا انني اشعر انه لا بد من مقارعة هذه الاشياء ، وهذا الدرب ، لم يسلكه اليوم ، بالواقع ، في ربوع المانيا سوى مجلة شبيغل ، ولم تسلكه الا في حوادث متفرقة ، ولم تتبع دوما الضراوة اللازمة . الا إنها لنقطة هامة

تتعلق بحياة أناس لا حصر لهم مباشرة ، هي ذي لديك مشكلة من مشكلات العقلية المناورة ، مشكلة ملائمة كل الملائمة لاندلاع الحركات الجماهيرية ، فليس من قبيل الصدفة ان نجد أن الاخطاء القضائية الجلية قد أدت في السابق في المجتمع البراجوزي الى اندلاع حركات جماهيرية ، إني أفكر في قضية درايفوس كأضخم قضية بين تلك القضايا . ان اثر هذا الاندلاع والانعتاق نجده مثلا على الصعيد الادبي في رواية ارنولد **تسفايغ** الرائعة المفيدة من الغلاف الى الغلاف عن الرقيب غريشا ، وفيها تتجلى بعض مظاهر الجهاز القضائي الالماني بكامل عريه من خلال حكم تقرره المحكمة . واعتقد أن الوجه الديموقراطي الزائف الذي تتقنع به الجمهورية الاتحادية ، قد ينجلي لدى تحليل الاحكام القضائية تحليلا لا غبار عليه ، والتمعن في امر رفض اعادة النظر في القضايا وغيرها . وينجلي على نحو أفضل من السعي في الكشف عن مسائل سياسية لا حصر لها واماطة اللثام عنها . وينتابني شعور ، بأن ما يحدث في ألمانيا الاتحادية من سيئات اكثر بكثير مما يذكر في الصحف ومما يدركه الرأي العام . لست أدري ، ما رايك ...

آبندروت : انني أوافقك على ما تقول تماما . بالطبع تحصل امور شائنة يفوق عددها ما يبلغ مسامع الحياة العامة بكثير . انك على علم ، بأن البادرة الاولى لشن حرب نقدية كانت متاحة من خلال اجراء المحاكمات السياسية ، فكان من المحتمل القاء ضوء على مشكلة الجماهير وابرازها بشكل أوضح ، بادراج محاكمات اخرى ضمن تلك المحاكمات . لكن تطالعنا على هذا الصعيد مشكلة عامة ، مشكلة تتجاوز ، كما يبدو لي ، حدود المانيا الاتحادية ، وتعد على قدر من الاهمية بالنسبة لكافة المجتمعات من هذا النوع . ألا وهي أن الوقوف موقف الدفاع من مثل هذه الفئات السياسية المنظمة ، لا يتخذ في البدء الا شكلا ديمقراطيا صوريا . وتكمن المهمة الاساسية في الانتقال من مواقع الدفاع عن الحقوق الديمقراطية ، وفي البدء عن الحقوق الديمقراطية البرجوازية . الى مواقع الهجوم للكفاح ضد العقلية المناورة .

لوكاتش : انني اوافقك على ما تقول كل الموافقة ، إلا إني أود أن أشدد على القضية الخاصة بالمانيا ، وهي أن المحامي المختص ، الذي عينته المحكمة خبيرا اختصاصيا يمثل أمام الحكومة المقدسة ، ولا يعبر عن راي علمي ، يمكن وضعه موضع الجدل والنقاش ؛ على هذا يتكون قرار حاسم نابع من السلطة ، ومن يجرؤ على الاحتجاج على قراره ، يغدو مواطنا طالحا في نظرها . لا أعلم أين ، ذاكرتي تخونني في حفظ الاسماء ، في مكان ما في مقاطعة راينلاند جرت منذ مدة محاكمة رجل من المرجح أنه مشاكس معارض بطبيعته ، وقد احتجز لفترة ما في مأوى المجانين ، لانه ظهر على مسرح جريمة قتل . وقد اثبتت البراهنين بعد ذلك ، أن السلطات المختصة قادت حملتها التفتيشية بلا تروٍ وبدون دقة . انها لظاهرة ، ولعلي أقول ، ظاهرة تكاد تكون المانية صرف تتعلق باحترام السلطة ، فالمدعي العام أو القاضي الذي تصرف تصرفا خاطئا ، يمثل حتى في أحكامه الخاطئة قدسية الحكومة ، قدسية السلطة العليا . والميل السائد هناك يقضي بذر الرماد في العيون وتغطية تلك الاحكام لئلا تأخذ مجراها الى الشعب . واعتقد أن قيام حركة مضادة للعقلية المناورة في المانيا سيتاح لها كسب أرضية جد واسعة على هذا الصعيد ، ذلك أن هذه القضية قضية تثير اهتمام كل انسان . إني لا أرمي الآن الى أن كل حادثة شخصية هي حادثة تنال أهمية ، بقدر ما أرمي من سردي الى كشف النقاب عن الطرق المتبعة في الاجراءات القانونية في الجهاز القضائي . بهذا أريد أن أقول ، أن أرضية الصراع ضد العقلية المناورة أوسع بكثير مما قد يعتقده المرء للوهلة الاولى .

آبندروت : انني اشاطرك الرأي تماما . الا أني أعتقد أن المشكلة ليست مشكلة خاصة بألمانيا لا غير . ولا ينكر أنها مشكلة قد صلب منها العود في جمهورية ألمانيا الاتحادية بسبب عاملين اثنين : العامل الاول مرده العقلية التقليدية الذاهبة الى احترام السلطة . والعامل الثاني يتجلى من خلال كون هيئة رجال القضاء في الرايخ الثالث بقيت على ما هي عليه في الجمهورية الاتحادية ، بيد أن مشكلات من هذا النوع نلقاها في المجتمعات البرجوازية كافة .

لوكاتش : انني مقتنع بهذا تمام الاقتناع ، مع هذا فليس من قبيل الصدفة ، أن نجد أن الفضيحة الكبرى من هذا النوع قد انفجرت بوقوع قضية درايفوس . ولعلي أقول بصدد هذه القضية ، بأنني واثق ، من أنه قد وقعت عشرون حادثة من أمثال حادثة درايفوس في المانيا آنذاك ، ولم يحرك أحد ساكنا . على هذا فقضية درايفوس لا تشير الى انها ظاهرة متسمة بطابع عام فحسب ، بل تشير ايضا الى ان تفجر الراي العام في قضية درايفوس لدليل جلي على الفرق القائم بين المانيا وفرنسا .

آبندروت : أنا فكرت في الاوضاع الماثلة في الولايات المتحدة ، وتمعنت في القضايا الكبرى ، وفي امثالها من القضايا ، المصطبغة هناك على اي حال بصبغة سياسية أعمق ، نجدنا إزاء مشكلات مماثلة ، لكن بدون أن يكون للحركات المضادة من أثر يذكر في ربوعها .

لوكاتش : أجل ، طبعا ، أنا لا اعترض على هذا مطلقا . إنما أعني ، ان من واجبنا الا نحصر مجال الكفاح ضد العقلية المناورة في المشكلات المتعلقة بأوقات الفراغ في المعنى الحصري للكلمة ، والا نقتصر على النضال ضد الاساليب المناورة للدعاية والاستهواء ، على الصعيد التجاري فحسب ، بل أن نكون على بينة ايضا ، من أن تكنيك العقلية المناورة ، هذه العقلية التي تعد ارثا قدم الينا جزئيا من عهود غابرة ، قد تبدل ليس إلا ، وأنه في الواقع يلازم حياة الانسان كل انسان ، برمتها . ومن خلال هذه الملازمة يتضح بجلاء ، أننا نستطيع الاعتماد على مشاعر القلق والاضطراب والانزعاج التي تعانيها شرائح جد عريضة في المجتمع ، وأن نعمل بالتالي على كسب هذه الشرائح بأسرع وقت .

آبندروت : أجل . لكن المشكلة الاساسية التي تظل ماثلة هنا ، ويسرني أن نلمس وحدة في آرائنا ـ هي أن غاية حمل راية النضال في وجه البنية الاجتماعية للراسمالية المتأخرة تتركز في الدفاع عن حقوق الفرد وصيانة بنيانها ، كما تتركز في الدفاع عن حق مشاركة الافراد في العمل ، عن الحقوق الديمقراطية . وهنا تطالعنا مشكلة عامة ، تنحصر

في أنه من الممكن أن يغدو التشييد والتطور والتقدم ، الناهض على أسس الحقوق الديمقراطية هذه ، حتى في ظل دولة برجوازية ، نقطة انطلاق لتحويل المجتمع البرجوازي الى مجتمع ديمقراطي ، على الرغم من أن شرعية الدولة الرأسمالية البرجوازية من حيث كونها شرعية ديمقراطية تبدو مصطبغة حتى الاعماق بالعقلية المناورة . حتى الاعماق ، من خلال كون المجتمع البرجوازي ، المجتمع الرأسمالي ، وحتى المجتمع الرأسمالي المتاخر ، يضمن في الواقع حقوق الافراد ساعيا الى وضعها في خدمة مصالحه كوسيلة من وسائل الاندماج في هذا المجتمع ، الا أنه لدى تأزم مشكلات محددة ، فهو لا يقوم بتعليق هذه القوانين متبعا طرقا مناورة ، بل يعمد عند الضرورة الى سلخ هذه القوانين وتجريد حقوق الافراد .

لوكاتش : أجل ، انها لمشكلة تبرز باستمرار لدى إجراء الحساب مع الستالينية ، وتبدو جلية في الفروق الماثلة بين أوضاع ثورية وأوضاع نلقاها في مجتمع مجمد . من الواضح ، أن ينطبق بالنسبة الى وضع ثوري ، قول **لينين** ، الذي أدلى به ذات مرة **لغوركي** ، عندما أبدى هذا الاخير شكواه ،من ان عملا جائرا قد حصل في مكان ما في البلاد ، فرد عليه **لينين** مبتسما « اذا تشاجر الناس في الحانة ، اني لك أن تثبت ، أي صفعة هي لازمة وايها ليست بلازمة ؟ » لهذا القول وقع ساخر نوعا ما ، بيد ان **لينين** لم يكن يسخر بقوله هذا . فان دارت الدوائر حول كفاح من أجل حياة أو موت ، وجود أو فناء ، ففي وسع طبقة من الطبقات ، تناضل من أجل كيانها ، أن تطرح جانبا وبصورة واعية أمورا معينة ، هي في أمس الحاجة اليها في الاحوال العادية ــ أمورا تتمثل صيغتها الشرعية في مرسوم Hebeas corpus (١) الصادر في انكلترا ــ والامر يختلف عندما نشاهد **لينين** يعمد الى تمديد هذه العملية ، عملية الطرح الى مراحل ، لا طائل تحتها . كان التروتسكيون والبوخاريون قد سحقوا سياسيا ، عندما ظهرت المحاكمات الكبرى على المسرح السياسي . ويمكن

---

(١) هو دستور الدولة الاساسي لعام ١٦٧٩ في انكلترا ، وينص على منع توقيف المواطنين الاعتباطي بدون مذكرة توقيف قانونية وعن حقوق الافراد . وهو تعبير لاتيني وتعني ملك و corpus وتعني الجسد . (المترجم) .

اطلاق قول **تاليران** Talleyrand « انها لأفظع من جريمة ، انه لخطأ قضائي »(٢) على هذه المحاكمات ايضا .

ونحن في هذه الآونة في وضع متجمد نسبيا ، لذا ما تدلي به لهو صائب تماما . ولا بد ان نستوعب ، انه ما ان تنطلق الشرارة ، التي تنذر بوقوع مخاطر حياتية حتى تتغير حال هـذه الامور . ولا بد الآن من التشديد بكل حدة على المهمة الواقعة على عاتق مثل تلك الحركة المضادة للعقلية المناورة ، خاصة وان البرجوازية ، ولا سيما البرجوازية الالمانية وحتى البرجوازية الاميركية يتملكها ميل الى صبغ المواقف ، التـي لم يسلط عليها سيف التهديد والخطر بعد ، بصبغة شعارات تنادي بها في مراحل الضيق كشعار « الخطر محدق بالوطن » . وبطرقي آنفا موضوع الممارسة القضائية ، هدفت الى أن اظهر ، أن الامر لا يدور حول تبيان الواقع الراهن للامور ، بل يدور حول تثبيت دعائم سلطة المحاكم لا غير . في هذا المضمار تطالعنا مجددا بعض مشكلات ، يتاح لنا انطلاقا منهـا الاقتراب من الناس من خلال معالجة المسائل معالجة تاريخيةملموسة. . .

آبندروت : . . . ويتضح على ضوء ما تقول ضرورة الكفاح الراهن بالنسبة لنا ، الكفاح الذي تدور رحاه في جمهورية المانيا الاتحادية حول الدفاع عن القانون الاساسي ومجابهة قوانين الطوارىء ـ بيد ان هـذه المشكلة تطالعنا بشكل مماثل في سلسلة من البلدان الاخرى ايضا ـ وهذا الكفاح سيفسح مجالا أمام تكوين جبهة متحدة عريضة يواكبها النجاح .

لوكاتش : في الواقع ، ان اصدار قانون الطوارىء ليس سوى تمهيد قانوني للاطاحـة كليا بالحقوق والحريات الديمقراطيـة ، التي تسيء البرجوازية استخدامها . هذا ولا يغرب عن بالك ـ وهذه سمة هامة من سمات التاريخ الالماني ـ أن **بسمارك** قد استعار من الغرب بمهارة بارعة للغاية ، صورا ديمقراطية معينة . . .

---

2 — « C'est plus qu'un crime , c'ust une Touke »

آبندروت : كالمساواة في حق الانتخاب بالنسبة للانتخابات العامة للمجلس التشريعي الالماني (رايخستاج) في الشمال لعام ١٨٦٧ ...

لوكاتش : ... المساواة في حق الانتخاب بدون ريب ، لكنه في الوقت ذاته اتجه الى جعل هذا الحق مشلولا تماما في المانيا . ان المظهر الاساسي الذي يعترض سبيلنا أبدا يمثل في أن رحى الكفاح دائرة حول ديمقراطية فعلية لا حول ديمقراطية على الورق . ذلك ان ديمقراطية الحبر على الورق ، تسود اليوم ، ويمكن أن يقال ، في العالم أجمع ؛ وحتى في العهد الستاليني وجدحق انتخاب سري على الورق وما تشاء من أمور . ولا بد اليوم من خلق شعارات ومنطلقات متبلورة لقلب ديمقراطية الحبر على الورق ، السائدة في كل حدب وصوب ، الى ديمقراطية فعلية .

آبندروت : بالضبط ! وهنا تتجلى لنا في هذه الفترة في جمهورية المانيا الاتحادية وبصورة ملموسة ، أهمية ربط نضالنا القائم على الدفاع عن القانون الاساسي ضد اصدار قانون الطوارىء بالنضال النقابي الهادف الى المشاركة في التقرير وبالتالي الى توسيع أفق الديمقراطية ابان المشاريع . ومن المفروغ منه ، أن كل نضال متعلق بالآخر موضوعيا ، ومن واجبنا ايجاد قاسم مشترك لسبل النضال هذه ، والعمل انطلاقا منه على خلق نواة مستقرة مترسخة ، قد تفسح مجالا لربط مشكلة الدفاع عن القوانين الاساسية ، المصطبغة بصبغة شعبية نسبيا ، لمشكلة عامة ، مشكلة صهر المجتمع ببوتقة الديمقراطية والانتقال بالتالي الى الاشتراكية .

لوكاتش : أجل ، الا انظر ، ان المسألة تأخذ هذه الصورة ، لا يمكن الدفاع عن الديمقراطية الفعلية الا في حالات متفرقة . ذلك أن ما من أحد سيعارض الشعارات العامة المنادية بالديمقراطية الفعلية ، أعني أننا لن نجد شخصا ، من **اديناور** Adenauer حتى **فيهنر** Wehner يقول : أريد نسف الديمقراطية الفعلية . لا بل سيصرح بأنه سيثبت دعائم الديمقراطية الفعلية اعتمادا على قوانين الطوارىء . فلا يدور الامر

اذا حول رفع شعارات عامة ، بل يتركز في الكشف عن التناقض الكامن في حياة الانسان ، كل انسان .

آبندروت : لكن يبدو ، في هذا الاطار ، الجانب الآخر للمشكلة كذلك . في الحقيقة ، لا ريب أن هذا النضال الهادف الى تحويل ديمقراطية الحبر على الورق ، هذي الديمقراطية التي يضمنها المجتمع البرجوازي في الظاهر ، الى ديمقراطية حقة تجعل الحقوق الديمقراطية نابضة بالحياة من أجل الجماهير العريضة ، ديمقراطية تحرر الجماهير العريضة ، وتحررها ثقافيا أيضا ، وتجعلها قادرة بالتالي على ادارة شؤونها بنفسها . وهذا النضال ليس سوى نضال هادف الى تحويل أشكال مجتمع الرأسمالية المتأخرة الى مجتمع يتسم بعلاقات اشتراكية.

لوكاتش : طبعا . وهنا تكمن مشكلة شيقة ، في وسع علم الاجتماع أن يساهم مساهمة فعالة في ايضاحها . ذلك أن الثورة الفرنسية الكبرى، في نظري ، قد طرحت مشكلة التناقض القائم بين المجتمع الرأسمالي الليبرالي والمجتمع الديمقراطي ، الذي لم يخطر سابقا في بال أحد . وبدا في مستهل القرن التاسع عشر أن انموذج البرجوازية الرأسمالية الليبرالية ، مهدد بشكل متصاعد من قبل الديمقراطية ، وانتشرت مسحة تشاؤم ، في وسعك درسها بكل دقة عند منظرين مرموقين مثل **توكفيل** Tocgueville او جون ستيوارت **ميل** Mill . ويظهر من جانب آخر النقد الديمقراطي الروسي : **بلينسكي** Belinski . **تشرنيشفسكي** Tschernischewsiki **ودبروليوبف** Dobroljubow . هؤلاء النقاد قد مثلوا الجانب الآخر بكل حزم وصلابة . والآن زالت حدة هذا الصراع نوعا ما ، أما الديمقراطية الاشتراكية فقد أساءت عمليا عرض ضرورة وجود ديمقراطية حقة كشرط لا بد منه للاشتراكية في المناخ الالماني . وفي هذا الاطار يقلل اليوم ، في نظري ، شأن الجانب الايجابي لفعالية **جوريس** Jaurés . ومع تطور علم الاجتماع الحديث تتطور أساليب المناورة الفنية بشتى الطرق وانطلاقا منها يغدو الوئام بين الليبرالية والديمقراطية داخل الايديولوجية البرجوازية في حيز الامكان . الا أن

وشائج هذا الوئام ستنقطع في اللحظة ، التي تنتهي الديمقراطية فيها من أن تكون ديمقراطية مناورة .

وأعتقد ، أن عرضا تاريخيا للمشكلة ، عرضا عادلا وصائبا ، ضمن اطار علاقته بالنضالات الطبقية في القرن التاسع عشر قد يساهم كل المساهمة في اقناع فئات من الشرائح المثقفة . لا بد من وضع حد لموجة احتقار القرن التاسع عشر ، التي كانت موضة العصر ردحا من الزمن . ذلك أن ماركس أيضا ينتمي الى القرن التاسع عشر ، فبدون تاريخ للقرن التاسع عشر تظل قضيتنا معلقة في الهواء . فعندما نقول ، أن عقلية مناورة قد نشأت بسبب التطور التقني ، علينا عندها أن نحذو حذو محطمي الآلات مجابهين التطور التقني لنقارع العقلية المناورة . وعندما نجد أن ذلك التقدم التقني لا يمثل سوى نهاية تطور اجتماعي شامل ضخم ، نابع من تناقضات الثورة الفرنسية الكبرى ، نشرف على موقف جديد من هذه المسائل . ان معالجة من هذا النوع لتاريخ الحركات الاجتماعية ولتاريخ العلوم الاجتماعية ستكون مهمة لها شأنها .

آبندروت : أجل ، وليس من قبيل الصدفة أن نجد ، أن اتجاهات المدرسة الوضعية الحديثة في علم الاجتماع ، وعلى كل أيضا متوازياتها النموذجية الرياضية في علم الاقتصاد ، تهدف الى ازالة الصبغة التاريخية عن المشكلات وتهدف بالتالي الى تغطية هذه المشكلات وحجبها .

لوكاتش : لا شك !

آبندروت : هو ذا الجانب المنهجي للقضية . واني أوافقك على أن واجبا رئيسيا من واجباتنا يكمن في هذا المضمار ، باعتبارنا علميين وباعتبارنا أيضا رسلا نحمل للمجتمع حصيلة العمل العلمي . الا أن للقضية جانبا سياسيا راهنا أيضا . فالتخلف البربري في المجتمع الروسي قبل اعلان ثورة اكتوبر الكبرى أدى الى مرور الثورة الروسية ، بمرحلة كان من الممكن حقا تجنبها ، مرحلة شكل الحكم الستاليني ، مع ذلك فان

هذه المرحلة كانت محددة بعوامل موضوعية ، فكانت محددة مثلا بضرورة حل مسألة التراكم الاولي ومكافحة الامية وتأهيل الجيل لاتباع نظام العمل الصناعي بعيدا عن الجو الراسمالي .

لوكاتش : اني متفق أساسا على ما تقول ، الا أن المشكلة الآن تنحصر بغض النظر عن ذلك ، في أن تشويها نظريا نشأ على ذلك الاساس ، وبغض النظر أيضا عن أن تصفية الستالينية ستقدم بعض العون الى الحركات الاوربية والاميركية . لذا فواجب الحركات الماركسية الغربية يتجلى في تسليط الاضواء على هذه الحقائق ووضعها نظريا وتاريخيا في مكانها الصحيح . ذلك أنه ، كان من الممكن سابقا ، تشويه مشكلات ما كل التشويه استنادا الى امور جد تافهة . لعلك تجيز لي أن أدلي بمثال بسيط مأخوذ من فكر ماركس العملي . لقد نقد **ماركس** جيمس **هيل** (Hill) ، لان هذا الاخير عدّ بيع السلع حركة أولية في ظل الراسمالية ، ولا ريب أننا اذا اعتبرنا الصيغة (بضاعة ــ نقد) صيغة منعزلة ، نجد عندها تحليل **هيل** ، بأن كل شراء هو بيع وكل بيع هو شراء ، تحليلا صائبا ، ويتحتم بالتالي وجود انسجام بين البيع والشراء . خلافا لذلك وضع **ماركس** ، في تناوله لهذه الفكرة ، بدلا من الصيغة (بضاعة ــ نقد) صيغة (بضاعة ــ نقد ــ بضاعة) . وينجم عن هذه الصيغة بينة مزعجة وهي أنّ تلقي المرء مالاً مقابل سلعته،لا يلزمه شراء سلع أخرى بالضرورة. ان الصيغة (بضاعة ــ نقد) تعطي نتيجة قائمة على الهوية ، أما الصيغة (بضاعة ــ نقد ــ بضاعة) فتعطي نتيجة جدلية . اني أدليت بهذا كمثال منهجي صرف . واني لمقتنع ، انه ان عقد العزم على اجراء تحليل واقعي للحقائق الاقتصادية والاجتماعية والحقائق الاخرى التي تلقب « بالذائعة عالميا » ، نلق سلسلة كاملة من الامور ، التي يمكن أن تنطبق عليها تلك الصيغة بحكم التغيير . ومقتنع أنه يقع على عاتق حركة ما تشق دربها رامية ، كما يذهب كل منا ، الى وضع أسس المهام العملية ، انجازا نظريا هائلا في هذا المضمار . الا تذكر،كيف أن مفهوم التحزب في ظل الستالينية قد اتخذ طابعا ساخرا كاريكاتوريا . فقد حلت هناك العقلية الموجهة لكافة التصريحات والخاضعة لرقابة بيروقراطية ، حلت في محل الربط ، اللازم

من الوجهة الانطولوجية ، للسيطرة الفكرية على الواقع بالتطبيق ، الذي لا يعني عند لينين ، ازديادا في المسؤولية الانسانية فحسب ، بل يعني ايضا ازديادا في الموضوعية . ولا عجب ، ان وجدنا ان تصدعا عميقا قد الم بايمان الناس المستائين من الراسمالية وبالقدرة الرائدة للنظرية الماركسية والقدرة الرائدة للتطبيق الاشتراكي . وليس من شيء يعيد هذه الثقة المتزعزعة ثانية الا اجراء تصفية مع الوسائل الستالينية أجمع، تصفية جذرية وشاملة ، نظرية وعملية على حد سواء . انني لا أتردى في مزالق التناقض مع ذاتي ، وان قلت سابقا ، انه لابد من أن نعمد الى تحريض الناس على التغلب على أساليب العقلية المناورة ، لكن هذا التحريض لن يكون له من أثر ، الا اذا استطعنا أن نبين نظريا أن الامر لا يتعلق هنا بسير مشؤوم لعملية اقتصادية او فنية اقتصاديا ، بل بأن ثمة عملية تأخذ مجراها وتوجه باسلوب محدد من قبل طبقة معينة ، وبأن هذا التوجيه المناور انما ينطلق من بدهيات ما ، ان عرضت على محك النقد والتمحيص ، لا تقوم لها قائمة كبدهيات مطلقا . وما أدليت بذلك المثال عن جيمس **هيل** الا لانه مثال يسهل فهمه وادراكه . واني لمقتنع ، أن علم الاقتصاد وعلم الاجتماع عندنا يعجان بمثل هذه الامثلة ، وان باب الامكان في هذا المجال مفتوح على مصراعيه امام النقد النظري والتحليل التاريخي لتأدية خدمات جلى . . .

آبندروت : لابد لنا من أن نخطو الخطوة الاولى لتحقيق هذا الهدف بدءاً من مشكلات جد ملموسة كمشكلة الديمقراطية مثلا . هكذا ندرك على سبيل المثال اهمية التحليل النظري لدى دراستنا ايديولوجية الحكم الكلياني(١) ، هذه الايديولية التي شيدت من قبل الطبقات المسيطرة في الغرب ، بدون اي التفات الى الخلفية التاريخية ، عامدة الى اعطاء هوية واحدة للستالينية والفاشية وذلك لخدمة مصالح هذه الطبقات . لكن هنا يبرز أمر آخر وهو أن النظرية ، التي نصفها ونقوم بتحليلها ، تحليلا

---

(١) نظام سياسي يقوم على حكم حزب واحد ، يرفض وجود اية معارضة منظمة ـ، ويسيطر سيطرة تامة كلية على جميع مظاهر الامة ووسائل الانتاج .

دقيقا علميـا وتاريخيا ، لا تتحول الى عنف يجتـاح الجماهير ، الا اذا انسجمت مع حاجات الجماهير الفعلية ، الا اذا لاءمت أيضا القدرة الفعلية لاستيعاب الجماهير المخاطبة . في هذه النقطة بالضبط يطالعنا جانب من جوانب مشكلة الديمقراطية . فمن صلب الصيغة التي تترجم الى واقع ، يمكننا أن نستمد أفضل عون لنا في كفاحنا الراهن .

لوكاتش : انني متفق معك على هذا الرأي . الا اني أود الاشارة الى علاقـة بنيوية ماثلة بـين النظرية والممارسة . اننا اذا اكتفينا بأن نحلم متسائلين ، اين سنلقى ذلك الظرف الفريد ، الذي سيحرك الجماهير بصورة مباشرة ، لن نلقى ذلك الظرف على الاطلاق . ولنخض غمـار بحث علمي شامل ولنقع على ثلاثين أو أربعين أو خمسين مشكلة كهذه المشكلات، لن نجد ضمن المشكلات الخمسين الا مشكلة واحدة ، قـد يكسب المرء الجماهير من خلالها . والاعتقاد بأننا بمجرد القاء نظرة عابرة على الاقتصاديات سنصطدم بلا عناء بهذه المشكلات المتوخاة والتي من شأنها تحويل قلق الجماهير وسخطهم الى حيز الممارسة ، لهو ، في رأيي ، وهم من الاوهام. لابد لنا من القيام بعمل علمي ضخم شامل ، ليأتي عندئذ من صفوفنا أو من غير صفوفنا ، ذلك السياسي ، الذي يدرك ، ان النقد رقم ٣٧ مناسب لتحريك الجماهير، والذي في وسعه أيضا تحويل وجهة الحركة الجماهيرية الى وجهة سياسية عملية . ان الشعارات القادرة على ايقاظ الجماهير لابد لها من ان تنبثق من تكاتف العلم والحياة ــ هذا يعني من صلب العملية الاقتصادية . اذ لا يغرب عن بالك ، أن ليس ثمة شعار من الشعارات ، التي قوّض لينين بها أركان الرأسمالية الروسية ، كان شعارا اشتراكيا، فوضع نهاية عاجلة للحرب ليس هو من الشعارات الاشتراكية وكذلك توزيع الاراضي . لكن كان لابد من أن يكون لينين منظرا بعيد الرؤية للغاية ليختار مثل هذه العوامل في اطار عوامل نقد المجتمع الرأسمالي شـبه الاقطاعي . في هذا الاتجاه تتمتع النظرية أيضا بأثر ناجح ، بما أن ثمة أشياء واشياء تحدث على صعيدها . والتاريخ يشهد ابدا ، ان جزءا ما من العمل النظري ، يصير الى لحظة ، تتفجر القضية انطلاقا منها . ومن المثير حقا ، كيف أن مجرد نظرية علمية بين النظريات ، كنظرية **غاليله**

مثلا ، ونظرية **داروين** ، بعدها بعدة قرون ، قد سببتا ـ ان صح القول ـ انفجارا « شبه سياسي » . لذا أرى أن القيام بعمل نظري متميز بالعمق والشمول يعد ، بالنسبة الى الممارسة ، شرطا لابد منه . لا أحد بيننا ، نحن الذين تشغلنا هذه المشكلات ، يستطيع أن يعلم بدقة ، أي شعار سيؤدي الى اشعال فتيل الانفجار في المقاومة المناوئة للعقلية المناورة . ولا يسعنا في هذا المجال الا أن نتلمس الدرب تلمسا ، محاولين نقل نتائج بحثنا الى الجماهير . ولا يسعنا مطلقا ، أن نحدد سلفا ، أي شعار سيكون بعدها الشعار المنشود الملائم .

آبندروت :

انني أشاطرك الرأي تماما ، الا ان ثمة صعوبة كبرى تعترضنا على هذا الصعيد . على الرغم من مرحلة الفساد الستالينية ، توجد ، ، ولا شك قاعدة **اجتماعية** في البلدان الاشتراكية من أجل عمل فكري واسع . وان لم تزل عنها مسحة التشويه بعد . ومن الممكن أن تتفرغ المواهب الفكرية للقيام بأعمال نظرية نقدية. بيد أن هذه البلدان الاشتراكية بالذات تفتقر كل الافتقار الى قاعدة **فكرية** تعمل على حل المشكلات ، ومرد هذا الافتقار هو المخلفات الستالينية وحصر البحث في المسائل الخاصة المتعلقة بهذه البلدان ليس الا. ونجد الحالة في البلدان الرأسمالية تختلف عنها في البلدان الاشتراكية ، ونجدها تبلغ ذروة حدتها في جمهورية ألمانيا الاتحادية . فالقاعدة الاجتماعية التي لا غنى عنها للقيام بنشاط فكري نقدي كنشاط نظري صرف هي ضيقة للغاية في هذه البلدان ولا يمكن الظفر بها الا عن طريق الصدفة . والحالة في الجمهورية الاتحادية أسوأ مما هي عليه في الولايات المتحدة .

لوكاتش :

اني أسلم بما تقول تماما . لكن لا تنسى أن هذا الوضع يتميز به كل مذهب رأسمالي . خذ مثلا الصورة التي رسمها **بلزاك** في روايته

« الاوهام الضائعة » لفرنسا في ذلك العصر ، وكيف أن الفئة التي التفت حول شخص **بلزاك** كانت فئة هزيلة وحيدة منعزلة ، حيث ان فسادها وانحلالها ، الذي يصفه **بلزاك** لنا بصورة رائعة ، يعد امرا منوطا بالادب والصحافة ، وكيف أن لونا من ألوان العقلية المناورة ينمو هناك فوق تربة رأسمالية ذلك العصر ، بأسلوب يختلف بالطبع عن اسلوب اليوم ، الا اذكر المقالات الثلاث التي كتبها لوسيان **دو روبانبره** (du Rubanpré) عن هذه الرواية في صحف عدة . . .

آبندروت :

اعرف امثلةعديدة مشابهة لها واقعة فيالجمهورية الاتحادية الالمانية . .

لوكاتش :

بدون ريب . . . وارى انه ينبغي الا تنسى ابدا ، أن الرأسمالية المناورة هي شكل جديد خاص تتبرقع به الرأسمالية ، بيد انه في الواقع شكل من أشكال الرأسمالية . وتخيلنا ، اننا نجد انفسنا نغوص في وضع غريب عنا تماما ، حيث يبدو القرن التاسع عشر في نظرنا بالنسبة اليه أشبه بمملكة مثالية للحرية ، او لست ادري كيف نتصوره ، لهو بالطبع تخيل سخيف لا جدوى فيه . عليك الا تحسبني من المؤمنين ايمانا أعمى بالعلم ، ان صرحت ، بأن اتساع افق البحوث العلمية هو بالتأكيد شرط لابد منه لتطور مضاد للرأسمالية . وينبغي ان يبذل جهد في المانيا ــ وهذا الجهد ولا شك يبذل جزئيا ــ في ميدان الاطلاع على النتائج التي توصلت اليها البلدان الاخرى . واذكر على سبيل المثال البحوث الهامة للغاية التي عرضها الاميركي الراحل س . رايت **ميلز** (Mills) مقدما نقدا بارعا عن العقلية الاميركية المناورة في مقاطع مختلفة .

آبندروت :

ومن المثير حقا ، عند س. **رايت ميلز** ، انه ابتدأ بنقده ، بادىء الامر ، انطلاقا من وجهة نظر ماكس **فيبر** (Weber) ، ولم ينطلق ابدا من

وجهة نظر **ماركس** ، ليجد نفسه في نهاية المطاف ينقاد الى المشكلة الحقة عبر النتائج التي أحرزها بنشاطه النقدي الشخصي .

لوكاتش :

أجل . وأعتقد ان اهتماما بالماركسية راح يتبلور تبلورا عفويا في أرجاء الولايات المتحدة . ومن المهم حقا الآن ، هو ان تفكر هذه الحركات ، التي هي واهنة القوى في كل بلد على حده ، تفكر بايجاد ارتباطات على الصعيد العالمي ، لذا ينبغي ترجمة أفضل المؤلفات التي تصدر في جميع انحاء العالم الى الالمانية ، سواء صدرت في بلدان اشتراكية او رأسمالية . وكنت أعني في الواقع في سياق حديثي السابق عن « هيئة الخبراء » ، أن الدعم الشامل للحركة بفضل علم يطمح الى الكشف عن الواقع الحقيقي كما هو ، لهو شرط لا غنى عنه . وبدون الاعتماد على علم جديد وبدون نقد العلوم القديمة ، انطلاقا من الفلسفة وانتهاء بالعلوم الاخرى ، لن تتمكن الحركة من الخروج من أسوار عزلتها الراهنة .

آبندروت :

اني أشاطرك الرأي . لكن علينا الا نغفل امر الصعوبات التي تعترضنا . ان ضرورة نشر العمل على الصعيد العالمي ، ولنقل ، ان ضرورة ايجاد اتصال فكري للخطوات الاولى في هذا الاتجاه ليبدو أكثر الحاحا ، لاننا نقف ازاء صعوبات أضخم بكثير من تلك الصعوبات التي واجهت ، على سبيل المثال ، تلك الحلقات الفكرية ، التي ارتكزت ، تابعة خطوات ماركس وانغلز في الاممية الاولى ومستهل الاممية الثانية ، على الحركة العمالية الناشئة آنذاك . ذلك أننا نواجه اليوم مشكلات أشد تعقيدا مما مضى ، ونواجه معالجة مواد موضوعات أوسع بكثير مما تطلب الامر في السابق .

لوكاتش :

هذا كله صحيح . بيد أني لن أحذو حذوك وأقارن الوضع التاريخي

بوضع **ماركس انغلز** ، اذ عليك الا تنسى ، ان الاضرابات الكبرى كانت تجتاح الافق العمالي الفرنسي وبدايات الحركة الشارترية كانت قائمة على قدم وساق في انكلترا ، عندما ظهر كل من **ماركس وانغلز** . لابد لنا من ان نقارن ، جوهريا ، حالتنا اليوم ، بالوضع الذي وجد فيه **فوريه** (Fourier) أو **سيسموندي** (Sismondi) في مستهل القرن التاسع عشر . وليس في وسعنا ان نخطو خطوات واقعية ، مالم ندرك ، أننا نمر في ذلك الوضع ، وان السبيل ـ لا شك تفهم ما أعنيه ـ السبيل الصاعد من **فوريه** الى **ماركس** ، نظريا وعمليا ، لازال مهمة من مهمات المستقبل . في « ١٨ برومر » قارن **ماركس** روعة الثورة البرجوازية بالثورة البروليتارية ، واضاف ، بان النقد الذاتي يشكل جوهر الثورة البروليتارية وان من واجب الثورات البروليتارية العودة الى مراحلها السابقة واجراء نقد ذاتي عميق صارم لا يرحم ، لنتجنب الوقوع في الاخطاء المرتكبة . وارى ان من المثير حقا ، أن الستالينية قد انفقت جهدا هائلا في مضمار النقد الذاتي ، ويفتقر النقد الستاليني بالطبع الى ما قاله **ماركس** عن النقد الذاتي كل الافتقار ، ولا مناص له من أن يفتقر الى ذلك . لا شك انك على بنية مما أرمي اليه ، من انه يتوجب علينا الوصول الى رؤية الوضع الذي نحن فيه اليوم ، الى رؤية خالية من الاوهام ، كي يتسع أمامنا المجال لننجز بواقعية ، ما يمكن انجازه اليوم بواقعية . بهذا الصدد ينبغي الا نحط اليوم ـ وأشدد على كلمة اليوم ـ من الاهمية المقبلة المتوقعة ، التي قد تتسم بها النتائج النظرية ، التي لا يمكن نقلها بعد الى الجماهير . وأعتقد ، أنه ليس تناقضا ، ان قلت ، ان حركة من ذلك النوع ، حركة مضادة للعقلية المناورة ، ترفع راية الديمقراطية الحقة ، قد تحكم على نفسها بالشلل من خلال نزعتها المفرطة الى التطبيق العملي . وان الطاقة الكامنة في المعارف النظرية لا تقدر حق قدرها على الاطلاق . كنا قد قلنا آنفا على سبيل المثال حول موضوع نفوذ حركات دينية لازالت قائمة ، بأنه لابد من اجراء توضيح نظري في هذا المضمار ، على أن يكون توضيحا نظريا فلسفيا حقا ، وبأنه ليس من الممكن نظريا ، التسليم

(*) برومر هو شهر الضباب أو الشهر الثاني في تقويم الثورة الفرنسية .

بظواهر الازمة الحالية وتقبلها بكل بساطة . اني ادلل في هذا المجال ثانية على مثال **غارودي ـ تيلاردي شاردان** . وهذا مثال يولد نزعة وهمية لا يمكن ان تخرج بشيء ، في حين انه من الممكن حقا ، من خلال نقد شديد ومن خلال تحليل فلسفي حق لما يجري مثلا في الكنيسة البروتستانتية من ازالة الصبغة الميثولوجية Demy tholoqisation) عن الاسرار ، من الممكن مزاولة اثر بالغ في الافراد بادىء الامر ثم في شرائح كاملة من الناس. والتمهيد لمثل هذه الحركة لهو واجب يقع على عاتقنا اليوم . لا اظنك تسيء فهمي ، فأنا أرمي من وراء ذلك ، الى انه يتحتم علينا انتهاز كل فرصة ممكنة ، لكن من جهة اخرى ، ينبغي ايضا الا نحط من اهمية البحث النظري المجرد بالنسبة الى الحركة ، ونتردى في هوة الخطأ ظانين ان البحث النظري «كمية مهملة» . ومن المفروغ منه أن ليس كل عامل اشتراكي قد طالع كل ما كتبه ماركس ، وليس كل عامل قد استوعب نظريته في فضل القيمة برمتها ، بيد أني أعتقد ، أن الحركات الالمانية والفرنسية والايطالية لم تكن لتبرز مطلقا الى الوجود ما لم ينشر كتاب « راس المال »، وأن ثمة علاقات معقدة للغاية قائمة ، وأن ترسيخ الاسس النظرية أيضا من أجل هذه الحركة ، التي لعلي أقول ، نحلم بها ، انت وانا ، له أهمية بالغة .

آبندروت :

شكرا لك ، خاصة بالنسبة الى النتيجة التي استخلصتها في النهاية. لكن المهم في سعينا ، هو تحويل الحلم الى واقع .

لوكاتش :

طبعا ، طبعا ...

آبندروت : وهذا يتطلب جهدا فكريا هائلا ، جهدا فكريا مبنيا على اساس متابعة أفكار **ماركس وانغلز ولينين** . ولابد لنا من خلق وعي تاريخي بالهوية الخاصة بنا في غمار اللاهوية .

لوكاتش :

ولابد من ايقاظ الوعي بالتاريخ ـ وهذا بالطبع أمر صعب للغاية ـ لدى المفكرين ولدى سواد الجماهير ، لان العقلية المناورة ، كما وصفتها أنت بكل دقة ، استنادا الى الوعي المأساوي وظاهرات أخرى مماثلة ، تجعل المرء ينقاد أبدا ، الى اعتبار **حالات الاشياء** شكلا نهائيا من اشكال الوجود الانطولوجي ، في حين أن شكل الوجود الانطولوجي الحقيقي يتمثل في **العملية** . وان درست تحليل الظاهرة وتحليل الجوهر عند **ماركس** ، تجد أن ماهو أساسي في الظاهرة هو ان العملية قد اختفت من ساحتها . وقد بين **ماركس** مرارا لدى تحدثه عن النقد وعن مشكلات أخرى ، بأن الناس (ولاستعمل تعبيرا معاصرا) يناورون بمهارة بهذه الاشياء ، مع أنهم قد حولوا العملية الحقة الى حالة متسمة بالتشييىء . ان قسطا كبيرا من مساعينا ينبغي أن يظهر على الصعيد العملي أولا ، بأن جميع الظاهرات وحالات الاشياء ، وجميع الوان التشييء[1] ، ان هي سوى أشكال ظهور العمليات الواقعية . على هذا سنحمل الناس تدريجيا على أن يفهموا ، أن من واجبهم قضاء حياتهم الخاصة أيضا وكأنها عملية تاريخية . انه لامر بالغ الصعوبة ، لكني أعتقد أن تحقيقه ممكن في المستقبل .

★ ★ ★

(١) (Verdinglichuug) في ظل الاغتراب ، بسبب العلاقات الانتاجية يغدو الانسان سلعة في محلات بيع كبرى ، يغدو شيئا ، والصلات الاجتماعية بسبب الاستغلال تاخذ طابع صلات تشيئيه . (المترجم)

الحديث الرابع

جورج لوكاتش ـ فولفغانغ آبندروت ـ هانس هاينز هولتز

استنتاجات مؤقتة

هولتز :

أيها السيد لوكاتش ، لقد عالجنا في الايام الماضية مشكلات متعددة ومن أوجه مختلفة ، مشكلات لها علاقة وثيقة بأسس نظرتك الفلسفية ، ويشمل افقها وضع أسس انطولوجيا الوجود الاجتماعي ويمتد ليلامس المسائل الراهنة المتعلقة بتحقيق التاريخ في الحاضر السياسي .

وقد تعرضنا في هذه المناسبة لمسائل عديدة ، وربما لا يبقى امامنا ، بما أن مجلسك يضمنا اليوم سوية للمرة الاخيرة ، الا أن نسلط ضوءا على تلك الامور التي نوهنا بها في الايام المنصرمة ، لكننا لم نتوصل بعد الى صقلها وبلورتها . في سياق الاحاديث التي تجاذبناها سوية ، بدت لي مسألة هامة ، راودت ذهني كمشكلة باستمرار ، وهذه المسألة هي : كيف علينا أن ننظر ضمن اطار النظرة التاريخية الماركسية ، التي تقتصر على الحتميات الموضوعية في خضم العملية التاريخية ، كيف علينا ان ننظر ، في الوقت ذاته ، الى مشكلة الحرية بجانبها الذاتي ، اي مشكلة الامكان ، مشكلة المجال المتروك لامكانية موضوعية على صعيد الامور الاجتماعية ؟ واعتقد أن دراساتك تحتوي على أفكار رائدة وتشرف على آفاق محددة في هذا المجال .

لوكاتش :

أجل ، الا اني اعتقد انه يتوجب علينا ان نفسر آراء **ماركس** في هـذه النقطة أيضا تفسيرا موضوعيا . اعتقد ان الصعوبة الكبرى تكمن في ان الماركسية تصف بعض خطوط اساسية ماثلة في العملية التاريخية من جهة ، وتقول بأن هذه الخطوط الاساسية تتسم بأثر ، له اتجاه محدد ، بشكل مستقل عما يريده أو يتوخاه الانسان الفاعل . ومن جهة ثانية ، فما يتضمنه جوهر الماركسية كذلك قولها بأن القرارات المبنية على الخيار الحر ، المتخذة من قبل الطبقات والشعوب ، وحتى تلك التي يتخذها الافراد في بعض الاحوال ، تقوم بدور حاسم في التاريخ . قد ينشأ من جراء ذلك نزعة نحو الارادية(١) ، نزعة تمتد من الارادية الفوضوية الى الارادية البيروقراطية ، التي سادت في المرحلة الستالينية، أو ينشأ ، من جهة ثانية ، ميل جارف نحو الحتمية الالية ، التي انتشرت ايما انتشار في الاممية الثانية مثلا . واعتقد الان ، على نقيض ما جاء به منظرو تلك المرحلة ، التي نجد فيها ثنائية متجلية نوعا ما عند **بليخانوف** (Plechanow) : حتمية الاقتصاد وضربا من ضروب القرارات القائمة على الخيار الحر في الميدان الايديولوجي ، بحيث يمكن هنا مراقبة حركة مزدوجة في الاقتصاد . ومن المؤكد ، أنك لمست من خلال عرضي السابق، ان الاقتصاد يتكون من اصطفاءات غائية تصدر عن الافراد ، وهـذه الاصطفاءات تمثل ، من الوجهة الصحيحة ، قرارات قائمة على الخيار الحر في ميدان أي فعل اقتصادي ، حتى اذا تعلق الامر بقرارات تكنولوجية حاسمة تتخذ في عملية الانتاج أو تعلق الامر بشراء هـذه البضاعة او تلك ، ان ميدان اتخاذ القرارات هذه ينفذ في الاقتصاد برمته من جانب لآخر والان أعتقد انه بوسعي ان أجزم استنادا الى دراستي الخاصة للموضوع واستنادا الى دراسة **ماركس** ، بأنه يمكن القول ان ثمة ثلاثة عوامل معقدة ديناميكية كبرى تأخذ مجراها بلا انقطاع في سياق

---

(١) (Voluutarismus) مذهب يجعل الارادة تتدخل في كل حكم وبامكانها ان تعلق كل حكم .

تطور البشرية ، بشكل مستقل عما يريده حاملو هذا التطور . وتبدو هذه العوامل للوهلة الاولى بسيطة واولية للغاية .

يتمثل العامل الاول في ان كمية العمل اللازمة لتجديد نشاط الانسان فيزيائيا هي كمية آخذة بالتناقص باستمرار . ان ما كان يشغل الانسان البدائي طوال حياته هو اهتمامه بتجديد نشاطه الفيزيائي . ومن الواضح اننا نجد اليوم بالمقابل ، ان تجديد نشاط حياته الفيزيائية الساذجة يمثل قسطا زهيدا من عمل المجتمع . بيد اننا ان تأملنا في التاريخ نقع على فواصل بالغة الاهمية ماثلة في سياق هذه العملية . اننا نجد مثلا ان ظاهرة الرق لم تظهر بدلا من قتل سجناء الحرب او حتى عوضا عن اكلهم الادمية(١) الا عندما اضحى في وسع العبد ان ينتج اكثر مما هو بحاجة ماسة اليه لتجديد نشاطه الجسماني . وقبلها كانت اعالة الارقاء ضربا من المحال ، ولم يتبع احد هذا السبيل آنذاك بالطبع . والان أرى ، أن ثمة في هذا الاتجاه تطورا ديناميكيا مستمرا يمتد من العصر الحجري القديم حتى يومنا هذا . ولا يسعنا ان نقرر بعد ان كان مجرى التطور هذا مستقيما أم لا . قد يمثل هذا ، حسب رأيي ، عاملا من عوامل الحتمية التاريخية .

ويكمن العامل الثاني في انه في سياق العمل البدائي تظل المعطيات الطبيعية مسيطرة . واذ افكر الان في العصر الحجري البدائي ، يراود ذهني أن طريقة انتقاء الحجارة تمثل منطلق العمل ، وبدءا من هذا المنطلق يتم تطور يتخذ العمل فيه وتقسيم العمل الناجم عن العمل وكل ما يتبع ذلك ، طابعا يزداد اجتماعية تدريجيا . هذا يعني ، أن المقولات الاجتماعية تكوّن شيئا فشيئا طبقة تزداد متانة ، طبقة تتعالى على وجود الانسان الفيزيولوجي ، حتى أنها تحول هذا الوجود . اظن انك تذكر ، أن ماركس قد قال مرة باتقان : الجوع هو الجوع . بيد أن اسكات الجوع باللحم المطهي وبواسطة السكين والشوكة ليختلف جدا

---

(١) (Kaunibolismws) اكلة لحم البشر ، الادمية . !؟

عن اسكاته بتمزيق اللحم النيء . وخاصة لدى تأملنا في الوان اشباعات الحاجات الفيزيولوجية الاساسية واعني بها الغذاء والجنس ، بوسعنا أن ندرس بأفضل الطرق ، مدى الطابع الاجتماعي ، الذي تتخذه هذه الوظائف البشرية . وهذا ما يدعوه **ماركس** تراجع الحواجز الطبيعية ، ولا نغفل أن نقطة تراجع لا غنى عنها ، ذلك أن الحواجز الطبيعية لا يمكن أن تنهار كليا استنادا الى الحقيقة التي تقول ان الانسان كائن محدد فيزيولوجيا . لا أحد بالطبع سينكر ، ان مثل هذا التطور قائم على قدم وساق ، ان تأملنا في التطور الحاصل من انسان يسير على القدمين الى صنع الطائرات . وانه لمن الواضح ، أن تلك العملية التي تمر بالانسانية تجري بشكل مستقل ، عما يراد . وثمة في التاريخ مراحل هامة جدا ، نجد فيها أن أشخاصا لا حصر لهم كما نجد الطبقات السائدة فيها سعوا الى ايقاف حركة التطور ، كما هي الحال في أيام أثينا الاخيرة وفي بعض مراحل العصر الوسيط وفي مرحلة الاصلاح التي تبعت الثورة الفرنسية وغيرها .. ومن المهم هنا خاصة أن نشير الى أنه ليس من الممكن وقف حركة هذا التطور . ذلك أنه من المؤكد ، أن حركة تطور مستمر لا تتم في خضم المشكلات التي تعتري البنية الفوقية ، انما تتم ويمكن القول ــ في سياق صهر المجتمع صهرا واقعيا في بوتقة اجتماعية .

والعامل الثالث ، الذي يرتبط بالعامل الثاني ارتباطا وثيقا ، يتمثل في العملية المتزايدة لتوحيد المجتمعات . وارى أن القبائل البدائية كانت مكونة من جماعات قليلة ، والا ما كان في وسعها البقاء في الوجود . وانطلاقا من هنا أخذ التطور مجراه عبر بلاد الاغريق وروما والعصر الوسيط وهكذا ... حتى أنه أوجد في السوق العالمية أسسا اقتصادية في سبيل بشرية موحدة . ولا يقتضي الامر الا أن تذكر ، ان ثمة حضارة شعت ــ هذا اذا تأملنا في التاريخ القديم ــ على شواطىء البحر المتوسط في الشرق الهيليني حتى روما . في الوقت ذاته وجدت حضارة مرموقة في الصين . بيد أنه لم يك بين هاتين الحضارتين ــ ويمكن أن يقال ــ أي اتصال على الاطلاق ، بينما نجد اليوم أنه ليس من حديث يحصل في ابعد زاوية من زوايا افريقيا وينقضي دون أن يترك اثرا ما في نمط

حياة عامل الماني مثلا ، وان لم يكن هذا الاثر ملموسا دوما بصورةمباشرة. ان عملية التوحيد هذه تتم بصورة حتمية ، وعلينا أن نكون على بينة بهذا الصدد وبصورة خاصة ، من أن استجابات البشر لهذا التوحيد والتكامل لا يعد مطلقا نتيجة مباشرة لعملهم الواعي . فالامر لا يتعلق بأن هؤلاء الناس لو خيروا ، لقبلوا بشكل من الاشكال هذا التطور بصورة واعية ، ذلك أننا نجد أن الخطوات الاولى الجزئية التي بذلت لوحدة بلاد الاغريق قد اسفرت عن صراع مرير عنيف نشب بين مختلف حكومات المدن . ومن المعروف أن عمليات التوحيد والتكامل اللاحقة لم تع ذاتها الا في وقت متأخر نسبيا . الا فكر في السبل المتبعة لتوحيد الامم الحديثة ، التي لم تنل وحدتها الا بعد كفاح مرير رفعت لواءه ضد الاقطاعية والاقليمية الاقطاعية . ونشاهد حتى الان نقاط ضعف في التاريخ الالماني تتمثل في أن هذا الكفاح لم يندلع على الارض الالمانية بمثل القوة التي اندلع فيها في فرنسا او انكلترا . ولدى تأملنا الان في هذه الوحدة العالمية، نلمس أنها تقوم على مجموعة من ثورات ، وثورات مضادة ، فهي تكمن مثلا في تمرد البيض على الزنوج والزنوج على البيض في الولايات المتحدة. بهذه المناسبة علينا الا يغرب عن بالنا ، أن هذه التناقضات ، في عصر أقل ملاءمة للوحدة ، عصر سيادة الرقيق في جنوب الولايات المتحدة ، لم تبلغ مطلقا . الحدة ، التي بلغتها اليوم . بيد أن الانعكاس الايديولوجي للتناقضات يغدو ، بازدياد حدة هذه التناقضات ، يغدو هو ذاته عملية توحيد لا تقهر ولا تقاوم . وفي خضم هذه الامور أؤكد على أن الامر لا يتعلق بحصيلة نشاط موحد يقوم به البشر ، وبكونهم على وعي تام ، بأن الناس يطمحون نحو تحقيق انسانية متكاملة موحدة ، كما كانت تطمح مثلا في بعض المراحل ، اتجاهات معينة في المدرسة الرواقية في العهد الروماني ، بل بالاحرى أوكد على أن ثمة عملية توحيد مستمرة ، عملية لها بالطبع ممثلوها الايديولوجيون ، لكنها تشق سبيلها على صورة تناقضات حادة ــ تناقضات تزداد حدتها بالتوحيد والتكامل ــ حتى اننا نجدها تفرض ذاتها باتجاه معاكس لارادة الناس ، أرى أنه في وسعنا التأكد على الصعيد الموضوعي الاقتصادي ، من وجود هذه الميول الضخمة

الثلاثة ، التي يمكن النظر اليها على أنها ضرورية . ويتوافق والتطور التاريخي ، أننا نستطيع التثبت من وجود هذه الحتميات على نحو تجريبي وبمنتهى البساطة ـ ولا أود مطلقا استنتاجها استنتاجا منطقيا او غيره ـ اذا اعتبرناها حتميات تاريخية . والان نجد أن ثمة علاقةجدلية ماثلة بين جوهر التطور الاقتصادي هذا وبين عالم الظاهرات ـ حيث اني استعمل لفظة عالم الظاهرات بالمعنى الهيغلي ، الذاهب الى استيعاب الظاهرة كواقع ايضا ، وليس بالمعنى الكانطي ، الذاهب الى أن الظاهرة شيء ما ، يكونه الانسان مقابل مفهوم الشيء في ذاته . وثمة في عالم الظاهرات مد وجزر لا يكلان ولا يهدآن وتأثيرات متبادلة ، ذلك اني عندما تحدثت عن الجوهر ، غضضت النظر عن مختلف الصور ، التي يظهر الشيء فيها ، غير غافل عن أن الظاهرة قد تكون شيئا مخالفا تماما ، حتى وان وجدت في صلب العملية ذاتها . وكي أبتعد عن التعقيد وابسط القول ، الا فكر فقط في النزاع الذي حصل بين أثينا وسبارطة في العهد القديم ، وفكر في التناقض الذي طرأ على تطور الراسمالية في انكلترا وفرنسا . اذاً ـ فلنقل ـ انه لمن الواضح في سياق تطور الراسمالية ، ان الامر دار على الصعيد الاقتصادي حول التطور ذاته ، وعلى الرغم من ذلك ـ واود أن أشدد هنا على البقاء على الصعيد الاقتصادي ـ فقد أبادت الراسمالية الانكليزية مثلا ملكية الاراضي المجزأة التي كانت في حوزة الحرس الوطني ، الذي كان قد حمل لواء الكفاح في سبيل الثورة ابان اندلاع الثورة الانكليزية ، بعد انقضاء قرن من الزمن على تلك الثورة، في حين نجد أن الثورة الفرنسية أوجدت في الواقع من الفلاحين طبقة ملاكين صغار ، لا تزال موجودة حتى اليوم . أرى بالتالي ، أن قانون حتمية التطور الراسمالي يتخذ على الصعيد الاقتصادي ـ واود ان أوكد هنا على لفظة اقتصادي ـ وفي بلدين راسماليين جد هامين . كانكلترا وفرنسا صور ظاهرات مختلفة بينهما كل الاختلاف هذا مع عدم التعرض للحديث عن الاشكال الايديولوجية .

هولتز :

بيد أن أشكال الظاهرات المختلفة هذه مبنية مع ذلك على أسس ضرورية دوما .

لوكاتش :

ان اشكال الاختلاف في كل من هذين البلدين تقوم على أسس نابعة من التطور الجوهري نفسه . بيد أن كل تطور جوهري يحصل في التاريخ يحصل بصورة ملموسة وفريدة في نوعها ، على هذا تتخذ ظاهرة من ظاهرات التطور ، في الوقت نفسه وفي المرحلة التطورية ذاتها سمات جد متباينة . وأرى انه يتوجب علينا في هذا الاطار أن نميز تمييزا انطولوجيا وفي صلب الاقتصاد ، بين الجزء الجوهري وعالم الظاهرات . لقد أحسن **هيغل** عندما قال ، ان الجوهر هو عبارة عن شكل مستقر للظاهرة . في ودي اعتبار الشكل المستقر مصوغا صياغة من مستوى نظرية المعرفة ، لذلك ينطوي فيه على نحو خفي ، جد خفي على شيء من المحرك الساكن، هذا المفهوم الذي نادى به أرسطو . اذا شئنا التعبير عن هذه المسألة في اطار المصطلحات الجذرية الجديدة المتعلقة بالانطولوجيا ، فلا بد من الذهاب الى أن الامر يدور في هذا المقام حول قبول لا مفر منه للعملية ذاتها ، خلافا لتعارضها المعنوي المتنوع في مظاهرها .

هولتز :

في صميم أشكال الظاهرات تبرز كذلك المصادفة .

لوكاتش :

أجل ، طبعا . وفي هذا المجال تبرز ، كما أرى ، الاثار المتبادلة المعقدة مع الطبيعة ، حيث نجد بالطبع مجددا ، أن البرهة الاقتصادية الاجتماعية هي البرهة السائدة ، ان علم الاقتصاد يقرر فيما اذا كانت

القوة الطبيعية عاملا طبيعيا مشجعا أو معوقا في الميـدان الاقتصادي . ويتعلق الامر بالانتاج ولا يتعلق بالفحم ، ان كان ثراء بلد من البلدانيقيم للفحم وزنا اساسيا أم لا . سيان اكانت البلد غنية أم فقيرة لا يحـدد انطلاقا من الفحم ، وانما يحدد الامر انطلاقا من القيمة التي تسبغ علـى الفحم . وما يحدد هذه درجة التطور الاقتصادية ـ الاجتماعية التـي بلغتها البلد . في مقدورنا ملاحظة هذا اليوم ، حيث يقل استعمال الفحم .

هولتز :

اجـل

لوكاتش :

بعد أن ساد الفحم مدة مئتي أو ثلاثمئة عام يتوقف ثراء بلد ما بالفحم عن أن يكون عاملا حاسما في الميدان الاقتصادي ، ويستحيل الى عائـق كما تلمسون هذا اليوم في مقاطعة الرور .

آبندروت :

على هذا أود أن أدلي بملاحظة نصفهـا اعتراض ونصفهـا تكملة . باستطاعة المعطيات الطبيعية أن تتسم بقيمة كبـرى في مستهل تكويـن المجتمعات البشرية وذلك لنشاطها المثمر . فكما هو الامر بالنسبةللحاجز الطبيعي الذي نجده يتقهقر بعامة بفضل عمل الانسان المثمر كذلكبالنسبة لارتباط الاقتصاد بالمعطيات الطبيعية البسيطة ، ولتكن في هـذا المقام مخازن الفحم المدخرة . ان وجود أي احتياطي مدخر في الطبيعة ، وليكن الفحم في مثالنا ، كان بامكانـه ويمكن أن يشكل دافعا في تطويـر عملية ملموسة انطلاقا من الصور الظاهرة لعملية تكويـن الانسان الاجتماعي باكملها بفضل العمل المثمر ..

لوكاتش :

من المفروغ منـه ..

آبندروت :

. . . ليفتقد في زمن لاحق قيمته اكثر فاكثر . ان هيمنة الاقتصاد في مضمار هذه العملية هي اذاً في مستهلها اقل بكثير مما في نهايتها .

لوكاتش :

هذا ممكن . لكن على اي حال ، انها اسباب اقتصادية التي اسبغت على الفحم قيمة . وهي أسباب اقتصادية صرفة ، بحيث ان الامر لايدور اساسا حول مشكلة تكنولوجية ، انما يدور حول رخص كبير في أسعار البترول ، الذي يزاحم الفحم . من الوجهة التكنولوجية بامكان جميع المعامل أن تستخدم الفحم ، لكن بما أن البترول أرخص منه (لا يحضرني الكلام بلغة الارقام) لذلك فانه يزاحمه . وهكذا لا نجد في الواقع صراعا بين قوى طبيعية بعضها ضد بعض ، انما نجد ان القوى الطبيعية غدت كاحجار الشطرنج ينقل امكنتها الاقتصاد السلعي هنا وهناك ، الرخيص يطرد الغالي .

آبندروت :

دون أدنى شك . لكن في هذا المضمار يقوم هذا العامل بدوره وهو أن اضفاء العامل الاجتماعي على عملية الانتاج يقهقر العامل الطبيعي بما أنه شرط من شروط هذه العملية .

لوكاتش :

الا اني اعتقد ، اننا اذا عمدنا الى تحليل هذه الامور ، ولنقل الانتقال من مرحلة العصر البرونزي الى مرحلة العصر الحديدي ، سنجد في نهاية المطاف هيمنة الاقتصاد ذاتها كما نجدها اليوم . لكن ، وانا متفق معك في هذه النقطة ، بمقياس تصاعدي كمي . وما يمكننا ملاحظته في الميدان الاجتماعي الايديولوجي كذلك الامر ، هو أن الحاجز الطبيعي في هذا الميدان

يتقهقر شيئا فشيئا متخذا أشكال مغامرة ، بحيث أن بعض الفلاسفة يرون ان المكان غدا أصغر والزمن أسرع وهكذا ... وهذا ليس سوى تفسير هذه العملية تفسيرا ايديولوجيا ، أود أن اعاود النظر وأقول بأن هذه العملية التي لا تقاوم تجري في عالم الظاهرات في شكل غير منسجم ، حيث ، تبعا لمبدأ الصهر في بوتقة اجتماعية ، تتوضع على هذه الشريحة الاقتصادية بنية فوقية تزداد اتساعا . أرى أن من المفروغ منه ، انه طالما تستهلك جماعة بشرية صغيرة ما تنتجه ، بامكاننا أن نكتفي على الصعيد الايديولوجي بالتقاليد وذكريات الاسلاف . لكن ما أن تلوح تجارة السلع ، وهذا لا بد من ظهوره بمجرد وجود ازدياد كمي للانتاج ، في البدء في الاماكن المجاورة لهذه العشائر الصغيرة ، ثم في احضان هذه العشائر ذاتها ، نجد أن تجارة السلع قد جلبت معها بالضرورة نظاما قانونيا . أرى بأن هذا ليس سوى مثال على تعقد عالم الظاهرات ، الذي ينبثق بالضرورة من المبادىء الثلاث ويجلب معه أيضا البنية الفوقية ، وينهض من خلال ذلك الان ، فوق هذا الجوهر المستقر ـ بحسب التعبير الهيغلي ـ الذي هو في الواقع ليس سوى حركة جلية للجوهر ، عالم ظاهرات معقد متعدد الجوانب متعدد الاشكال ، حيث الاصطفاءات الغائية المتباينة ليست بالتأكيد حاسمة على الاطلاق في مضماره ، لكنها تقوم بدور كبير لا يقارن . فمن الضروري من الوجهة الاقتصادية اذاً ، بفضل نمو القوى المنتجة ، ان ينهار عهد العبودية ويظهر عوضا عنه عمل القنانة الاقطاعي ، لكن التساؤل عن الاشكال التي اتخذتها القنانة في مختلف البلدان يتعلق بالصور المتباينة لنشاط الانسان المعني ، حيث انني لا أود الان خوض تفاصيل هذا الموضوع ، لانه عندها نصل الى حديث متعدد الالوان ، نصل الى ما قاله ماركس بصواب ، بأن البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم ، لكن في ظروف لا يختارونها بأنفسهم ، حيث أن القوانين الاقتصادية ـ جوهر الاقتصاد الذي تحدثت عنه سابقا ـ تنتسب الى هذه الظروف التي لا نختارها بأنفسنا . بحيث أننا في غمار تطور المجتمع هذا نشيد هذه المراتب فوق قطب انطلاقا من تطور اجتماعي جوهري لا يقاوم ، في وسع الشعوب المختلفة اشادة الاشكال المختلفة ، بامكاننا

التفكير في التمييز العنصري السائد في جنوب افريقيا ، الا أنه من المؤكد أنه سيشرق فجر يوم تتكامل فيه البشرية اجمع ، الا انه ليس من المؤكد ، والان آتي على ذكر المسألة الحاسمة ، اي شكل سيتخذه هذا التكامل . وفي هذا المقام يطالعنا السؤال الهام الذي يعد في نظري سؤالا حاسما لفهم الماركسية : أنستوعب الاشتراكية كحصيلة ضرورية للجوهر لاتقاوم، أم نعتقد ان التطور الجوهري لا يحقق الا هذه الاتجاهات الاساسية التي تعد الامكانية الاقتصادية للاشتراكية معطاة من خلالها . في هذا المقام أظن ، بأنني افسر ماركس تفسيرا صائبا ، ذلك انه حتى في الكتابات السياسية ، في البيان الشيوعي يستوعب صراع الطبقات دوما كتخيير بين أمرين . وارى اذاً ان التطور الاقتصادي لا يوجد الا الشروط اللازمة في سبيل انتصار الاشتراكية . وارى ان الامر لا يدور عند ماركس حول ملاحظة عابرة في « البيان الشيوعي » بل انه من الممكن ان يستشف المرء بأن **ماركس** يذكر في « نقد برنامج غوتا » ، كشرط من شروط الشيوعية ، أن العمل لابد ان ينتهي أمر صبغته بصبغة الارغام ، ولابد له ان يستحيل الى حاجة حياتية اولية . ان تطور العمل الموضوعي الصرف يوجد في الواقع حدا ادنى من العمل الحتمي يتضاءل باستمرار . لكن لا يقع في مضمار هذه الانطولوجيا بان يكون في وسع هذا التطور أن يحول العمل الى حاجة حياتية . لا بد للناس بالاحرى ان يجعلوا من العمل ، في مرحلة من المراحل ، ضرورة حياتية .

هولتز :

وهنالك في الوقت ذاته موضوع في الجزء الثالث من الراسمال . . .

لوكاتش :

أجل هنالك أيضا . . .

هولتز :

. . . حيث يميز عنصر الارغام بانه لا يمكن تجنبه في مضمار العمل .

لوكاتش :

ان **ماركس** يضفي على هذه القضية طابعا واضحا قائلا ، بان من مهام الاشتراكية ، أن تجعل العمل أكثر فأكثر جديرا بالانسان لكن العمل لا يحفظ من تلقاء نفسه كرامة الانسان . إن العمل لابد أن يغدو جديرا بالانسان بفضل الانسان .

آبندروت :

من جهة ثانية يقول **ماركس** بجلاء تام وعلى نحو ملموس محددا في هذا الموضع ان تخفيض ساعات العمل الضرورية اجتماعيا يعد شرطا من شروط أنسنة العمل .

لوكاتش :

بالطبع ... بيد أن تخفيض ساعات العمل يعد عملية تتم عفويا .

آبندروت :

لكن مصطحبة بنكسات . ياسيد لوكاتش ، ذلك أن في هذا المجال تلبث فكرة **ماركس** ماثلة وهي أنه اذا فرضت ميول موجهة ضد تطوير جوهر العملية بكاملها نفسها في هذه العمليات ، وخاصة بسبب المنطلق التخييري الزائف لصراع الطبقات ، اذا بسبب هزيمة الطبقات التقدمية المضطهدة. نجد كذلك أن سريان التخفيض المستمر لساعات العمل الضرورية اجتماعيا وتوسيع افقها يمكن أن يعاق والمدنية تعود القهقري .

لوكاتش :

ان هذا ليس بمستبعد . أرى أن هذه الحتمية تصح في مراحل طويلة الامد جدا . واود أن أقول في هذا المقام ، كلما كان المجتمع أكثر اجتماعية ، كلما أشتد فيه الارغام . أطلب المعذرة ، بيد أنه تقليد ماركسي بانني اذا تكلمت عن الواقع ، التجيء دوما الى بلزاك ، أن **بلزاك**

كمؤرخ كبير لعهد الاصلاح قد بين بوضوح ، كيف أن الارستقراطية غدت قوة حاكمة في الحياة العامة وبين في الوقت ذاتـه ، أن الارستقراطية انغمست تماما في حياة رأسمالية ، بحيث أن ممثلي الارستقراطية في ذلك العهد لم يكونوا في الواقع سوى رأسماليين زراعيين جنوا النفـع الاكبر الممكن من عهد الاصلاح . ونجد عند **بلزاك** بالذات بعض شخصيات « الحكومة القديمة » أمثال الاقطاعيين القدامى الذيـن عادوا من المنفى أو لم يغادروا البلاد محتفظين بمزاياهم الاقطاعية ، والذين يعدون من صنف دون كيخوت ، انها لشخصيات هزلية في عهد الاصلاح ، أردت أن ادلي بهذا ، لان المرء يلاحظ هنا هذا التناقض ومفاده انه طمح الى اصلاح فرنسا عام ١٧٨٩ . الا أن تابعي هذا الاتجاه الفعليين استحالوا الى دن كيخوتيين هزليين . في هذا الاطار أجد أن **بلزاك** يعد مؤرخا كبيرا، ذلك انه ، دون أن يقع خاطره على خاطر **ماركس** ، قد لاحظ هـذه الازدواجية ، الا وهي حتمية التطور الاقتصادي بالذات في غمار تناقضها مع ارادة البشر ورغباتهم وتفكيرهم . وهم يقومون بهذا التطور . ان بلزاك قد صور هذه الحالة على نحو رائع . واعتقد أن ظاهرات في التاريخ تطالعنا ، حيث لابد أن نحسب حساب مراحل النكسات ، التي لا تقل عن عدة عقود من الزمن . وان اعتمدنا على تواريخ مفردة فحسب ، لا نلقى بالطبع الا صورا خاطئة كل الخطأ . واعتقد أن مشكلة التاريخ تكمن في هذا المقام بالضبط ، وهو أن التخيير ممكن في مضمار الميدان الملموس. أما من يمليه فهي قوانين التطور الكبرى ، بالتالي ليس الامر أن من الممكن أن توجد حرية في المعنى المطلق . أعتقد أن الحرية في معناها المطلق فكرة تنبع ببساطة من الاساتذة فحسب . ان الحرية في معناها المطلق لا وجود لها مطلقا . ان الحرية توجـد بالاحرى في هذا المعنى . وهو أن الحيـاة تنصب للبشر اصطفاءات واقعية . اعتقد ، وقد استخدمت هذا التعبير سابقا ، ان الانسان هو كائن مسؤول ، وحريته تكمن في أن يختـار امكانية من الامكانيات . وأود أن أضيف الى ذلك انه يستطيع ، في غمار الاستمرار المعقد للتطور البشري ، في بعض الظروف ، ان يختار امكانية ما ، بعيدة كـل البعد وخافية . وفي زمـن لاحق تغدو هـذه الامكانية

امكانية متحققة ، لانه وعي أمرها . اضرب على ذلك الآن مثلا : مواقف الفلاسفة الرواقيين والابقوريين الشيقة جدا ، من التطور في نهاية العهد القديم ، حيث انهم لم يسعوا خلف تخييرات واقعية للحياة الواقعية في ذلك الوقت ، انما تخييرات عائدة الى تطور الانسانية على الاطلاق . وهذا يوضح ، لماذا احتفظت افكار الرواقيين فيما بعد وحتى زمن الثورة الفرنسية بفعاليتها الحيوية .

هولتز : في هذا المقام أود أن اعود الى المكان النسقي ، الذي يحتله نشوء التخيير هذا في مضمار فلسفة التاريخ الواقعي . اذا اصبت فهمك فان امكان الاختيار بين الامكانات ، الذي **يجعل من هذا التخير موضوع اختيار قرار واع للانسان** ، لا ينشأ الا عندما تنهض الاصطفاءات الغائية فوق عملية التاريخ وتجري بشكل موضوعي وحتمي فتستطيع بالتالي أن تؤثر فيها . والان نرى الامر على هذا النحو ، وهو أن ارتكاس اصطفاء غائي يطرح هو نفسه مجددا علاقة شرطية موضوعية جديدة . هذا يعني أن العلاقات الشرطية تزداد تعقدا . فالاستنتاج يغدو اذا : تعقيد العلاقات الشرطية . هذا يعني أن نموا كميا للعلاقات الشرطية يوجد انقلابا في موضع ما ، يمهد السبيل لقفزة نوعية .

لوكاتش : أود فقط ان أقول في هذا المجال ، ان انغلز كتب في رسالة له أن التطور في الواقع هو تطور اجتماعي ، بيد انه من الخطأ الذهاب الى أن الظاهرة المنعزلة المفردة تعادل صفرا . اذا سمحتم سأضرب مثالا تافها . في مكان ما التأم اجتماع ، الخطيب المحاضر يقرأ ، والجمهور الذي حضر الاجتماع يقف موقف الرفض من الحلول التي يفترضها المحاضر . بيد أن الهدوء كان يخيم على الاجتماع ، لا أحد يصفر ، لا أحد يحتج وهكذا . . . كان الناس جالسين في هدوء ، على الرغم من هذا فقد ايقن المحاضر تمام اليقين أن تخييره المطروح مرفوض أعتقد انني اتكلم عن تجربة خاض غمارها كل واحد منا . فكل عازف في جوقة موسيقية وكل ممثل فوق المسرح ، في وسعهما يوميا الشعور تماما ان قبل انجازهما بارتياح أو رفض . ان الضعف الكبير الذي تعانيه « وسائل الاعلام » يكمن في انه

من المستحيل بالنسبة اليها الشعور يمثل هذا الاثر المباشر . بيد أني اردت أن أظهر لكم بان قرار الافراد الحي لا يعادل صفرا . على الرغم من أن هذا القرار ليس في وسعه التعبير عن ذاته في عمل من الاعمال ، فان تطور المجتمع المعقد تعقيدا كبيرا يرتكز بالضبط على أن قرارات الافراد لا تتسم طبعا بصفة النفوذ ، على الرغم من أنها لا تعادل صفرا . وانه لمتباين كل التباين في المجتمع ، حتى تندمج قرارات الافراد هذه في عمل تاريخي ضخم وحتى لا تندمج . وفي يوم بهي نرى أن الاستياء قد بلغ اشده . في عشية الثورة الفرنسية عند الشعب قرر الناس هدم سجن الباستيل . ولا يهمنا ان كانت اسطورة كاميدل ديمولان حقيقية أولا ، بيد أن النهار قد أتى ، حيث اندمجت هذه القرارات الفردية في اشياء بالغة الاهمية من الوجهة الاجتماعية .

هولتز : في يوم ما قرر الناس ... انها لنغمة وجودية مرعبة .

لوكاتش : أجل ، الا انظر ، أود أن أقول ، أن ثمة بالطبع في الوجودية جانبا من الحقيقة . حتى انني كتبت في احدى منشوراتي ضد الوجودية باننا نحن الماركسيين ، على الرغم من تنبهيات انغلز قد حططنا من أهمية القرارات الفردية . لا أدري ان كنتم تذكرون لقد ذكرت منه هذا المثال : اذا قرر عمال شركة الاضراب لوجد لدينا ٤٠٫٠٠٠ قرار فردي . وليس من الصحيح انه قرار من ٤٠٫٠٠٠ ، لان القرارات قد أوجدت من قبل ٤٠٫٠٠٠ شخص . ومن ثم اندمجوا في قرار مجموع العاملين في الشركة. لهذا فان انغلز على حق عندما يقول ، بانه ليس من الممكن مطلقا ان ننظر الى القرار الفردي على أنه يعادل صفرا من الممكن أن يشكل رقما طفيفا لا يحسب حسابه عمليا ، لكن من الوجهة الانطولوجية ، هذا لا يهم ، اتفهمون ...

هولتز : بيد أن نقاد سارتر الماركسيين قد وجهوا سهام نقدهم ضد محاولة **سارتر** في القرارات الفردية ونجد **غارودي** في فرنسا أو المفكرين السوفيتيين ، أو كذلك ....

لوكاتش : الا انظر ان هذا لا يهمني كثيرا . من المفروغ منه أن ميلا يمتلك هؤلاء لايجاد قوانين آلية ، بينما تمثل درجات متفاوتة من الحتمية، الى أن يصل بنا التفكير ، بان لا أحد يمكن ان يقرر فيما لو لم يناضل **لينين** عام ١٩١٧ بذلك الحماس والشجاعة والعناد في سبيل ثورة السابع من تشرين ، هل كان أشرق فجر الثورة في السابع من تشرين ...

آبندروت : على الاقل فجر ثورة مظفرة ...

لوكاتش : ... وفيما اذا بعد شهرين من الزمن امتلكت ثورة مثل هذه القوى المؤثرة . وهنا نلاحظ من جديد أن تطور روسيا كان من الضروري أن يتم بفضل القوى المنتجة الاجتماعية بدءا من عام ١٩١٤ . انها لواقعة اقتصادية . لكن كونها اتخذت شكلا اشتراكيا يعود الى القرارات الحرة للانسان ، حيث أن من المستبعد بالطبع بالنسبة لي أن اقدس تقديسا أعمى أهمية القرار الحر اللينيني . دون نشوء الحركة الثورية السابقة ، ودون نشوء الحرب البولشيفية ، ودون قيام الحرب العالمية وغير ذلك ... لن يتبدى ذلك الموقف حيث اسبغ على القرار الحر الذي اتخذه لينين مثل تلك القوة الحاسمة . على هذا أعود الى الرأي الماركسي القائل ان البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم لكن في اطار ظروف لا يختارونها بأنفسهم . وما أود ان أعبر عنه الان هو ان الانسان كائن مسؤول . وكائن مسؤول يعني انه لا يستجيب إلا عند التخيير الذي يطرحه عليه الواقع الموضوعي . الا انه يقوم بذلك محولا بعض ميول كامنة في العملية العفوية ذاتها الى سؤالات يوجد لها جوابا . لهذا فان استجابته هذه ليست استجابة عفوية صرفة . عندما يفترس أسد ظبيا ، يعد هذا عملية بيولوجية بحتة لا مكان للتخيير فيها . لكن عندما يكون الانسان مسألة في غمار عمله بعلاقته المتبادلة مع البيئة ، لا بد له ان يلقى لها جوابا . ان هذا التخيير يندمج في عملية التاريخ . ان التعارض الميتافيزيقي الماثل بين الحتمية والحرية يشكل جزءا من هذه الامور التي ورثناها من الماضي ، والتي قلما تحتفظ بها في شكلها الموروث ، كما تحتفظ مثلا بأن من الممكن ان توجد غائية مستقلة عن السببية ، وبأن ثمة غائية من جهة

وثمة علاقات سببية من جهة ثانية . في الواقع توجد علاقات سببية تؤثر تأثيرا سببيا عفويا ، وتوجد علاقات سببية تطلق عقالها وفق مبادرة غائية على نحو خاص ، الا أنها تحافظ على حتميتها السببية ، الان اري،انطلاقا من هذا النظرالى العلاقة الماثلة بين الحرية والحتمية نظرة جديدة في شكل ملموس حديث ، لا يغني الحرية بل بالاحرى يجعلها اكثر واقعية . اعتقد انني اذا نظرت الى الحرية نظرة مجردة ، أصل الى حمار بوريدان الذي وجد نفسه ازاء قرار تخييري زائف لا يمكن ايجاد جواب عنه . في الواقع لا يوجد مثل هذا النوع من التخيير ابدا ، انما نجد دوما الوانا من التخيير الملموس المرتبط بقرارات ملموسة . تمشيا مع ذلك فمن الطبيعي ان يقوم سلم هائل من التحولات ، انطلاقا من ان القرارات الفردية لا تعادل صفرا في مضمار الحياة العادية حتى الحركات التاريخية الكبرى ، حيث يقوم اتخاذ موقف من قبل انسان فرد بدور حاسم ، هنا يكمن السبب ، لماذا لابد للتطور . أن ينحو بصورة لا مفر منها منحى غير متجانس . ذلك أن العوامل المتغايرة تقوم بدور في مضمار الوان التخيير والقرارات المتخذة بشأنها . وبسبب هذا التغاير تتخذ هذه العوامل طابعا لا محيد عنه ينبع من المصادفة . أود أن أشير الى أن ماركس بالذات قال ، ان حقيقة اي رجال سيحتلون مكان قيادة حركة ثورية في لحظة معطاةيعد بصورة لا مفر منها شيئا من قبيل المصادفة . وفي هذا المقام وانطلاقا من ماركس ، يرفض اي استنتاج ، على الرغم أنه من البدهيي ، أن ليس من قبيل المصادفة على الاطلاق ، ومن الوجهة الاجتماعية ، أن الثورة الفرنسية قد لاقت فئة هامة من الموهوبين المثقفين غير المندمجين في المجتمع . على هذا القدر بامكاننا تحديد هذه الظاهرة الى حد ما تحديدا اجتماعيا . بيد أن المحاولات الساعية الى التفسير تفسيرا اجتماعيا كيف أن التحديد العام للميدان الحر الواقعي يؤثر بحذافيره في نفسية شخصيات واقعية من أمثال دانتون و مارا و روبسبير و سان جوست وغيرهم ... يعد بالطبع ضربا من العبث . في هذا المقام تكمن مصادفة في التاريخ لا محيد عنها ، وتعد كذلك لحظةفي التطور اللامتجانس وشأنها شأن الوان التغاير والتشعب الماثلة في عالم ظاهرات الاقتصاد . ان لحظات المصادفة والتباين

يشتد عضدها كلما تعالت هذه المشكلات واستحالت الى ايديولوجية . ذلك ان من الخطأ اعتبار الايديولوجية حصيلة التنمية الاقتصادية ، حصيلة لازمة بحسب شكلها الملموس . ومن البدهي أن الاقتصاد الرأسمالي يحتاج الى تنظيم الحركة تنظيما عقلانيا ـ قانونيا ، غير ذلك الذي استخدمته الاقطاعية البدائية مثلا . لكن ، في أن هذا التنظيم جرى في مختلف البلدان ، باستثناء انكلترا ، بواسطة القانون الروماني يظهر أن ليس من الضروري ان تكون اشباعات الحاجة الايديولوجية في مثل هذه الحالات واحدة . ولا يمكن القول ان الرأسمالية الانكليزية لم رأسمالية حقة ، لانها لم تتلقى القانون الروماني ، وانه عملها لا يصلح مثل تلك . في هذا المجال يتجلى التطور اللامتجانس بوضوح . في حوزتنا مثالان ايديولوجيان رائعان يتعلقان بالتطور انطلاقا من الاقطاعية حتى العصر الجديد ، مرورا بعصر النهضة : الرسم الفلورانسي والرسم البندقي اللذان استجابا على هذا التطور بطرق مختلفة كل الاختلاف ، مع كونهما يشكلان صورة من صور التعبير عن هذا التطور . انهما متقاربان في معنى ما ، لكنهما متقاربان بسبب اختلافهما . من البدهي ، انه يمكن الادلاء بمختلف الاسباب لذلك . من الممكن أن نتلقى بعض نقاط ارتكاز بفضل تحليلنا للميدان الاجتماعي الواقعي الذي تكون في ارجاء فلورنسا والبندقية .

هولتز : كذلك المناظر الطبيعية في توسكانيا تؤثر طبعا تأثيرا مغايرا في الحساسية البصرية عن تأثير الرسم البندقي ...

لوكاتش : اجل ، الا أني اعتقد ، أن هذا الاثر البصري ، الذي كان ماثلا دوما هناك ، لا يغدو فنا إلا ضمن شروط اجتماعية معينة .

هولتز : طبعا .

لوكاتش : الا تعتقد أن ظروف الاضاءة في هولندا في القرن الثالث عشر كانت نفسها في عصر **رامبرانت** ؟ وكان من الضروري أن تشرق الثورة الهولندية لتؤثر علاقات الاضاءة هذه على نحو نجده عند **رامبرانت** أو عند

فومير وهكذا .. بحيث أني أود أن أقول في هذا المقال أيضا ، أن كلما تطور المجتمع ، كلما لاحظنا بوضوح تراجع الحواجز الطبيعية .

هولتـز : بيد أنه يمكنك أن تتأكد من الشكل ذاته في الـ disezno عند الاتروسكيين Etrusker ، وعند الرسامين الفلورنسيين في عصر النهضة وحتى عند ماغنيلي .

لوكاتش : انني لا أود أن أدخل في هذا النقاش . اعتقد أن القضية الذاهبة الى أن موضوع الصورة هو ذاته يعد تجريدا مغرقا في التجريد . من البدهي ، أن ثمة استمرار في تطور البشرية ، ومن البدهي ، أن ثمة تآلفا قواعديا للكلمات يؤدي الـى جمل تزخـر بالمعنى ، نجدهـا ذاتهـا عند **هوميروس** كما نجدها عندنا ، ثمة مثابرة ، أنا لا انفي ذلك ، لكن في مضمار هذه المثابرة وفي كل حالة خاصة ، ولدى كل ظاهرة فنية (للبقاء في حيز الفن) نجد الجواب الملموس عند التخيير الملموس مطروحا .ونجد ثمة عناصر مستمرة ماثلة تعـد الامـر الشيـق المفيد الـذي يستحـق التفكير فيه . وتلبث المسألة الاهم ، أن في صورتنا ادبا متعدد الاشـكال متنوعا بشكل منقطع النظير ، واننا نؤكد اليوم بصورة خاصة على«العصر الحديث » دون أن نحطم الاشكال الثلاثة المتبعة في فن الشعر الغنائي والفن الملحمي والمسرحي . ذلك انه ليس لدي أي مثال على تفجير هذهالاشكال الثلاثة ، حتى اننا نجد الادباء الحديثين في هذا العصر يكتبون ضد ـ رواية أو ضد ـ مسرحية ويقرون ضمنا بأن ثمة شكلا مستمرا للمسرح . بامكان **بيكيت** أن يكتب ضد ـ مسرحية إلا انها ضد انطلاقا من تطور يمتد مـن **سوفوكلس** حتى الوقت الحاضر . وعلينا أن نميزه عن التطور الممتد من **هوميروس** حتى الوقت الحاضر ، ذلك أن زميلا **لبيكيت** سيكتبضد ـ رواية . اعتقد بان هنا يتضح ، ان التبدل المنقطـع النظـير للتحديدات الاجتماعية وبالتالي لالوان التخيير ليست نهرا دون اتجاه ولا ضفاف لكن ينجم عنه تحديدات ما في البدء ومن ثم يتشبث بها .

الآن تطالعنا مشكلة انطولوجية على صعيد التطور الاجتماعي ، يرتبط بها ، أن المجتمع يعد مجموعة من العقد معقدة كل التعقيد ، تتضمـن

قطبين . من جهة كليا نية المجتمع التي تحدد في نهاية المطاف الاثر المتبادل بين العقد المتبانية ، ومن جهة ثانية عقدة الانسان الفرد الذي يشكل وحدة صغرى لا تفصم عراها في داخل هذه العملية . ان هذين القطبين يحددان سير العملية بأثرهما المتبادل . في خضم هذه العملية يتم صهر الانسان في بوتقة الانسانية . لقد وصف انغلز هذا وصفا رائعا من اجل بدايات هذا التطور ابان العمل وابان نشوء اللغة . ان تقهقر الحواجز الطبيعية تعني ، في نظر الانسان ، اسباغ النفحة الانسانية على الحياة ، وكثمرة لعدم تجانس التطور نستخلص أن اسباغ النفحة الانسانية على الحياة يولد دوما من جهة ثانية اشكالا بعيدة عن الانسانية تضخم بازدياد . اني لم اتمكن من الاعتراف مطلقا ، ان الاهوال التي جلبتها الفاشية على سبيل المثال ، ليست سوى نوع من النكسة الى العهود البدائية أو شيء من هذا القبيل . ان الفاشية ويل من الويلات ومظهر من مظاهر عدم الانسانية في اطار راسمالي متطور تطورا عاليا. ان ظاهرة انسانية من نموذج **ايخمان** لم يكن لها من وجود حتى في عصر آكلي البشر . أرى أن هذا النموذج البشري الذي حول امن افناء البشر جماعيا الى عمل بيروقراطي ــ سلمي لا يمكن أن يكون قد وجد في ذلك الحين . انه لحصيلة الزمن الامبريالي ، لم يكن له من وجود في السابق . ان محاكم التفتيش ذاتها لم تعرف أمثاله لانها لم تعرف إلا متعصبين وسياسيين . انتم تفهمون ما اعنيه لدى وصفي ميزات هذه الخاصية . بما أن اسباغ نفحة انسانية على حياة الانسان تعدعملية ملأى بالتناقض لا بد من أن تستدعي صيرورة الانسان اكثر انسانية بلا هوادة القطب المقابل لها ، الى أن تكتمل عملية الصيرورة الانسانية . إلا انها لم تكتمل أبدا في معنى ما . لهذا اعتقد بأن **ماركس** كان على صواب عندما ترك الاقتصاد ــ اي عملية انسنة الانسان ــ ماثلا دوما على أنه مملكة الحتمية ، وعلاوة على ذلك تطالعنا مجموعة من المشكلات تنشأ من صيرورة الانسان انسانا ومن ثم تتطور معها الاشكال الايديولوجية الرفعية . بيد ان هاتين العمليتين مرتبطتان وبامكانهما في حضن الشيوعية المتطورة ان يستحيلا الى مشكلات اجتماعية عامة . وقد أشار ماركس دوما الى أن في غمار هذه العمليات المبكرة نجد أن ثمة انجازات نسبية ــ

وكما يقول في بعض المناسبات ـ تطورات اجتماعية متناقضة محدودة ـ في اي تطور اجتماعي راق ـ ممكنة وكذلك ثمة ثمرات سابقة لاوانها ممكنة . أفكر في اثينا وفلورنسا ـ والبندقية وهولندا في القرن السابع عشر . وتكمن المشكلة في هذا المقام في التساؤل ، متى يمكن أن ينجم في هذه اللحظات شيء اجتماعي هام . بيد أن هذا لا ينجم الا في ظل الشيوعية. لكن التطور الاجتماعي لا يمكنه أن يوجد إلا الشروط الموضوعية من اجل هذه الشيوعية . أما التساؤل أيحدث بفضل هذه الشروط الموضوعية تقويما للانسانية أو **حدا** اقصى من مناهضة الانسانية : ان هذا يعود الينا ، يعود الى الانسان ولا يرتبط بالتنمية الاقتصادية وحدها . واعتقد انه في هذا المقام يطالعنا بوضوح المفهوم التخييري الماثل في « البيان الشيوعي » . واوكد من جهتي ، ان التطور الاقتصادي لا يولد الاشتراكية بصورة آلية . ولم يدر هذا في خلد الناس النابهين أبدا .

هولتز : كي اتناول وجها من وجوه التفكير الهيغلي ، من الممكن القول أن العلاقة الماثلة بين الحتمية والحرية أو بين الحتمية والامكان هي في الواقع علاقة هوية الهوية واللا هوية .

لوكاتش : بيد اني ارى ، ان عنصر الحرية يكتسب اهمية تزداد كبرا واتساعا ، لتشمل الانسانية باكملها . كان يقال في السابق دوما ، عن الاشكال الايديولوجية الراقية ، وليس عن الفن والعلم فحسب ، بل وايضا عن الاخلاق ، بأن أهميتها محصورة في اقلية لا تذكر . وفي معنى معين ، ان الاخلاقيات القديمة كانت اخلاقيات ارستقراطية ، لانه لم يكن من الممكن لكل فرد ان يكون رواقيا ، حكيما رواقيا او ابقوريا . ان الاهمية الاخلاقية الرائعة **لغوته** تكمن ، في نظري ، في قوله في امثاله وحكمه أن أشد الناس اتضاعا يمكنه أن يكون مكتملا ، وأن كمال الانسان الاخلاقي بالتالي لا يرتبط بالمهارات الروحية انما يعود الى المواهب .

آبندروت : بيد أن هذا لا ينطبق عمليا بعد على زمن **غوته** . ذلك أن العصر الرأسمالي لا يتمكن بعد من ايجاد هذا الامكان لكل واحد .

لوكاتش : لا ، بيد أن **غوته** يبدع شعرا هذه المطالبة . وتبين الاهمية البالغة لشخصيات أمثال كليرشن في « اغمون » و دوروته في « هرمان ودورته » و فيلينه في « فيلهلم مايستر » ، كيف أن مثل هذا الكمال الاخلاقي ــ الانساني ممكن عند أفراد طيبي الفؤاد يعيشون في ظروف بعيدة عن التعقيد كل البعد ، حتى في غمار معارضة الاحكام المسبقة الاخلاقية السائدة كما هي الحال عند فيلينه . لهذا فاني اعد **غوته** في هذا المقام شخصية نموذجية ، ذلك أنه في مؤلفه الاساسي ولاول مرة يلقي ضوءا علي هذه الديمقراطية العامة ، التي غدت بالتالي نافذة المفعول في المستقبل . هذا الامر لا نجده عند أي كاتب كبير ولا في أي نظام أخلاقي. في سبيل ولادة هذه الفكر ، اعتقد أن غوته تمتع باهمية مماثلة لتلك التي تمتع بها عظماء رجال أخلاق في العهود الغابرة . أود أن أشير بالتالي ،الى أي مدى غدت هذه المشكلات ممكنة انطلاقا من الاقتصاد ، لكنها لم تخرج الى حيز الواقع الا اعتمادا على قرارات تخييرية صادرة عن الانسان .

آبندروت : في صورة **استباق** outi cipation, uorwegnahme فكري عند الاقتضاء ولا يقدم الاقتصاد الواقعي الى ساحتها سوى بعض عناصر زهيدة متسمة بالتحقق .

لوكاتش : طبعا ان توقعات فكرية من هذا النوع وجدت غالبا في كل زمن . ويقوم استمرار التطور الفكري للانسانية ، على أن هذه التوقعات ماثلة ، بحيث أن كل مرحلة من المراحل تأخذ نصيبها حسب اختيارها من معين الماضي ، تمشيا مع مبدأ **موليير** : «أجتني ما يصلح لي اينما أجده» على نحو أن الاستمرار لا يعني على الاطلاق الخلود الدائم . يكفي أن نفكر في اثر **هوميروس** أو **شيكسبير** وغيرهما ، لنعلم ، كيف يمكن لهذه المواقف أن تنحسر من ساحة التأثير خلال أجيال من الزمن . وعلى الرغم من ذلك فان ذاكرة الانسانية تلبث موجودة كما هي موضوعيا ، في معنى مشابه لذلك المعنى الذي تحدثنا عنه سابقا ، ومفاده أن حالة نفسية معينة تسود في ارجاء قاعة الاجتماع أو في المسرح ، على الرغم من أن لا أحد يعبر عنها .

أرى أن مثول بعض ميول موجودة بالقوة يعد شيئا يميز تطور الانسانية على أرقى صعيد .

آبندروت : ان هذا التفكير هو سر كل تقبل غدا ممكنا بالستعادة توقع فكري مصبطغ بصبغة الثداثة ، بواسطة متوازيات نسبية لمشكلات اجتماعية موضوعية ، تنتمي الى مرحلة مبكرة في التطور التاريخي ، مع مشكلات نشأت حديثا . غالبا ما ينجم عنه اجابات حديثة ، حتى في غمار التشبث بالوهم ، التشبث بالشكل القديم للتوقع ولعمليات فكرية مبكرة ، وبالتالي تكرار التوقع القديم بأمان على نحو دغماطي . انه الامر كذلك بالنسبة الى نقل القانون الروماني .

لوكاتش : اعتقد انه عندما يكون الانسان كائنا منتجا ، وليس بكائن مسؤول أيضا ، لا توجد أي وسيلة لهذا الاستمرار . وبما أن الحياة تطرح بعض مشكلات واقعية ، يختار الافراد باعمالهم في تيار الاستمرار الايديولوجي ، ما يتسم بضرورة خاصة لتخييراتهم اليومية .

هولتز : يبدو أنه ينبغي الا ننسى ذكر اعتبار آخر ، نستخلصه مما قلته الآن . لقد تحدثت عن الشكل اللامتجانس للعملية التاريخية . لكن ينجم عن هذا الشكل اللامتجانس كذلك الامر ما نسميه اللا تواجد الزمني انه لا تواجد موضوعي اجتماعي . وعبارة عن ظاهرات معاصرة شكليا ، تتضمن تواجد درجات من التطور متنوعة في المجتمع في بلدان مختلفة ، لكنها تلزم بقيام اتصالات ما ، كما نجد في الوقت الحالي مثلا وجود بلاد نامية الى جانب بلاد عالية التطور ، أو استمرار وجود بقايا انماط انتاج قديمة ومؤسسات اجتماعية قديمة في بلد من البلدان ، على الرغم من أنها مطبوعة بطابع الانتاج الصناعي الحديث بالدرجة الاولى ، تقود الى تنفاضات معقدة سواء في العملية الالايديولوجية أو العملية التاريخية الواقعية ، مصعدة من اهمية عناصر المصادفة واللحظات الطارئة في التطور .

لوكاتش : اني متفق معك كل الاتفاق ، الا اني اعارض مصطلح « اللا تواجد » الذي ، كما أعتقد ، استخدمه **بلوخ** . ذلك أن جوهر الزمن يكمن في أنه يمر وفي انه ماثل في الحاضر . الا ان الحالات الاجتماعية المتضادة والمتنوعة كل التنوع ، التي تسود في بلد من البلدان أو في العالم تعد شيقة ومفيدة لانها موجودة في وقت معاصر واحد .

هولتز : لكن لا أعتقد أن هذا يعارض اهمية هذه الظاهرات ؟

لوكاتش : لا ، أنا أتكلم عن المصطلح المستخدم . واحتج على هذا المصطلح . لقد غدت العادة منذ **اينشتاين** ان نتكلم عن زمن ذاتي ، عن زمن يتحرك ذاتيا ، بينما يعد الوقت مقولة انطولوجية بصورة عامة لا تهتم مطلقا بتطور المجتمع ، نحن نعمل في الزمن ، بيد أن التخيل ، أن الزمن يمر على نحو اسرع ، بينما في العهود البدائية مر بصورة أبطأ ، يعد استيعابا عاميا لنظرية **اينشتاين** . وأعتقد أن **اينشتاين** سيرفضه كل الرفض . ان مشكلة المديونات المتخلفة برمتها تنجم عن هذه المواجهة . طالما لم يمثل بعد اقتصاد عالمي ، وبالتالي لم تنشأ بعد مواجهة فعالة ، تعايش كلاهما الواحد الى جانب الآخر والوئام يخيم عليهما ، وبعدت المشكلات عن أفق الحالة الاكثر بدائية . ان المشكلة نشأت عندما انهارت أطر التطور الاهلي الاصيل بيد الاستعمار ، وبرزت المواجهة كمشكلة جديدة لاحت في الافق في الوقت نفسه الذي لاحت فيه بوادر تطور الرأسمالية .

آبندروت : وكما وصف هذا بدقة بالغة في « البيان الشيوعي » الذي يجعلنا نستوعب ، أن البلاد المتخلفة قد استحالت في البدء الى مجرد موضوع لسوق رأسمالية عالمية ، تسيطر عليه البلاد المتطورة صناعيا . بيد أن هذه البلدان المتخلفة السلبية أصلا تستحيل بدورها ، بفضل مسيرة هذه المواجهة ، الى ذات فعالة في المسيرة . ومن ثم تتخذ مشكلة الخلافات برمتها ــ في وقتنا الحاضر ــ أشكالا جديدة معقدة كل التعقيد .

لوكاتش : اجل ، الا انه علينا أن نطرح مشكلة انطولوجية ــ تاريخية،

كانت قد طرحت عندنا في أوروبا حتى الآن طرحا خاطئا . أرى أن لدينا في أوروبا ، بلا مراء ، تطورا تاريخيا ينبيء عن خط مستمر مستقيم ، لدينا اليونان وروما والمسيحية وهجرات الشعوب والاقطاع والرأسمالية والاشتراكية ... وانه لمن السهل ، اسقاط عقل غائي في هذا التطور ، كما حدث هذا فعلا في فلسفة التاريخ عند هيغل . الا ان هذه التطورات المتفاوتة مسبقة بالتعاليم لنا ، لاننا نشاهد ، أن ثمة تخييرات موضوعية قد ظهرت في اللحظة التي مثل فيها التفاضل انطلاقا من صعيد أكثر بدائية . افكر في هذا المقام بتكوين مجتمع قبلي وانحلاله . في ان بالتالي ما قد نشأ عندنا لم يكن حتمية غائية انطلاقا من تفاضل العمل في المجتمع القبلي وغيره ، انما في ظروف معينة ، على العلم أن يحددها بعد ، ظهر مثل هذا الشكل من انحلال المجتمع القبلي ، الذي ادى عندنا الى مثل هذا التطور ، لكن في ظروف مغايرة يطالعنا وصف **ماركس** لعلاقات الانتاج الآسيوية ، حيث يذهب الى أن المجتمع القبلي لا ينحل على الاطلاق ، انما تتربع فوق المجتمع القبلي البنية الفوقية الحكومية . وينهض تحليل ماركس على أن القاعدة تعاود بنيان ذاتها على الصعيد نفسه ، ومن تلقاء ذاتها الى حد ما ، لدى انهيار البنية الفوقية .

اني أتكلم عن ذلك الآن في معنى جد معين ، كي ابين ، أن هذا التطور ، الذي يمكن أن نلاحظه عندنا في حضارة البحر الابيض المتوسط ، والمتضمن ميولا معينة ، قد نشأ في الواقع من اصطفاءات غائية ، لكنه لا يتسم بكامله بطابع غائي ، ويرى **ماركس** أن الفضل الاكبر يعود الى **داروين** لانه حرر نشوء الانواع من الغائية . علينا أن نحسب حساب هذه الملاحظة في العملية التاريخية أيضا . ويطالعنا الآن من خلال ذلك مقولة ثانية جد مفيدة . واعتقد ، انه في امكاننا أن نستشف بوضوح لدى دراستنا نشوء الانواع عدم وجود الطابع الغائي لدى تكون طرق بلا منفذ على الصعيد النشوئي . اني أشير على سبيل المثال الى مجتمعات الحشرات ، حيث نجد أن بعض الحشرات تتسم بتطور عال عجيب مرتبط بوقوف في النشوء على صعيد معين . ان نفي الطابع الغائي عن عملية تطور ما يعني في الوقت نفسه ، بأن ثمة تيارات قادرة على التطور وتيارات غير قادرة على التطور .

هذا يعني تيارات تعاود تكرار ذاتها بلا هوادة ، دون أن تبلغ درجة راقية من التطور الجدلي ، التي بلغت أوجهـا مثلا حضارة البحـر الابيض المتوسط . علينا أن نؤكد على هـذا الفرق الشاسع الماثل بيننا وبين الشعوب المتخلفة . فضلا عن أن هذه الشعوب قد حازت ، بلا ريب ، على ثمرات فنية وفلسفية وعلمية راقية كل الرقي في مراحل معينة . وهذا يعد جزءا جوهريا من التطور اللامتجانس ، وهكذا نعود الى بداية حديثنا . ان رسوم صيادي الاسماك والصيادين البدائيين التي وجدت على جدران الكهوف ، أظهرت فنا لا يضارعه مثيل حتى بعد مضي عديد من آلاف السنين . لقد وصف غوردون **شيلده** هذه المرحلة وصفا رائعا ، على أنها مرحلة كان لا بد أن تغرب بانقلاب جيولوجي . لهذا فانه لم يتم فجر تطور جديد الا على مستوى حضاري اكثر بدائيـة . وقد ارتقى التطور الجديد على الصعيد الاقتصادي الموضوعي درجة أعلى ، بما انه قد بدا في الافق الحضاري الزراعة وتربية الحيوانات الى جانب صيد السمك والصيد . ولديكم بهذا مثال كبير على تطور حضارتنا في هـذه الدرجة الاشد بدائية .

هولتز : من جهة ثانية ، في وسعنا الآن ، اعتبار ثمرات هذا الفن اليوم فنا على مستوى مختلف آخر .

لوكاتش : طبعا . لكن هذا يبين ، أن التطور اللامتجانس يعـد في الوقت ذاته تطورا مستمرا اتخذ موضوعا له انصهار الانسان في بوتقـة الانسانية .

آبندروت : تماما ، بيد أن هذه الافكار تقودنا من جهـة ثانية الى المشكلة الراهنة . لكن بما أن طرق التطور التي بلا منفذ ، كما قلتم ، بما أن وقوف تطور القوى المنتجة في جميع الحضارات الممكنة ، التي تواجه الآن المدنية الرأسمالية الصناعية ، تعد في آن واحد حضارات جعلهـا الانسان ، تقود المشكلة الجديدة للسوق العالمية ، التي أوجدها تطورنا ، الى انصهار الانسان في بوتقة التكامل والى الاندماج في وحدة حديثة . لذلك ينبثق ايضا من صلب الحضارات فرصة تحمل المسؤولية وامكان

التكامل الحضاري مع المشكلة كلها على مستوى جديد ، في جعل هذه الحضارات عناصر فعالة واشراكها كأعضاء متساوية في الشكل الارقى للوحدة الشاملة لمسيرة تطور الانسانية التاريخي .

لوكاتش : اني متفق معك كل الاتفاق . بيد إني اعتقد ، انه علينا أن نستوعب القضية هنا على النحو التالي ، وهو توضيح الفرق بين الوقوف في النشوء المتسم بسمة بيولوجية والوقوف في طرق بلا منفذ في التطور الاجتماعي . ان الوقوف في النشوء البيولوجي هو وقوف ثابت لا محيد عنه ، وليس من الممكن أن يطرأ عليه تغيير ما بأي شكل كان . أما في غمار التطور الاجتماعي فقد يسود الوقوف في طرق بلا منفذ ، الا أن هـذا الوقوف يبقى على الصعيد الاجتماعي وقوفا نسبيا . اذا سمحتم ، أود أن أقول في هذا المجال ، يعد عصر العبودية ، اذا تخيلت التطور اليوناني الروماني خاليا من الهجرات الشعبية ، جمودا في التطور بالنسبة للتطور البشري .

آبندروت : على الرغم من أن هـذه التدرجات ، المتأصلة في هـذا التطور ، قد تمكنت من أن تتجاوز عصر العبودية ، كما تشير الى ذلك أدلة عديدة تعود الى نهاية التاريخ القديم .

لوكاتش : بيد أني اعتقـد ، أن الدولة الرومانية لم تستطع حـل تناقض الوجود الاقتصادي للمستعمرات والميول البيروقراطية المركزية ، التي سادت فيهـا ، اذ كان لا بـد من هجرات الشعوب ومن تحطيم الامبراطورية الرومانية للنفاذ من الطريق المسدود . وحيث اني الآن أوضح مجـددا ، بأن ما ادعوه فلسفيا الطريق المسدود يعـد في المعنى الاجتماعي شيئا نسبيا . والآن لا أود أن أقول ان احتكاكنا بالشعوب المتخلفة يعد ببساطة أمرا مشابها لهجرات الشعوب . انه لشيء مغاير تماما . مع ذلك تمثل بالطبع فرصة موضوعية في خروج هذه الشعوب من قوقعة انعزالها ونفاذها عبر الطريق المسدود بفضل مواجهة مدنيتنا. لكن الآن يطالعنا السؤال الهام ، لقد اكد **ماركس** في مقدمة المجلد الاول « للرأسمال » على أن التطورات لا بد منها ، لكن من الممكن اختصار هذه

التطورات بمعرفتها العلمية ، وتخفيف حدة صعوبات التطور . ان هذه الملاحظة غاية في الاهمية . يؤكد **ماركس** على اننا نستوجب لذلك المعرفة العلمية للعمليات . وقد القى **ماركس** ضوءا على التطور الراسمالي مشيرا الى ماضيه القريب والبعيد . وهذا يعد في الحقيقة انجازا رائعا . ولم يتمكن **ماركس** من تكريس وقته لدراسة علاقات الانتاج الآسيوية دراسة رصينة ، بل اكتفى بدراستها هامشيا لقد وجد في هذا الموضوع امورا بالغة الاهمية . لكن ما هي علاقات الانتاج التي سادت في افريقيا ، لم يكن لدينا عن ذلك ادنى فكرة . علينا ان نبوح بصراحة تامة ، بأننا كنا جهلة في هذا المجال . نحن اللاتين ندلي بأحكام مؤقتة انطلاقا من مقالات الصحف ، اعتقد ، انه لا بد ان يقال بقسوة ذات مرة، لبلوغ درجة النزاهة المفروضة، التي نادى بها **سقراط** ، انه لا بد لنا من التمييز بين ما نعرفه وبين ما لا نعرفه . ولا بد والحالة هذه من وضع ما لا نعرفه واضحا في طليعة الامور . وهنا أجدني مرغما على توجيه ملامة بالغة ضد الستالينية . في المناقشات التي دارت في العشرينات ، أعتقد ان الحديث كان يدور حول النقابات ، نوه **لينين** ببعض جمل عن العلاقات الصينية قائلا ، انه ليس لديه ادنى فكرة عما يدور في جنوب الصين لقد اعترف لينين بهذه الحقيقة بصراحة تامة . وهذا لم يحل دون ان يحدد بوضوح واجبات حزب العمال ازاء الثورة الصينية ، في قضايا المؤتمر الثاني . الا ان كشف ما يدور في الواقع في هذه البلدان يعد واجبا من واجبات العلم الماركسي . الوقت ليس بمتأخر بعد للقيام بهذا العمل . ولا بد ان نثبت ان الماركسية الستالينية ، كما انها اهملت نشر جميع النصوص الماركسية ، كي تكون هذه المؤلفات في متناول يدنا على الاقل ــ والامر كان سهل كلعب اطفال ــ كذلك لم تنجز هذا العمل ، اننا نجد هذه النصوص كلها في معهد ماركس ــ لينين . وقد حدثني **ريازانوف** في الثلاثينات ، ان مخطوطة «الراسمال» تتألف تقريبا من عشرة مجلدات ضخمة ، لم تنشر ابدا . ونحن نلمس بنشر المشروع الاصلي ، كم من جديد استقينا حول الراسمالية . ان هذا العمل البسيط لم تنجزه الستالينية ايضا . عبر هذه التأملات نصل الآن الى نتيجة وهي ان الواجب الاولي لنظام اشتراكي ، بعد ان حدد **لينين** واجبات احزاب العمال من الوجهة السياسية العامة تحديدا صائبا ، وبعد

أن تابعت الحركات التحررية مسيرتها الى الامام ، يكمن في ايجاد تاريخ ماركسي وتحليل تاريخي لجميع الشعوب المتخلفة . لان ما ينجم عن المواجهة يعد عملا انفعاليا سطحيا صرفا ، اذا استخدمنا السياسة دون هذا التحليل العلمي . لنفكر ، ولو لحظة واحدة ، ماذا سيحل بنا ، من غير وجود « الراسمال » والمؤلفات الماركسية الباقية ؟ الم تكن السياسة العمالية الآن مصطبغة بصبغة سطحية انفعالية محضة ؟

آبندروت : طبعا ، بيد اني اجد ان للمشكلة جانبا آخر ، ينبغي ان نبرزه . ان المشكلة العامة التي انطلقت منها ، تؤدي الى امكانات موضوعية للبلوغ ـ حتى ضمن شروط غير متوقعة في البدء ـ الى بدايات تطور اشتراكي قد تتحقق في الحياة العملية ، حتى وان اتسم شكل هذه البدايات بمسحة بربرية مشوهة . لقد استطاعت الثورة الصينية بجهد ان تتلقى من الماركسية في اوروبا الغربية كما من الماركسية الروسية طريقة استراتيجية لها . اما في البلدان الباقية ، التي الحقت بالرأسمالية ، على انها موضوعات لها ، فقد اشرق فجر نظرية ثورية تتضمن عناصر الماركسية مع انها اتخذت في البدء شكلا سطحيا جد انفعالي . بيد أن على هذه الدول الوطنية ان تعلن ردها وان ترضخ عند الضرورة لتناقضات وهفوات فظة حاسبة حساب تضحيات جسيمة .

لوكاتش : صحيح ، اني متفق معك كل الاتفاق . واود ان اضيف عاملا ينبثق منه موقفنا في هذا المجال ، منطلقا من قضايا المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، حيث نحدد تحديدا دقيقا . ليس من الصحيح ، أن الاستعمار يشكل مواجهة عنيفة بين نظامين . ان هذين النظامين قد توصلا الى تحقيق علاقة بينهما ، تجلت في صيغة يتبناها التدخل الرأسمالي ـ الحملة الانكليزية في الهند الشرقية مثلا ـ الذي يستند الى تلك الفئات ، التي تسعى الى المحافظة على الحالة القديمة بالتعاون مع البلدان التي تستعمرها ، والذي يناهض جميع محاولات الاصلاح المنبثقة من الدول المتخلفة ، مع كونها في البدء محاولات غامضة . تلكم هي السياسة التي مارسها وارن هيستنغس (Warren hastings) في الهند . وعندما اتأمل الحالة الراهنة وموقف اميركا ليس من فيتنام فحسب ، انما كذلك من

اميركا الجنوبيـــة ايضا ، فلا يعني هـــذا سوى استمرار سياسة وارن هيستنغس . ان هذا أمر ندركه تمام الادراك ، وفي وسعنا أن نتخذ منه موقفـا ، وان أعلنت الديمقراطيـــة الاوروبية « لتسقط تقاليـــد وارن هيستنغس » فتعلن عن أمر صحيح وهام من الوجهة العلمية . فضلا عن أنها ليس في وسعها حتى في يومنا هذا أن تقول ، ما يجب فعله في زامبيا أو في الصومال بدلا مما يحدث هناك حتى الآن . في نظري هذه هي الفجوة التي ينبغي أن تسد وقد أهملت سابقا . علينا أن نصوب أنظار عديد من الشباب ، الذين يطمحون الى تقديم المعونة بحماس صادق كبير والذين يتملكهم الشعور بالسخط من هذه الظروف ، وعلى الاقل أولئك الذين يتحلون بثقافة علمية ، الى معاضدة هـــذه الشعوب المعنيـــة ببحوثهم العلمية . واعتقد أنه ، اذا طلع علينا عشر الى خمس عشرة دراسة جيدة وافية عن البلدان المتنوعة ، في أوروبا ، بفضل الفئات الواسعة للشبيبة ، الذين يثير سخطهم ما يجري في فيتنام حاليا ، لشكلت هذه الدراسات عونا فعالا للغاية للقوى التقدمية حقا ، الموجودة في تلك البلاد .

آبندروت : اني أماثلك الرأي . لهذا ففي معهدنا على سبيل المثال سعت دراسة كورت شتاينهاوس عن فيتنام أن تشكل بداية أولى لعون زهيد في هذا المجال ، لكن تبقى هذه الدراسات بالضرورة ،في اطار امكانيات التحليل الماركسي الطفيفـــة في بلاد أوروبا الغربيـــة الصناعيـــة دراسات مفردة ،استطاعت أن تظهر الى الوجود في ظروف طارئة لكنها ملائمة . بما أن الحالة على ما هي عليه ، وبما أن من جهة ثانية ثمة تطابق هوية رأسمالية البلاد الصناعية الكبرى الباقية في امبرياليتها مع هوية شرائح سائدة رجعية ، مع البرجوازية التجارية وغيرها لا يزال قائما في تلك البلاد المعنية بالضرورة مؤقتا ، وبما أنه ينجم بالضرورة عن هذه المجتمعات ، حيث نجد أن القوى التقدمية كونها مسؤولة لا بد لها من أن ترد على التدخلات الامبريالية ، في الحقل العملي ، فيكون ردها سطحيا انفعاليا ومزودا في أكثر الاحيان بخبرة سطحية في المعرفة الماركسية ، ينجم عنها ، انها غالبا ما تقترف هفوات جسيمة متضمنة ردود أفعال جانبية لا تمت الى ما هو انساني بصلة . ان الفرق الماثل بين التطور الصيني والتطور الهندي ، بعد الحرب العالمية الثانية ، يشير الى أن الاختيار الاشتراكي ، على الرغم من جميع الهفـــوات ، عرض في هذين البلدين امكانات أكثر تقدمية من الخضوع لسلطة الفئات القديمة الحاكمة وارتباطها بالطبقات الرأسمالية الجديدة ، التي تتعاون بصراحة نوعا ما مع الدول الرأسمالية

الغربية . في أنه ينبغي علينا قبول الهفوات التي تقترفها الثورات ، التي تنهض بوحي اشتراكي ، في البلدان المتخلفة على علاتهـا ، والا ننعتهـا بالحيدان عن المألوف ، وأنه علينا نقد الاهوال اللاانسانيـة التي تدور رحاها في تلك العمليات الثورية ، ولا يجوز أن نتخذها ذريعة لاعـلان شجبنا وذمنا . هذا هو الحاصل الضروري الناتج عن هذه الحالة .

لوكاتش : عندما تقول ، ينبغي ألا نتخذ من الاهوال اللاانسانـية ذريعة لاعلان شجبنا ، فأنا متفق معك . في جانب آخر تطالعنا هفوات جد بديهية ، ولا بد لنا من أن نتناولها بمعول النقد ...

آبندروت : موافق ...

لوكاتش : ... وذلك في الواقع لصالح الدول المتخلفة المعنية .

آبندروت : طبعا .

لوكاتش : ... ومع أن النقد في الوقت الحاضر لا يجدي فتيلا على نحو مباشر . في النظرة ذاتها ، التي سعى اليها **لينين** ، واني أعود مجددا الى السياسة المثاليـة اللينينية في هذا المضمار ، فهو منذ عام ١٩٠٥ كان يرى في حزب الفلاحين الاشتراكيين الثوريين حليفا ممكنا له ، لكنه في ذات الوقت كان ينقد نقدا لاذعا أخطاء ايديولوجيتهم . علينا أن نضع حدا لتلك الافكار الخاطئة التي ظهرت في الجبهة الشعبية الستالينية ، ومنها أن الذين لم يوقعوا على البيانات ، نعتوا بأنهم رجعيون كل الرجعية . ان جبهة شعبية ــ ان اردت استخدام هذه اللفظة ــ تنتسب الى هـذه المشكلات ، هي فقط ممكنة ، اذا ناضلت العناصر الواعيـة كـل حسب مقدرته جنبا الى جنب ونقد في الوقت ذاته الواحد الاخر ، هذا الانصهار لهذين العاملين اعتبرهما من اهم المشكلات الكامنة في التطور المستقبلي . والا فالامر يدور حول خليط دون مبادىء ، حيث ان الاسوأ لايكمن فـي اننا نعامل اولئك الذين لم ينضموا في سلك الجبهة معاملة هراطقة ، وهذا يعد امرا سيئا ايضا ، انما يكمن في عدم نقد اولئك الذين اشتركوا فـي الجبهة .

ان هذا أمر لابد من ذكره ، فان وجدت مرحلة ، تجلى فيها ان معرفة هذه العلاقات ضرورة عملية لامناص منها ، يفرضها الكفاح في سبيل تغيير بنية التجادف ، كذلك في البلاد الصناعية المتطورة ، فان هذه المرحلة هي مرحلتنا . انها لمشكلة معقدة بقدر تعقد العلاقات مع البلاد المتخلفة .على كل فرد في هذا المجال ، بذل جهده لاكتساب حد اقصى من الوضوح .وارى ان الافتراض الاول يكمن في ان نفرق : « هذا اعرفه » و « هذا لا اعرفه» .

آبندروت : اني متفق معك في الرأي . الا ان المنطلق « هذا لا اعرفه»

بعد منطلقا مؤقتا . ولاريب ان مجاله يتقلص بفضل الخبرات الملموسة في كل تطور . لهذا فان توسيع افق « ما اعرفه » وبالتالي افق «اويد هذا الامر حقا » يضع حدا بالضرورة للتحالفات القديمة الشبيهة بالجبهة الشعبية في مضمار الكفاح بين التحالفات ، لكنه يولد بالضرورة مواقف جديدة من تساؤلات « انا لا اعرفه » على صعيد جديد ارقى . لهذا فلا غنى ابان تكوين اي تحالف شبيه بالجبهة الشعبية ، عن اجراء مناقشات مستمرة ومحاولات نقدية ، كي يغدو هذا النوع من التجمعات ممكنا دون اللجوء الى الشجب واللوم وادعاء متبادل بالهرطقة .

لوكاتش : اجل ، الا انظر ، اود ان الفت انتباهك مجددا الى عبارة « لا اعرف » اني لا اذكر بالتأكيد ، اذ تطرقنا الى ذلك في اثناء الحديث ، اعتقد بلى ، ان ما ينتمي الى الميزات الانطولوجية العامة التي يتسم بها كل قرار حاسم نتخذه ، هو انه لم يتخذ ابدا بعد اي قرار حاسم في غمار تطور البشرية ، اتخذ مع احاطة تامة لجميع العوامل الذاتية والموضوعية ، وفي هذه الحالة ، وضمن اطار العلاقات المعقدة للحاضر ، فان نسبة العناصر المجهولة قد تكون اعلى بكثير مما كانت عليه غالبا في السابق . لكن علينا الا ننسى ، انه بهذا لاينجم موقف انطولوجي جديد بأي حال من الاحوال ، ذلك ان هذا الموقف هو موقف كل عمل من الاعمال . ويلاحظ المرء لاحقا عبر التاريخ ، انه غالبا ما يتصرف الناس تصرفات صائبة انطلاقا من قاعدة ايديولوجية خاطئة كليا . وكي ادلي بمثال كبير على ذلك ، فان السفن بالناس كانت تقلع من اثينا الى الاسكندرية اعتمادا على نظرية **بطليموس** الفلكية ، وكانت تصل بامان الى ميناء الاسكندرية ، ومن ثم تعود الى اثينا على الرغم من ان القاعدة النظرية لكامل تحركاتها كانت خاطئة نظريا . لابد ان نضع نصب اعيننا باستمرار بنية العمل الانساني هذه ، مدركين ان ثمة مواقف ، لابد ان نسعى فيها بصورة مستقلة عما نعرفه في هذا المضمار اذا ماتهت ليلا في الضباب في غابة من الغابات ، على ان احاول الذهاب الى البيت وستنجح محاولتي بأفضل أو بأسوأ الطرق . اما ان اقول سأحط رحالي وانتظر الى ان تعد خريطة جيدة عن هذه المنطقة التي تهت فيها ، فأمر محال ، ومن المؤكد انني سأموت جوعا حتى ذلك الحين . اما اذا وجدت طريقي الصحيح متلمسا يمنة ويسرة ، فهذا سؤال اخر . بيد ان هذا التلمس يمنة ويسرة يظل افضل من مجرد الانتظار حتى تصل الى خريطة تامة . انه كمثال جد فظ . لكن اعتقد انكم فهمتم ، ما اقصده. ان هذا لايعني ، انه لابد لشاب ساخط على الاستعمار الراهن متحمس

ليقظة الشعوب المضطهدة ، ان يسارع بالسفر الى الصومال لينظم هناك حركة مسلحة .

آبندروت : من الضروري التأكيد على ان الجمود الراهن المخيم على المناقشات في البلدان الراسمالية الصناعية المتطورة تطويرا راقيا يقود فعالية الجيل الفتي بسهولة الى مغالطات. ان الفعل في هذه البلاد المستعمرة او بتعبير افضل ، في بلاد الاستعمار الحديث لاغنى عنه مطلقا ، كما لاغنى عن التضامن ايضا . لكن المسألة الاهم الواقعة على عاتق الشاب المثقف الناقد يجب ان تجد حلولها في بلده الوطني .

لوكاتش : اجل ، بيد اني ارى ان المهمة التي تقع على عاتق اناس يتمتعون برؤية صافية في بلاد الغرب ، تكمن في توجيه الشبيبة النافذة الصبر توجها معقولا والاشارة الى انه في وسعهم جلب نفع اجدى للحركة بطرق اخرى افضل من التطرف الاعمى .

لقد عانيت نشوء الفاشية في ارجاء المانيا ، واعلم تمام العلم ، ان عددا وافرا من الشبيبة قد انضموا الى صفوف الفاشية في ذلك الحين بسبب سخطهم النزيه على النظام الراسمالي . لهذا فان نفاذ صبرهم ، فضلا عن عجز الحزب الشيوعي ، المحدد تاريخيا ، في تغيير المجتمع والتطور الالماني ، هذان العاملان دفعا بالشبيبة النزيهة الى معسكر الفاشية . ينبغي علينا الا ننسى ذلك ، ونحاول توجيه طاقة الشبيبة في اتجاهات بامكانها جلب المنفعة الحق .

يضاف الى ذلك بالطبع مشكلة ، ينبغي ان نتحدث عنها في هذا المقام وهي ان مجرد المنفعة او مجرد صواب منهجي لقرار من القرارات لايكفيان لايقاظ الحماس ، الذي لابد منه في حقل العمل ، في صدور الشبيبة . ان ضعف الحركات اليسارية يكمن وكمن بعامة ، في انه ليس في وسعها ايقاظ مثل هذا الحماس .

ينشأ عن نظرية التطبيق العملي الحديثة ، وعن الوضعية المستحدثة وعن السلوكية وغيرها ميل الى التطبيق العملي ، يذعن له بمعنى معين اناس قد تجاوزوه . انهم يرون ثمة بالفعل ، ان النشاط العملي سينضب معينه لدى القيام بخطوات تكتيكية ، صائبة او خاطئة . خلاف ذلك فمن الجلي ، ان كل حركة ، تسعى الى بلوغ هدف ما ، تستقي حماستها ، التي احيت فيها الفعالية ، من منظور تاريخي ، لا من اقوال رنانة فارغة . ومن المفيد ان نعلم ، انك حتى اذا تأملت تاريخ اثر الفاشية ، لانجد ان العبارات الفوغائية الرنانة الفارغة هي التي اضرمت الحماس في الصدور للوقوف الى

جانب هتلر ، انما المنظور الرائع الذي احتوته تلك العبارات (وان كان خاطئا من الوجهة التاريخية الموضوعية) . ليس في وسعنا بالتالي ايجاد مخرج من المعضلة الاجتماعية ، وهي ان ايقاظ الحماس لا يتم الا انطلاقا من منظور ما . في مضمار هذا المنظور اصلا يدرك الانسان المعني ، انه سيغير حياته الشخصية ايضا بفضل هذا المنظور . لابد وان يكون هذا المنظور موجها الى الشخص بذاته ، كي يضطرم الحماس في صدر هذا الانسان . ان الضعف الكبير الذي تعانيه الحركات اليسارية في العالم أجمع يكمن في الحاضر ، في اننا لم نزل غير قادرين على ايقاظ الحماس الملائم لمنظورنا . وهذا ينطبق أيضا على حركات الاصلاح في بلدان المعسكر الاشتراكي . هنا لابد أن ندرك حواجزنا واخطاءنا تمام الادراك ، كي يكون في وسعنا ايجاد دواء لها .

آبندروت : ان الخطأ يعود بمعظمه ، الى اننا لم نعمد الى تطوير آفاق منظورنا بانفسنا ، وبالتالي يخشى ، أن يظهر بدلا من المنظور الواقعي منظور زائف أو مجرد الخضوع للامر الواقع . هذا يتجلى بوضوح في المثال ، الذي عكفنا على الانشغال به ، مثال مواجهة دول كانت مستقلة فاعلة ، فغدت موضوعات لمجتمعات منحطة في البلدان المستعمرة القديمة ومواجهة البلدان المتخلفة للعالم الرأسمالي الصناعي الموحد . ان العملية الحية ، التي تتم الآن في انحاء هذه البلدان ، تزود اكثرية الجيل الشاب الناقد ، المتسم بميول يسارية ، بمنظور منير مباشر . وبالتالي ينشأ ميل الى التغاضي عن امكان القيام بدور ذاتي ، والى الاندماج في مهام الحركات الثورية ضد الاستعمار ، بحيث لا يدرك ، أن المهمة الرئيسية التي تقع على عاتق الشبيبة المثقفة وعمال دول الرأسمالية المتأخرة ينبغي أن تتم في ربوع أوطانهم هم ان مجرد تهليل الجيل الشاب المثقف في الدول الرأسمالية ، للثورات الناهضة ضد الاستعمار ، لا يعد ممارسة خاصة يقومون بها . إذا لم يتبدل هنالك ميزان القوى او لم يمنع تدخل الدول الامبريالية بشكل فعال، لا يقوم الجيل الشاب الا بالخضوع للواقع الراهن في صورة شبه نشاط . على هذا ينهض الجانب السلبي لاثر فانون الكبير في الجيل الشاب في الولايات المتحدة وفي المانيا الاتحادية ، الذي نلمسه حاليا ، لابد ان نمد العون في هذه الحال ، موضحين لجيل الشباب ، أن المنظور الافضل ، حتى لتلك الحركات الناهضة في البلدان المضطهدة من قبل الرأسمالية المتأخرة، يتجلى في الكفاح من أجل الاشتراكية والديمقراطية في هذه البلاد الرأسمالية الصناعية ، في هذه المجتمعات المصنعة تصنيعا

راقيا ، ذلك أن مجتمعا اشتراكيا مصنعا تصنيعا راقيا يمكنه أن يساعد الدول المتخلفة أجدى مساعدة .

هولتز : أجل ، لكن الآن يطالعنا الموقف التالي ، وهو أن نوعا من المنهجية الاجتماعية الوضعية تسيطر على الحقل العلمي في العالم الغربي، وهي غير صالحة لتقديم منظورات ، انما تلبث في اطار ما تسجله وتلتقطه: هذه هي مشكلة الوضعية المستحدثة ، لافي مجال المنطقي ـ الفلسفي فحسب ، بل وايضا في ميدان العلوم الاجتماعية .

لوكاتش : ان فحوى القضية في هذا المجال يكمن ، بصورة عامة ، في محاولة استبعاد كل انطولوجيا ، في الوصول الى استبعاد كل وجود عن ممارسة الانسان . والآن من الممكن ـ وعلى هذا قد ترتكز الوضعية المستحدثة ، كما تحدثنا عن ذلك سابقا ـ أن تتحقق ممارسة صائبة مع وجود نظرية خاطئة . وكلما اقترب المرء من التطبيق الاقتصادي الواقعي ، في غمار تطور العلم الحديث، كلما انحسرت، من مجال القوانين المستخدمة في حقل الكيمياء والفيزياء ، لدى الانجاز التكنولوجي لمسيرة عمل من الاعمال ، أهمية التساؤل ، عن صحة أو عدم صحة القواعد النظرية على صعيد العلوم الطبيعية العامة . من الممكن عند الاقتضاء ، ولننظر الى مثالي السابق عن ابحار السفن في العهود القديمة ، توجيه الاقتصاد استنادا الى اخطاء النظريات ، لكن على نحو تقني صائب . وتزعم الذرائعية ، أن ما يتحقق نجاحه ، يعيد بالتالي حقا ، غير أن هذه القضية الذرائعية في معناها الواسع ، وليس في معناها العملي المباشر . ليست صحيحة ، وقد اتضح ذلك . أما المعنى النظري لكامل قضاياها فيبقى في ظلام . فيما وراء العلاقات الاجتماعية الموجودة لا يسعنا التفكير . ان هذه الحملة النقدية الواسعة ضد الاتجاه الوضعي المستحدث لم تشن بعد عندنا . وبالتالي ينجم عن ذلك أن توزيع العمل القائم على التلاعب والمناورة ، الذي يعد ضروريا في معنى ما ، والذي يعمد (ولنقل على صعيد العلوم) الى فصل ميادين العلم بعضها عن بعض ، يشكل بهذا الفصل ـ كيف اعبر عن ذلك ؟ ـ حاجزا انطولوجيا داخل الواقع . اذا عمد مثلا عالم احيائي الى اجراء دراسات فيزيولوجية احيائية ، فانه لا يكترث مطلقا بباقي تطور الجهاز العضوي . وكم من مرة ظهر دواء جديد ، اتضح بعد مضي فترة من الزمن ، انه يترك تأثيرات مؤذية في جانب اخر من الجهاز العضوي . يعد هذا من وجهة الوضعية المستحدثة ضروريا . في دراستنا للعامل س درسنا فقط النتائج الحاصلة ، ومن

ثم ، وبصورة مستقلة تماما ، يطالعنا العامل ع ، حيث ان نتائجه المؤذية تظهر بشكل ملموس .فإننتائج مفيدة ومؤذية تظهر على الجهاز العضوي، وفي أن هذا الجهاز العضوي يفقد الحياة ـ وهذا يبدو لي ، واقعة انطولوجية غير مرغوب فيها بتاتا ـ بهذا لا يكترث مفكر الوضعية المستحدثة على الاطلاق . لان هذا ، بحسب رايه ، لا يمت بصلة الى سلسلة بحث س او ع . ولنرجع الان الى مشكلتنا ، فأقول ، انه لايمكن الفصل فصلا انطولوجيا بين القرارات السياسية والاقتصادية والشخصية وغيرها . انه ، انطولوجيا ، الطالب ذاته ، الذي يغمره الحماس في سبيل الامم المضطهدة ، في سبيل الشعوب المتخلفة ، فيسافر الى افريقيا . ان العاملين الحماس والسفر الى افريقيا يمكن فصلهما الواحد عن الاخر من وجهة نظر الوضعية المستحدثة ، بيد انهما مرتبطان الواحد مع الاخر انطولوجيا ، انهما يدوران في فلك الانسان ذاته . وبالنسبة لمشكلتنا ، تطالعنا النتيجة الهامة التالية ، وهي انه ليس في وسعنا بعد ان نربط المشكلات الداخلية للشخصية الانسانية ، اي ماندعوه بالتالي مجال الاخلاق ، بالنشاط الاجتماعي الخارجي للانسان المعني . لقد كان **ارسطو** في هذا المقام عبقري الاخلاق العظيم ، لاننا اذا تناولنا مشكلة المنزلة بين المنزلتين في المعنى الاخلاقي عند **ارسطو** ، نجد ان الامر يدور دوما حول منزلة ملموسة بين منزلتين ، في اطار الوان من التخيير الاجتماعي مع سند مزدوج : هذا مفيد في مجال العمل ، ومن جهة ثانية : هذا لايعوق تطور الشخصية وهذا يعوقه . عندما بحث **ارسطو** عن المنزلة ـ الوسط بين التهور والجبن او بين التبذير والبخل ، فهو بحث عن النقطة حيث التغلب (سواء في العمل الخارجي او في التطور الداخلي للانسان المعني) على الطرفين يقود الى تطور الشخصية . ها في متناول ايدينا نموذج ، ينبغي ان يحول دون وقوع تمييز خاطىء، مثل الذي يقع في الوضعية المستحدثة. على هذا النحو من طرح التساؤل ، بامكاننا أن نمنع الوضعية المستحدثة من الوقوف في وجه التيارات اليسارية التقدمية حقا من جهة ، وبامكاننا من جهة ثانية تقديم المساعدة لجميع التيارات التي تسعى الى حل مشكلة الوجود حلا ايديولوجيا رصينا . ثمة بوادر لذلك ماثلة في جميع الصيغ المتنوعة لاشباع الحاجة الدينية ، حتى في صيغة الحل الوهمي ، في صيغة الايديولوجية الخاطئة .وليس من قبيل المصادفة ، أن الوضعية المستحدثة بانكارها وجود مشكلات انطولوجية بالضبط ، تهرع لمعونة هذه النزعة الذاتية الوهمية . ذلك أن انطولوجيا الاديان القديمة قد انهارت دعائمها

منذ أجيال . ليس ثمة من انسان يعتقد بهذه الانطولوجيا . ان قبول تلك الانطولوجيا الجديدة ، التي تحدثنا عنها اخيرا ، يؤدي بالمقابل الى ازالة الحاجة الدينية والى الاقتناع بأنها لا تقود الى شيء . لهذا ارى موضوعيا ، ان مجرد انكار وجهة النظر الانطولوجية تلك ، بحجة انها لا معقولة، لا فلسفية ، يعد عونا كبيرا لكافة الميول الدينية الوهمية . اعتقد ان جاز لي أن أصيغ هذه المفارقة ، انه كما احرز **توما الاكويني** نجاحا ، في مرحلة معينة من مراحل الاقتصاد الاقطاعي ، في وضع موجز لكافة الحاجات الايديولوجية ــ أي وحدة الانطولوجيا والدين والاخلاق ــ في نظام فلسفي موحد ، نجد الوضعية المستحدثة أيضا ، وعلى سبيل المثال، المفكر **كارناب** يقوم ، في الحضارة الراهنة ، بالدور ذاته ، الذي قام به **توما الاكويني** . من الطبيعي ، أن سماع مثل هذا القول مزعج للوضعية المستحدثة . لكن يبدو لي ، أن واجبنا يقتضي التعبير عن ذلك ، وبالتالي الوصول الى تسوية حقة مع الوضعية المستحدثة .

هولتز : يبدو، في رأيك، ان الوضعية المستحدثة لاتحين الا المظاهر السلبية لمجموعة مؤلفات **توما الاكويني**. لكن ألم تتسم مؤلفات **توما** بمظاهر ايجابية. وهل يتمتع **كارناب** حقا بالمنزلة ذاتها ، في ايديولوجية المجتمع الصناعي في الرأسمالية المتأخرة ، التي تمتع بها **توما الاكويني** في ذروة العهود الوسطى ، يبدو لي أن في الامر مبالغة .

لوكاتش : انا اقر طبعا بذلك. عندما أقارن **كارناب بالاكويني**، فلا اود مقارنة الواحد بالآخر على انهما مفكران، انما على انهما مارسا دالة اجتماعية معينة. ولا يجوز ان ننسى ان كل نظام فلسفي قد مارس في مراحل ما دالات اجتماعية في غاية الاهمية وكي أعبر عن شيء ايجابي ، فان مذهب **روسو** قد اتسم بدالة اجتماعية ايجابية في غاية الاهمية ، في الثورة الفرنسية ، في هذا المعنى الحصري فحسب أود مقارنة دالة توما الاكويني الاجتماعية بدالة كارناب .

هولتز : من المفيد في هذا المقام ان نعلم ، ان اثرا وضعيا مستحدثا نلمسه كذلك الامر في مجال الفلسفة الماركسية في الآونة الاخيرة . اني لا أفكر في اثر **كارناب** ــ غير المباشر ــ في علم اجتماع بعض دول اشتراكية فحسب، وعلوم لغويتها وعلوم طبيعيتها ونظرية معرفتها ، انما افكر ايضا في تأثيرات معينة تتجلى مثلا في نظرية الكوبرنيتيك لجورج **كلاوس** التي تتسم في اساسها بطبيعة وضعية مستحدثة .

ويبدو لى ، بما أن الوضعية المستحدثة تنطلق من منظور لا انطولوجي

على الاطلاق ، فمن الممكن أن ينجم عن ذلك تفتيت النظرية الماركسية ، لان تلك تحذف التساؤل عن وحدة العملية الاجتماعية ـ التاريخية .

لوكاتش : اني متفق معك ، لكن اود ان اؤكد في هذا المجال ، ان الفرق الماثل بين **لينين وستالين** ، يكمن بالضباط ، في أن القرار السياسي العملي ، القرار التكتيكي قد اتسم بطابع الاولوية في الفلسفة الستالينية ، بحيث أن النظرية العامة انحدرت الى مصاف زخرفة ، الى بنية فوقية الى زينة ، وليس لها من أثر يذكر على القرار التكتيكي .

هولتز : ولم تتحسن الاحوال كثيرا في المرحلة ما بعد الستالينية ، لا بل افضل القول ، خلاف ذلك ، فعند لينين يلبث ، على الرغم من شتى مظاهر التغريب احيانا ، تأسيس نظري لقرارات عملية أكثر مما نجده في المنعطفات المتنوعة للآونة الاخيرة .

لوكاتش : اجل ، هذا ممكن . اوان اضيف كلمة بعد على المشكلة الستالينية . في العهد الستاليني نجد اتجاها مناورا في المحاولات الساعية الى ايجاد اساس نظري لقرارات الاشتراكية ، خلاف ما كان يحدث في عهد **ماركس ولينين** . في غمار التغلب على المرحلة الستالينية لانزال نقف في زمن حيث نجابه أكثر اخطاء الستالينية فظاظة ، بأساليب ستالينية . اننا لم نتوصل بعد مطلقا الى التغلب على الاساليب الستالينية . والاثر الذي تتركه الوضعية المستحدثة في الماركسية الحالية يعود الى هيمنة ماهو تكتيكي على ماهو نظري . ولا مفر انه طالما نحن مجرد « ممارسين » في حقل الممارسة ، طالما لا مفر من ان نقترب من الوضعية المستحدثة من الوجهة النظرية في بعض الامور . ان هذا لا يعد كسوف رونق الماركسية وتشويهها على الصعيد العلمي فحسب ، بل وايضا يعد عائقا عمليا في سبيل الانتصار الايديولوجي للافكار الاشتراكية . في تلك الايام الصعبة ، في خضم الحرب الاهلية والمجاعة ، اثار وجود الجمهورية الاشتراكية للسوفيات وحده حماسا بالغا في شرائح عريضة في الغرب ، لان كثيرين هم الذين تملكهم الشعور بانهم يكافحون في سبيل قضية تلامس اعمق مشكلات وجودهم الخاصة ، فسعوا الى ايجاد حل لوجودهم البشري المريب في حضن الامبريالية . ان المناورة العنيفة في المرحلة الستالينية قد قضت على آمالهم ، ذلك أن الدقة في التقنية وتلطيف مناخ المعيشة عن طريقها لم يستطيعا اعادة الثقة الضائعة ، ولن يستتب ذلك ، مالم يوضع حد للمناورات بشتى اشكالها . ان منظور تكوين انسان جديد قد يثير حماسا عالميا . اما مجرد الطموح الى تحسين مستوى المعيشة ـ

ولا أحط من أهميته العملية في نطاق البلدان الاشتراكية على أي حال ـ لا يكفي وحده بالتأكيد . ولا أحد سيرتد الى حضن الاشتراكية تبعا لفكرة الحصول على سيارة ، لا سيما اذا كان يمتلك سيارة في ظل الرأسمالية . ولا يتجلى أي أثر تتخذ الممارسة شكلا جديدا ، كذلك الشكل الذي اتخذته عند ماركس ولينين . ولنتذكر ، أن لينين في غمار جداله حول المسألة النقابية مع **بوخارين** ، قد طرح مقولة الكلية في النقاش ، على الرغم من أنه ايقن تماما مؤكدا ، اننا لن نسبر غور كلية القرارات ابدا . بيد أنه تابع قائلا ، ان المطالبة بالكلية تقينا من الوان الجمود والانحراف . أما اذا أخذنا بقول **آدورنو** المأثور : ان الكل هو الخطأ ، نلمس ، على هذا النحو من التساؤل ، كيف أن كل قرار عملي يتخذ في هذا المقام يصير الى مقياس مطلق لموقفنا . اذا كانت المسألة الكبرى الوحيدة ، ولنقل بالنسبة لالمانيا في الوقت الحاضر ، تنحصر حقا في امكان أو عدم امكان تعيين **براند** أو **ايرهارد** لتكوين تحالف كبير ، فلن نتوصل أبدا الى ان ترفق الشبيبة النزيهة مشكلاتها الحياتية ذاتها في مثل هذه التساؤلات . يقتضي الامر طرحا آخر للمصير الالماني ، حيث بامكاننا عند ذلك ، في اطار نسق عام مناقشة علاقة ، مع التحالف الكبير أو ضده ، اعتقد ان ما أقوله واضح لك ، وان مانحن في صدده ، انما هي سمة عامة من سمات السياسة ، سمه عامة من سمات التلاعب بالاقتضاد المناور . وانها لعجزة ، اذا لم يتجلى ذلك في الحقل الايديولوجي . وانه لمن المفيد حقا في هذا المقام بالنسبة للتطور الايديولوجي في الآونة الاخيرة ، ان نعلم ، ان مقاومة المنعطف المناور الاستهوائي تتصاعد ، وان الوضعية المستحدثة بالتالي ، بلا ريب ، لا تسود اليوم على نحو لا جدال فيه ، كما كانت تسود قبل عدة أيام .

بودابست ، ايلول ١٩٦٦

الفهرس

المقدمـــة ٥

الحديث الاول : جورج لوكاتش ، هانس هاينز هولتز .
وجود ووعي ٩

الحديث الثاني : جورج لوكاتش ، ليو كوفلر .
مجتمع وفرد ٤٣

الحديث الثالث : جورج لوكاتش ، فولفغانغ آبندروت .
نظرات اساسية في سياسة عملية ٨٩

الحديث الرابع : جورج لوكاتش ، فولفغانغ آبندروت ،
هانس هاينز هولتز ١٣٧

استنتاجات مؤقتة .

١٩٨٣/ ٥ / ٣٠٠٠